الدم

في شعر العربي الحديث

في سورية ولبنان وفلسطين

الدكتور جهاد فيض الإسلام

سرشناسه: فیض‌الاسلام، جهاد، ۱۳۴۳
عنوان و نام پدیدآور: القدس فی الشعر العربی الحدیث فی سوریه و لبنان و فلسطین «۱۹۴۸ ـ ۲۰۰۰ م.»/ جهاد فیض‌الاسلام.
مشخصات نشر: قم: مرکز بین‌المللی ترجمه و نشر المصطفی ﷺ، ۱۳۹۱ش / ۱۴۳۳ق
مشخصات ظاهری: ۳۵۲ص
شابک: ۲-۵۹۶-۱۹۵-۹۶۴-۹۷۸
وضعیت فهرست‌نویسی: فیپا
یادداشت: عربی
موضوع: شعر عربی ـ ـ قرن ۲۰م. ـ ـ تاریخ و نقد
موضوع: بیت‌المقدس ـ ـ شعر
رده‌بندی کنگره: ۱۳۹۱ ۹ق ۹ف / PJA ۲۲۸۵
رده‌بندی دیویی: ۸۹۲/۷۱۶۰۹
شماره کتابشناسی ملی: ۲۶۴۰۵۹۴

الإهداء

إلى الذين تضرّجوا بدمائهم على أرض الإسراء والمعراج: فلسطين
إلى شهداء المقاومة في جنوب لبنان الخالدين
إلى روح الإمام الخميني المنادي بتحرير القدس
إلى السيد القائد الخامنئي
إلى السيد حسن نصر الله
إلى كل المناضلين والمقاومين
إلى الجمهورية الإسلامية في إيران حكومة وشعباً
إلى أمي وإلى أبي رحمه الله
إلى زوجتي وأولادي لما تحملوه في هذا الطريق الشاق
إلى كل من علّمني حرفاً وإلى كل من أخذ بيدي نحو الصواب أهدي هذا العمل المتواضع.

القدس في الشعر العربي الحديث في سورية ولبنان وفلسطين «١٩٤٨ ـ ٢٠٠٠ م»

الدكتور جهاد فيض الإسلام

مركز المصطفى العالمي للترجمة والنشر

القدس في الشعر العربي الحديث في سورية ولبنان وفلسطين «١٩٤٨ـ٢٠٠٠م»

المؤلّف: الدكتور جهاد فيض الإسلام

الطبعة الأولى: ١٤٣٣ق / ١٣٩١ش

النّاشر: مركز المصطفى ﷺ العالمي للترجمة والنشر

● **المطبعة:** توحيد ● **السّعر:** ٦٨٠٠٠ ريال ● **عدد النسخ:** ٢٠٠٠

● قم، ساحة الشهداء، شارع معلم الغربي (شارع الحجتية)، زقاق ١٨، هاتف: ٧٨٣٩٣٠٦ ٠٢٥١ ٩٨+
● قم، شارع محمّد الأمين، تقاطع سالارية، هاتف ٢١٣٣١٠٦ ٢٥١ ٩٨+ فكس: ٢١٣٣١٤٦ ٢٥١ ٩٨+
● طهران، شارع انقلاب، بين شارع الوصال وشارع الشيرازي، الرقم ١٠٠٣، هاتف: ٦٦٩٧٨٩٢٠ ٢١ ٩٨+
● إصفهان، شارع مسجد السيد، ما قبل الوصول إلى شارع آية الله زاهد، ٠٩١٣٣٠٠٥٧٥٤+
● مشهد المقدّسة، شارع الإمام الرضا ؑ، شارع دانش الشرقي، بين فرعي (١٥و١٧)، هاتف: ٨٥٤٣٠٥٩ ٥١١ ٩٨+

نشكر اعضاء المركز الذين تابعوا مراحل الطبع والنشر حتى مراحله الاخيرة.

● **الإعداد الفني:** صراط گل‌ميشى
● **مقوّم النص:** سدالله عبداللهى
● **المقابلة الفنية:** جواد حاج‌حسينى
● **الإخراج الفني:** السيد مهدى عمادى
● **مصمم الغلاف:** مسعود المهدوى
● **الإشراف الفني:** هادى عبدالمالكى
● **الإشراف النهائي:** هادى عبدالمالكى
● **المشرف على الإنتاج:** جعفر قاسمى
● **المشرف على الطباعة:** نعمت‌الله اليزدانى

كلمة الناشر

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذي أَنْزَلَ عَلى عَبْدِهِ الْكِتابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجا﴾ والصلوة والسلام على النبيّ الأمين محمّدﷺ وآله الهداة المهديين وعترته المنتجبين واللعن الدائم على أعدائهم أعداء الدين.

لقد شهدت علوم الدين مدى أربعة عشر قرناً على طيلة تاريخها العلمي المشرّف مستوىً من التغيّر المستمرّ في الحركة إلى الأمام على صعيد الثقافة والحضارة الإسلامية فأوجد تطوّراً منهجيّاً في العلوم الرئيسة المختصّة بالشريعة كـ: الفقه الإسلامي وعلم الكلام والفلسفة والأخلاق.. وتبعاً لهذا الجانب ترك التطوّر انطباعاً موازياً بيّناً في العلوم الأدواتية كـ: المنطق وعلم الرجال والحقوق....

وفي ضوء انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية المعظّمة وحدثها الداعي إلى رؤية دينية حديثة في نطاق الحكم بغضون القرن الداعي إلى الإنفلات من ظلّ الدين والأيديولوجية الدينية وما يعرض في مسرح أحداثه من تطوّر في مسار نظريّات العلاقات الدولية أو تصاعد الأسئلة المعرقيّة المتعلّقة بمفهوم الوجود ومستلزماته الشاغلة لذهن الإنسان الحاضر وكذلك

ما حصل من توسّع لدى علم الوجود الإنساني في ظلّ الأحداث والمتغيرات المعنية بهذا الجانب؛ جعلت المفكّر الإسلامي في أعلى مستوى من المسؤولية أكثر ممّا سلف، خاصّة في الدول الإسلامية التي باتت في محاولة ضرورية لمواجهة الشعارات الخاوية في عصر العولمة في ضوء التدقيق والملاحظة والنقد البنّاء لاجتياح أيّ فقرة يخشى أن تسبّب مشكلات في مقتبل الأيام.

ومن هذا المنطلق يتطلّب الصعيد الحوزوي والجامعي النيّر ضرورة الوقوف على آخر المستجدّات الفكرية في حقولها المتعدّدة والاستعانة بضروب من التحقيق العلمي الرصين بمعايير عالمية حيّة لتوظّف في نطاق الدين والشريعة للإجابة على المتطلّبات العصرية والمنطلق الداعي إلى التكامل والتعالي في ظلّ الدين والتزام نظامه في العلم والحياة من جهة أخرى حيث يتطلّب الأمر من الحوزة العلمية مسؤولية وضع حدّ لردع الجانب العولمي وتبعاته المنحطّة على الإنسان بلحاظه العام.

وقد كانت رؤية التصدّي لهذا الأمر في عناية من مؤسسي الحوزة العلمية، هذه الشجرة الطيبة التي ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَ فَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾، سيّما الإمام الخمينيرحمه الله الراحل والقائد المبجّل الإمام السيّد علي الخامنئي دام ظله الوارف في الوقت الراهن.

وقد سعت جامعة المصطفىصلى الله عليه وآله العالمية في ضوء ما تقدم لنيل النجاح فقامت بإرساء مركز المصطفىصلى الله عليه وآله العالمي للترجمة والنشر حيث تكفّل بنشر نتاج هذا الجانب العلمي الهامّ.

وإنّ هذه الدراسة «القدس في الشعر العربي الحديث في سورية ولبنان وفلسطين» جاءت بجهود فضيلة الأستاذ الدكتور جهاد فيض الإسلام متوافقة مع نسق الرؤية السائدة المتّبعة وهذه الأهداف السامية.

كما ندعو أصحاب الفضيلة والاختصاص بما لديهم من آراء بنّاءة وخبرات علمية ومنهجية حصرية بالمساهمة معنا والمشاركة في نشر علوم أهل البيت عليهم السلام.

وختاما ليس لنا إلّا تقديم الشكر الجزيل لكافّة المساهمين الكرام بجهودهم الخاصّة بإعداد الكتاب للطباعة والنشر.

مركز المصطفى صلى الله عليه وآله العالمي للترجمة والنشر

شكر وتقدير

الحمد والشكر لله ـ أولاً وأخيراً ـ الذي سدّد خطاي في طريق رحلتي الطويل وحقق لي النجاح والتوفيق.

ثم أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من قدّم لي العون والمساعدة لمواصلة دراستي في إيران وسورية لاسيما أستاذي الفاضل الدكتور خليل الموسى الذي أشرف على رسالتي في سورية.

كما أسجّل بفخر عظيم امتناني وشكري لجامعة دمشق وكذلك جامعة المصطفى العالمية وإلى كل من أسهم معي في إنجاز هذا البحث من أساتذة وزملاء وأصدقاء وأخصّ بالذكر السيد هاشميان.

الفهرس

المقدمة

الحمدُ لله الذي خلقَ الإنسانَ من العدمِ إلى الوجودِ حمدَ الشاكرينَ، والصلاةُ والسّلامُ على نبيّهِ الأمين محمدﷺ وآلهِ الطاهرين وأصحابه المنتجبين وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وبعد.

ربّما لا نجد على وجه الأرض إنساناً يمتلك ضميراً حيّاً وهو لا يفكر بقضية القدس وفلسطين ولا يهتم بها، إذ أصبحت القدس وفلسطين في العقود الأخيرة حديث الساعة وهاجس القلب، ولذا سالت الأقلام وفاضت القرائح وكُتبت العشرات بل المئات من الكتب بشتّى اللغات، وامتلأت المكتبات بالعديد منها، تعالج القدس وما حلّ بها من جراح. ولكن حين نتصفّحها نرى أن جلّها تعرضت لقضية القدس إمّا تاريخياً أو سياسياً أو دينياً، أما من الناحية الشعرية والأدبية فما زالت تفتقر إلى العناية الأدبية ولاسيما في المجال الشعري، لأن الشعر قد تحوّل إلى صوت من أقوى الأصوات المكافحة، بل إلى سلاح يدافع به المظلوم عن كرامته وعن أرضه، ومن هذا المنطلق كان للشعر موقفٌ مشرّفٌ منذ النواة الأولى للاحتلال الصهيوني للقدس إلى الآن، ففاضت قرائح الشعراء قصائد وألفت عشرات الدواوين التي كانت ومازالت المرآة الصادقة التي

تعكس القضية بسجلّها الضخم أحداثاً ومشاعر، مأساة ولهفة، نعم هي القدس، هي أرض الجراح وبرك الدم الحمراء، هي..، ربّما بات الحديث عن القدس وفلسطين شعراً ونثراً حديثاً مكرَّراً، ولكن مادام الخطب جسيماً والخطر عظيماً، ومادام الظلم والعدوان مستمرَّين، فالمسؤولية ما تزال على عاتق الجميع قولاً وفعلاً، أما ما يخصنا نحن في إيران ولاسيما جيل الشباب فإننا لم نعرف حقيقة فلسطين وشعبها المظلوم إلّا بعد انتصار الثورة الإسلامية؛ إذ أصبحت القدس من أهم أمورنا ليلاً ونهاراً، ولهذا فكّرت ـ وأنا أتابع الدراسات العليا ومن منطلق إحساسي بالمسؤولية باعتباري إنساناً يحمل الشعور الإنساني والإسلامي معاً، إضافة إلى ندرة الأبحاث حول أدب القدس ـ باختيار هذا الموضوع، أي: «القدس في الشعر العربي الحديث في سورية ولبنان وفلسطين من عام (١٩٤٨ ـ ٢٠٠٠) وشعرت بارتياح تام عندما وافق القسم في كلية الآداب على هذا الاختيار حيث ستكون لي مشاركة ولو بهذا المقدار المتواضع جداً.

أهداف البحث ومسوّغاته

لاشك أن هناك أهدافاً مهمة تحث على اختيار بحث أدبي يتناول موضوعاً أدبياً ممتازاً، فمن بواعث اختياري لموضوع القدس الأمور التالية:

١. ندرة الأبحاث بل جِدّة الموضوع لاسيما في القطر السوري واللبناني والفلسطيني.

٢. حيويّة هذا الموضوع لدى الشعوب العربية والإسلامية حيث تعيش الأمة العربية الإسلامية برمتها هذه المأساة الأليمة وتشاهد احتلال القدس.

٣. إحياء هذا التراث الشعري العظيم وجعله في متناول أيدي محبّيه ومشتاقيه من الجيل الجديد ولاسيما المخطوط منه لأنني وجدت الشعر السوري واللبناني والفلسطيني جديراً بالدراسة والعناية من جميع النواحي.

٤. محاولة تحريض ودفع الشعر إلى خدمة القدس الشريف وذلك من خلال الاعتناء بجهود شعراء القدس وتعريفهم إلى المجتمع العربي والإسلامي.

٥. تبيين الدواعي والاتجاهات التي سلكها شعراء القدس في العصر الحديث والتطورات الفكرية والفنية الموجودة في هذا المجال ومقارنتها مع غيرها.

٦. تبيين الناحية الكمية والكيفية وأساليب وخصائص شعر القدس.

٧. دراسة أثر الشعر في قضية القدس وأثر القدس على الشعر.

أمّا الأسباب التي دعتني لحصر بحثي ضمن هذه البقعة المكانية (سورية، لبنان، فلسطين) والفترة الزمانية (١٩٤٨ ـ ٢٠٠٠م) فهي:

أولاً: أنها المدة التي شهدت الصراع الدامي واحتلال القدس، أي منذ عام ١٩٤٨ وحتى الآن.

ثانياً: تفجّر بركان شعر القدس كمّاً وكيفاً في هذه البقعة وفي هذه الفترة بالذات ثم انتشر إلى البلدان الأخرى.

ثالثاً: الأقطار المذكورة هي الخط الأمامي لقضية القدس ورأس الحربة لمواجهة الاحتلال الصهيوني وهذا ما جعل الشعر هنا يختلف عن غيره.

الدراسات السابقة

على الرغم من اهتمام الدارسين بالأدب والشعر الفلسطيني في العالمين العربي والإسلامي، لم أجد أحداً استوفى في دراسته هذا الموضوع ماخلا دراسات عامة تعرضت للأدب الفلسطيني، وقد أجاد بعضهم في كتاباتها إلاّ أنها مرّت على قضية القدس مرور الكرام أذكر منها: *بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية* للدكتور عبد الجليل عبد المهدي، الذي درس فيه أدب بيت المقدس بصورة عامة أيام الحروب الصليبية من سنة ٤٩٢ إلى سنة ٦٤٢هـ وبيّنَ صدى تلك الفترة في الأدب العربي من شعر وقصة ومسرحية ورسائل، وأمّا كتاب *القدس*

الشريف بين شعراء الشعوب الإسلامية لحسين مجيب المصري فعرض فيه المؤلف نماذج من شعر القدس باللغات: العربية والفارسية والأرديّة والتركية، ويلاحظ عليه أنّه لم يكتب بالشعر العربي ولا يختص بالشعر في الأقطار المذكورة ويظهر أنه أراد أن يبيّن أهمّية القدس لدى الشعوب الإسلامية.

وأمّا كتاب *الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين* للدكتور عبد الرحمن الكيالي و*الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني* للدكتور كامل السوافيري و*المحاضرات في الشعر الحديث في فلسطين والأردن*" للدكتور ناصر الدين الأسد، و*حياة الأدب الفلسطيني الحديث من أول النهضة حتى النكبة* للدكتور عبد الرحمن الياغي وكتابه أيضاً *دراسات في شعر الأرض المحتلة* وغيرها من الدراسات المشابهة لها فمع أنّ مؤلّفيها بذلوا جهداً جباراً في دراسة قضية فلسطين، إلاّ أنّ جميع هذه الدراسات لم تتناول شعر القدس في الزمان والمكان اللذين اختص بهما بحثي فهي خارجة إمّا زماناً أو مكاناً وإمّا كمّاً أو كيفاً، وبعبارة أخرى خارجة إمّا تخصيصاً وإمّا تخصّصاً.

ومن هنا كان الموضوع جديداً في تناوله لهذا البحث. وقد اعتمدت في مصادر البحث على مايلي:

١. دواوين الشعر المتوفرة في المكتبات.

٢. الاتصال بالشعراء.

٣. الرسائل الجامعية المخطوطة والمطبوعة منها.

٤. المجلات والصحف.

٥. كتب التاريخ.

لذلك توافرت لديّ مادة غزيرة في أثناء عملية الجمع للنصوص الشعرية، وقد واجهتْ الدراسةُ صعوباتٍ عدّة أهمّها: أولاً: كثرة الدواوين الشعرية وبعثرة النصوص التي ترتبط بالقدس.

ثانياً: صعوبة فهم اللغة العربية للأجانب ولاسيما الشعر منها.

ثالثاً: حداثة الموضوع والنصوص المختصة به.

آمل أن تَروي محاولتي المتواضعة ظمأ طلاب شعر القدس ومشتاقيه، أو تلفت أنظار الأساتذة لهذا الموضوع الجديد إن شاء الله تعالى.

المنهج وخطة العمل

وقد اعتمدت في دراستي لشعر القدس منهج المقارنة التاريخية والمنهج التحليلي اللذين يبيّنان أثر الأحداث التاريخية في شعر القدس وأثر القدس في تلك الأحداث؛ لأننا إذا أمعنّا النظر في الموضوع وجدنا هناك واقعين أساسيين يسيران جنباً إلى جنب: واقعاً ظاهراً وبارزاً يجري فيه الصراع الإسلامي العربي ـ الصهيوني؛ وواقعاً فكرياً وأدبياً تبلور على ألسنة الأدباء والشعراء لاسيما في سورية ولبنان وفلسطين، ومحور هذين الواقعين هو القدس الشريف. فعلى هذا الأساس حاولنا تحليل النصوص الشعرية وقراءتها وتبيين اتجاهاتها ودواعيها المختلفة، وما هي التطورات الشعرية والفكرية التي حملها شعر القدس، وكيف حاول الشعراء الملتزمون تسريب القضية إلى الجيل الحديث وتغذيتهم بروح الحماسة والمقاومة من أجل تحريرها.

وأمّا محور البحث فهو نصوص شعر القدس فقط في سورية ولبنان وفلسطين في الفترة ما بين (١٩٤٨ ـ ٢٠٠٠م)، فتناولت كل شاعر له دور ملموس في مسيرة شعر القدس بغضّ النظر عن انتمائه الفكري والإيديولوجي والسياسي، ثم عمدت إلى ما طبع من دواوين ومختارات شعرية، فعكفت على قراءة المؤلفات وكتب الدراسات الفنية والأدبية التي لها صلة بالموضوع، وقد وزّعت مادة دراستي إلى مقدمة وتمهيد وبابين وخاتمة، ففي المقدمة تناولت سبب اختياري لهذا الموضوع والأهداف التي قصدتها

والخطة التي اتبعتها في البحث، وفي التمهيد تحدثت عن لمحات من تاريخ القدس وفلسطين منذ عام ٥٠٠٠ق.م حتى نكبة (١٩٤٨) وأيضاً بيّنت مكانة وأهمية القدس عند العرب والمسلمين والمسيحيين.

وقد خصصت الباب الأول بحصر دواعي شعر القدس واتجاهاته الرئيسية وهي:

الدواعي والاتجاهات العربية

الدواعي والاتجاهات الإسلامية.

الدواعي والاتجاهات السياسية.

ثم فصّلت تلك الدواعي والاتجاهات في ثلاثة فصول، تناول الحديث في الفصل الأول منها الدواعي والاتجاهات العربية وأبرز المحاور التي سلكها شعراء القدس وحاولوا من خلالها معالجة القضية، فوجدت أن شعر القدس في هذا الاتجاه تحدث عن استصراخ الضمائر وإيقاظ الوجدان والشجاعة ودور الشباب ودور المرأة وحنين المبعدين ومن اشتاق إلى القدس، وقد كثُرَ منادوا روّاد هذا الاتجاه بتحرير القدس، حاثّين الأمة على النضال والمقاومة والجهاد ضد الاحتلال الصهيوني للقدس الشريف وذلك تحت شعار القومية العربية.

وفي الفصل الثاني تحدثت عن الدواعي والاتجاهات الإسلامية وأثرها على القدس وأثر القدس على روّادها، فأهم المحاور التي خاضها شعراء هذا الاتجاه مابين عامي (١٩٤٨ـ ٢٠٠٠م) هي: الشهادة والشهيد، الصمود والمقاومة، اليقظة الإسلامية، الثورة والجهاد، الوحدة الإسلامية، فحاول الشعراء إرجاع المسلمين إلى قيمهم ومعتقداتهم والتمسك بها؛ لأن القدس هي قبلتهم الأولى وهم أوْلى بتحريرها من غيرهم مهما اختلفت لغاتهم وتعددت طوائفهم؛ ذلك لأن الإسلام يجمع الكل تحت لوائه.

وفي الفصل الثالث تناول الحديث الدواعي والاتجاهات السياسية، فاستمد روّاد هذا الاتجاه مادة شعرهم من أهم الحوادث السياسية والوطنية لتحريك المكان فأصبحت القدس رمزاً لمقاومة الاحتلال الصهيوني الإسرائيلي، فطرق الشعراء محور الضمير السياسي محاولين توجيه العالم بأسره لما تعانيه القدس من وطأة الاحتلال وتوعية المسلمين خاصة، وأيضاً كان للانتفاضة وقضية السّلام نصيب كبير في هذا الاتجاه.

أمّا الباب الثاني من البحث فهو يتحدث عن صورة القدس الشعرية والجمالية في سورية ولبنان وفلسطين من خلال فصول ثلاثة أيضاً:

ففي الفصل الأول تناول البحث مفهوم الصورة الشعرية والمؤثرات التي لها دور كبير في صورة القدس أمثال المؤثرات القرآنية والتاريخية وما لهما من أثر على قضية القدس، ثم تكلمت في آخر هذا الفصل عن التوظيف ودوره في صياغة صور القدس الشعرية.

وانصرف الفصل الثاني إلى اللغة والأساليب في شعر القدس وتركّز البحث على الألفاظ والمفردات والتراكيب والتكرار والاستفهام والنفي والنداء والأسلوب الخطابي والأسلوب التعبيري والرمز والأسطورة وشعر التفعيلة وشعر النثر وموسيقى شعر القدس، وغير ذلك من الأمور المهمة التي أعطت شعر القدس الجمالية والطراوة والأثر اللازم والبالغ.

وأفردت الفصل الثالث والأخير للحديث عن الفنون والخصائص والسمات لشعر القدس، فتطرق البحث للشعر الغنائي ونصيب القدس فيه، إذ كان أبرز روّاده الشاعر عبد الرحيم محمود والشاعر هارون هاشم رشيد وكذلك عمر أبو ريشة فتغنّى هؤلاء لتكون القدس حيّة على طول التاريخ.

أمّا الشعر القصصي والدرامي، فكان له الأثر المشهود في القدس، وفي المقابل كان للقدس أثر بليغ فيه أيضاً، ولعل أول من طرقه الشاعر برهان

الدين العبوشي وفدوى طوقان، حيث حكت الأخيرة قصة المحتلين لمدينة القدس العذراء وليلها الداجي.

وفي نهاية هذا الفصل تناول البحث خصائص وسمات شعر القدس أمثال الخطابية المفردة ولاسيما في بداية الاحتلال، والبساطة والوضوح وروح العقيدة والالتزام والمقاومة حيث ثبت لنا في هذا المجال أن الشاعر نزار قباني، وهارون هاشم رشيد، ودرويش، وطوقان، والبحيري كان لهم الدور الأكبر.

وأخيراً خصّصت الخاتمة لإيجاز ماتوصل إليه البحث وسرد بعض نتائجه.

وبعد:

فقد بذلت كل ما بوسعي وحاولت بأقصى جهدي أن أقترب نحو الواقع، وأمّا ما وقعت فيه من نواقص وعيوب فذلك يعود لي وحدي، والذي كان يواسيني ويبرر لي عملي محاولتي الدؤوبة لإنجاز هذا البحث، فإن وفّقتُ فالفضل والشكر لله سبحانه، وإن تراجعت فيكفي أنني جاهدت.

وإمّا ما اعتراني من مشاكل وعراقيل فكان معوّلي فيه على الله تعالى، إنه بكل شيء عليم والحمد لله رب العالمين.

جهاد فيض الإسلام، دمشق ـ ٢٠٠٦م

تمهيد

القدس الشامخة

١. الخصائص الجغرافية

تقع القدس على خط العرض ٣١.٥٢ شمالاً وخط الطول ٣٥.١٣ شرقي غرينتش، وتمتد وسط فلسطين الواقعة في غرب آسيا، وهي جزء من الوطن العربي والإسلامي، تتوسط مفارق الطرق بين آسيا وأفريقيا وأوربا، وتصل مابين البحر الأبيض المتوسط الموصل بالمحيط الأطلنطي والبحر الأحمر وجزء من المحيط الهندي. ويحدّها من الغرب البحر الأبيض المتوسط، ومن الشرق سورية والأردن، ومن الشمال لبنان وسورية، ومن الجنوب صحراء سيناء وخليج العقبة. وتمتاز فلسطين بما فيها القدس الشريف بموقع جغرافي على درجة كبيرة من الأهمية، لأنها تتصل بأوروبا عبر البحر الأبيض المتوسط، كما ترتبط بأفريقيا عبر البحر الأحمر، ثم تتصل بالطرق البحرية بآسيا. ومكانتها هذه جعلتها بمنزلة مركز حيوي وجسر للسيطرة على السواحل البحرية، وأيضاً فهي تشكل قاعدة انطلاق للمستعمرين المستكبرين لأهدافهم التوسعية في الشرق الأوسط لاسيما في سورية ولبنان والأردن ومصر،

وكذلك تعتبر فلسطين بوابة أوروبا على العالم العربي الإسلامي وبالعكس، وتضاعفت أهميتها بعد اكتشاف حقول النفط في الشرق الأوسط إضافة إلى اعتدال مناخها، وعذوبة هوائها، وخصوبة أراضيها، وكثرة خيراتها، كما يدل على هذا كلام ياقوت حين سئل: أي بلد أجل؟ قال: المقدس، قيل: فأيها أطيب؟ قال المقدس، قيل: فأيها أفضل؟ قال: المقدس، قيل: فأيها أكبر؟ قال: المقدس، قيل: فأيها أحسن؟ قال: المقدس، قيل فأيها أكثر خيرات؟ قال: المقدس[١]. ولذا جعلت منها هذه الخصائص هدفاً مستمراً للغازين والطامعين فكانت مطمع الأنظار في مختلف العصور والأمصار، فصبت الويلات والحروب عليها واحدة بعد الأخرى. وما يشهده العالم من صراع مرير على القدس وفلسطين ما هو إلا استمرار لتلك المطامع والمخططات الاستعمارية والاستكبارية المبرمجة المتمثلة بالكيان الصهيوني الغاصب.

٢. القدس ـ أسماؤها ونعوتها

للقدس عدة أسماء سميت بها تبعاً للأمم والشعوب التي استوطنتها وسكنتها على مر الدهور وفي مختلف العصور، وربما لاتجد مدينة اكتسبت من الأسماء ما اكتسبته القدس.

ومن هذه الأسماء: يبوس[٢] نسبة إلى اليبوسيّين[٣]، ولعله أقدم اسم للقدس الشريف. ومن أسمائها شلم[٤] أي: مدينة السلام، سميت بهذا الاسم من قبل الكنعانيين ولذا قالوا إنها كنعانية الأصل. وأطلق عليها بنو إسرائيل عام

---

١. ياقوت الحموي، معجم *البلدان*: ٥ / ١٦٧.

٢. خسرو شاهي، *تاريخ بيت المقدس*: ص٧.

٣. اليبوسيون: هم بطن من بطون العرب الأوائل نزحوا من شبه الجزيرة العربية حوالي عام (٣٠٠٠ق.م)، *المصدر*: ص٨

٤. مجير الدين الحنبلي، *الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل*: ص٧٠.

(١٠٤٩ق.م) اسم أورشليم[١] وهو اسم مشتق من أور - سالم، وعليه فهي ليست عبرية، وأطلق عليها المكابيون حوالي عام (١٣٩ق.م) اسم يروسليما. وسماها الرومان حوالي عام (٦٣ق.م) هيروسليما وسوسيموس[٢] وإيلياء[٣]. وظلت تُدعى بهذا الاسم حتى الفتح الإسلامي. وسماها الأتراك القدس الشريف. وسماها القرآن الكريم القرية[٤]، والزيتون[٥]، والمسجد الأقصى[٦]، والأرض المقدسة[٧]، ومن أسمائها أيضاً بيت إيل، أي: بيت الإله. وإيليا كابيتوليا[٨]، وظلت القدس تدعى إيليا لفترة ست سنوات بعد الفتح الإسلامي.

«The First Six hundred years names in early islam the full name of Jerusalem Was «Iliyaa» madint bayt al makdis».[9]

٣. أصالة القدس العربية والإسلامية

تؤكد الدلائل التاريخية المسلّمة لدى عامة المؤرخين قديماً وحديثاً من العرب وغيرهم أن صلة العرب بالقدس وفلسطين لم تبدأ بالإسلام والفتح الإسلامي وإنما هي مدينة عربية المنشأ، فقد سكن اليبوسيون القدس منذ أقدم العصور ولعله من العصر الحجري مابين عام (٧٠٠٠ـ ٥٠٠٠ق.م)[١٠] وهم قبيلة تتفرع من الكنعانين، والكنعانيون فرع من الساميّين وهم أقدم الأمم من بعد نوح وأعظمهم

---

١. موحد خوني، *المسجد الأقصى وبيت المقدس*: ص ١١.
٢. *المصدر*: ص ١٥.
٣. *الأنس الجليل*: ١ / ٦٩، وكذلك *فضائل بيت المقدس* لمحمود إبراهيم: ص ٤٥٠.
٤. الأعراف: ١٦ و ١٦٠؛ وكذلك البقرة: ٢٥٩.
٥. الزيتون: ١.
٦. الإسراء: ١.
٧. المائدة: ٢٣.
٨. كامل جميل العسلي، *القدس في التاريخ*: ص ١٠٥.
9. abar O. Encjclopaed in of islam Vol. 5. Leiden, 1989, p.322.
١٠. موحد خوئي، *المسجد الأقصى وبيت المقدس*: ص ١٧.

قدرة وأشدهم قوة وآثاراً في الأرض[١]، وقد بنيت مدينة القدس على يد مليكا صادق، ملك اليبوسين وظلت تُسمّى أرض كنعان إلى يومنا هذا. وقيل إن الذي بناها هو آدم عليه السلام ثم سام ابن نوح ثم مليكا صادق.[٢]

ولقد أثبت النسابون والمؤرخون، أصالة هذه القبائل العربية وأنها عربية صرفة كما ذكر في تاريخه محمد بن جرير الطبري: «عمليق: أبو العماليق، كلهم أمم تفرقت في البلاد وكان أهل المشرق وعمان والحجاز والشام ومصر ومنهم كانت الجبابرة بالشام الذين يقال لهم الكنعانيون»[٣]. ووصفهم ابن خلدون قريباً من هذا[٤]. وقال القلقشندي: «إن القدس من أعمال بلاد الشام»[٥]. فإذا كانت الشام من بلاد العرب والإسلام، كانت القدس عربية إسلامية بالضرورة. ومن المحالات أن تكون القدس التي هي جزء من الوطن العربي والإسلامي، دولة عبرية وغير عربية وإسلامية، كما لا نشاهد اليوم وسط أمريكا وأوروبا أي دولة عربية، ولكن وكما أسلفنا ذكره بأن فلسطين بحكم موقعها الجغرافي كانت مسرحاً لكثير من الحروب الطاحنة بين الغزاة وأهلها، وظلت القدس طوال الزمن كنعانية عربية إسلامية صفة وسيادة، والاحتلال الأجنبي لم يؤثر فيها، فقد قاوم عرب فلسطين من مسلمين وغيرهم هذا الاحتلال وحافظوا على أصالة القدس العربية والإسلامية في أرض آبائهم وأجدادهم أصحابها الشرعيين منذ عام (٣٠٠٠ ق.م) وحتى الآن. وما يسعى إليه الاستعمار البريطاني الصهيو ـ أمريكي جنباً إلى جنب في طريق محو عروبة فلسطين وإسلاميتها بعد هذا التطوير والتعقيد لإقامة دولة لقيطة

---

١. ابن خلدون، *العبر وديوان المبتدأ والخبر*: ١ / ٢٧.
٢. مجير الدين الحنبلي، *الأنس الجليل*: ١ / ٧١.
٣. *تاريخ الرسل والملوك*: ١ / ٢٠٣.
٤. *العبر وديوان المبتدأ والخبر*: ١ / ٢٧.
٥. *صبح الأعشى في صناعة الإنشاء*: ٤ / ٧٢.

لإسرائيل لم يُجْدِ شيئاً، واتضحت للصغار والكبار كل هذه المخططات والمؤامرات الاستعمارية، إذ ليس في الوجود الإنساني قضية تستند إلى الأباطيل والتخبطات مثلما استندت إليها الصهيونية في مزاعمها تجاه فلسطين والقدس الشريف، ولذا نرى أبناءها ثابروا على المجاهدة والمقاومة والمطالبة بحقوقهم المغصوبة وأرضهم المحتلة، وظلت القدس عربية إسلامية عريقة إلى يومنا هذا.

٤. القدس في الإسلام ومكانتها عند المسلمين

القدس مدينة نشأت بإرادة سماوية ربّانية[١]. فهي من أقدس المدن الدينية والإسلامية، فقد شرفها الله تعالى بالإسراء إذ عرج أشرف الخلائق منها إلى السماء[٢]. ونجد في القرآن الكريم آيات كثيرة أشار المفسرون إلى أنها تخص القدس. ومن تلك الآيات ما جاء في سورة: (الإسراء، ١و٢) و(المائدة، ٢٣) و(البقرة، ٢٥٩) و(المؤمنون، ٥١) و(الأعراف، ١٦٠) و(التين، ١) و(الحديد، ١٣) و(النازعات، ١٤). نعم إن الله تعالى قدّس هذه المدينة المباركة[٣]، وآية الإسراء تفيد بأنه علاوة على قدسية الأقصى فإن ما حوله وأطرافه أيضاً تمتاز بالبركة والأفضلية على سواها ظاهراً وباطناً[٤]، أما بالنسبة إلى الأحاديث الشريفة التي تؤكد مكانة القدس في الإسلام على اختلاف درجاتها فهي

---

١. ورد عن النبي ﷺ: أنه سئل أيّ مسجد وضع في الأرض أولاً؟ قال: المسجد الحرام، قال السائل: ثم أيّ؟ قال: المسجد الأقصى، قال: كم بينهما؟ قال: أربعون سنة. *مسند أحمد*: ٥ / ١٥٠.

٢. الإسراء: ١.

٣. روى ياقوت عن ابن عباس قال: بيت المقدس بنته الأنبياء وسكنته الأنبياء، ياقوت، *معجم البلدان*: ٥ / ١٦٧.

٤. ناصر مكارم شيرازي، *تفسير الأمثل*: ٨ / ٢٥٧.

كثيرة جداً، فقد ورد في كتب فضائل القدس[١] عشرات الأحاديث نقلها الفريقان الشيعة وأهل السنة، وإليك نماذج منها:

ذكر في كتاب (الأنس الجليل) نقلاً عن مقاتل بن سليمان يقول: مافيه ـ أي: القدس ـ شبر إلا وقد صلى عليه نبي مرسل أو قام عليه ملك، وتاب الله على داود وسليمان عليهما السلام في أرض بيت المقدس، وبشّر زكريا بيحيى في بيت المقدس، وأوتيت مريم عليها السلام فاكهة الشتاء في الصيف، وولد عيسى عليه السلام وتكلم في المهد صبياً في بيت المقدس، ورفعه الله إلى السماء وينزل إلى الأرض ببيت المقدس، ونزلت عليه المائدة ببيت المقدس وأعطى الله البراق للنبي محمد صلى الله عليه وآله فحمله إلى بيت المقدس، وماتت مريم عليها السلام ببيت المقدس، ويُنصب الصراط على جهنم إلى الجنة بأرض بيت المقدس، وتوضع الموازين يوم القيامة ببيت المقدس، وينفخ إسرافيل في الصور ببيت المقدس، ومن سرّه أن يمشي في روضة من رياض الجنة فليمش في صخرة بيت المقدس، وأيّد الله عيسى عليه السلام بروح القدس، وآتى الله يحيى الحكم صبياً في بيت المقدس. وروي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: فنزل بي جبرائيل فقال: صل، فصليت، فقال: تدري أين صليت؟ فقلت: لا، قال: صليت بطور سيناء حيث كلم الله موسى تكليماً، ثم ركبتُ فمضينا ماشاء الله ثم قال لي: إنزل فصل فنزلت وصليت، فقال لي: تدري أين صليت؟ فقلت: لا، قال: صليت في بيت لحم، وبيت لحم بناحية بيت المقدس حيث ولد عيسى بن مريم، ثم ركبت فمضينا حتى انتهيا إلى

---

١. اطلعت على أكثر من عشرين كتاباً كتب في فضائل القدس، منها: *روضة الأنس في فضائل القدس* لكاتبه عارف شريف، و*فضائل بيت المقدس* لشمس الدين محمد الكنجي، و*فضائل مكة والمدينة وبيت المقدس* لأحمد بن محمد، و*روضة الأولياء في مسجد إيلياء* لمحمد بن محمود الشافعي، و*الفتح القسي في الفتح القدسي* للعماد الأصفهاني، و*إتحاف الإحصاء بفضائل مسجد الأقصى*، لشمس الدين المنهاجي السيوطي و..

بيت المقدس[١]. وعن ابن عباس أنه قال: «قال رسول اللهﷺ: من أراد أن ينظر إلى بقعة من بقاع الجنة فلينظر إلى بيت المقدس»[٢]. وعن حفص بن عمرو نقل أنه من زار بيت المقدس شوقاً إليه دخل الجنة[٣]. وقد تعددت الأقوال في أول من بنى بيت المقدس، فروى بعض العلماء أن أول من بناه الملائكة بأمر من الله تعالى، ويقال إن الذي بناه إسرافيل. وقد روي عن أبي ذر الغفاري أنه قال: قلت: يا رسول الله: أيّ مسجد وضع على الأرض أولاً؟ قال: المسجد الحرام، قال: قلت: ثم أي؟ قال المسجد الأقصى، قلت: كم بينهما، قال: أربعون سنة[٤]. وذكر أنّ سام بن نوح هو الذي اختط مدينة القدس وأسس مسجدها وكان ملكاً عليها[٥]. إلى غير ذلك من الأحاديث التي ذكرت في كتب المؤرخين، ويستفاد منها أن بناء المسجد الأقصى كان بأمر إلهي وبوحي منه كما هو الحال في بناء المسجد الحرام والكعبة المشرفة، ولهذا كانت له قدسيته الخاصة عند الديانات السماوية الثلاث.

وأما بداية العلاقة الوثيقة بين الإسلام والقدس فمنذ حادث الإسراء. إذ أصبح الإيمان بهذه المعجزة الكبرى جزءاً من العقائد الإسلامية الراسخة، لذكرها في القرآن. ولاسيما انّ القدس حين وجبت الصلاة على المسلمين كانت قبلتهم الأولى إلى أن جاء الأمر الإلهي بالتوجه نحو الكعبة.

وقد زحف المسلمون لتحرير القدس بأمر من الخليفة الأول وفتحت على يد الخليفة الثاني دون قتال عام (٦٣٨م)، وبدأت السيادة على القدس

---

١. السيد محمد حسين الطباطبائي، *تفسير الميزان*: ١٣ / ٨. وكذلك أنظر: *تاريخ القدس والخليل*: ١ / ٣٦٠ و ٣٦١.
٢. مجير الدين الحنبلي، *الأنس الجليل*: ١ / ٣٦٠.
٣. الطبري، *تفسير الطبري*: ١٥ / ٤ و ٥.
٤. مجير الدين الحنبلي، *الأنس الجليل*: ١ / ٧٠.
٥. *المصدر*: ١ / ٧١.

وأصبحت مظهراً من مظاهر الحضارة العربية والإسلامية، ولؤلؤة يتزيّن بها كل مسلم أينما وجد. واتجهت الأنظار لها وخفقت القلوب بحبها وهانت التضحيات لها والجهاد في سبيلها. ومع هذه المكانة السامية للقدس عند المسلمين فإنهم يعترفون ويحترمون مكانتها عند الآخرين من أبناء الديانات الأخرى نتيجة اعتراف الإسلام بوحدة الأديان السماوية والربانية.

القدس في عصور ما قبل الإسلام

١. القدس في العصر الكنعاني

قبل الخوض في هذا الموضوع رأيت من الضروري أن أنوّه إلى نكتة مهمة وهي أنّه لم يكن القصد من كتابة هذا التمهيد أن أضمّن الموضوع الأصلي وهو «القدس في الشعر العربي الحديث» بحثاً تاريخياً لممارسات الاحتلال الصهيوني، أو أذكر الأبعاد السياسية لقضية القدس، وإنما القصد أن أعطي فكرة موجزة ومختصرة جداً عما مر على القدس الشريف طوال العصور الماضية المليئة بالأحداث والأزمات، ليكون هذا توطئة للدخول في موضوعنا الأساسي.

وأما القدس في العصر الكنعاني، فقد بدأت أُولى الهجرات البشرية وأكبر الموجات المهمة التي خرجت من شبه الجزيرة العربية ما بين (٣ ـ ٤) آلاف سنة قبل الميلاد، وهي هجرة القبائل الكنعانية السامية العربية، واستوطنت فلسطين والتي عرفت بأرض كنعان، وبقيت لهم السيادة التامة عليها إلى نحو (١٠٠٠ عام ق.م)، وأول من سكن القدس أحد بطون هذه القبائل العربية والتي كانت تحمل اسم اليبوسيين الذين أنشأوا الكثير من المدن ووضعوا اللبنة الأولى لمدينة القدس، وحافظ عليها أولئك وطوّروها كعاصمة لهم وما لبث أن كوّنوا قوة وأصبحت لهم حضارة واشتهروا بالزراعة والصناعة كزراعة العنب والزيتون، وصناعة الأسلحة والثياب. كما عرفوا أنواعاً عديدة من المعادن منها النحاس

والبرونز وعرفت حضارتهم بالحضارة الكنعانية، وحملت القدس في هذا العصر اسم يبوس نسبة لليبوسيين وهي أقدم بلد في التاريخ عرفه العالم.[١]

في عام (١١٨٤ق.م) دخل الفلسطينيون إلى أرض كنعان وامتزجوا بالسكان الأصليين وأصبحت أرض كنعان بعد ذلك تعرف باسمها الحالي «فلسطين».

٢. القدس في عصر التوحيد

لعلّ فلسطين بما فيها القدس الشريف أقدم بقاع الأرض التي عرفت التوحيد والدعوة إلى وحدانية المولى عز وجل بعد ما هاجر إليها أبو الأنبياء إبراهيمعليه السلام قادماً من بلدة أور العراقية إلى الشام حوالي عام (١٨٠٠ق.م) ومعه زوجته سارة ولوط ابن أخيه لنشر التوحيد الإلهي كما ذكر القرآن الكريم[٢]. وفي فلسطين أنجب إبراهيم إسحاق والد يعقوب الذي كان يلقّب بإسرائيل أيضاً كما يقال وإليه ينسب الإسرائيليون. وأقام يعقوب في أرض كنعان، أما إبراهيم فهاجر إلى مصر فدخلها أيام حكم العماليق، وفي عهد رمسيس الثاني ـ فرعون مصر ـ وبعد أربعمائة وثلاثين عاماً من دخول يعقوب مصر، قرر موسىعليه السلام الخروج ببني إسرائيل إلى أرض كنعان، وقد وقعت خلال طي المسافة ما بين مصر وفلسطين حوادث كثيرة، منها أن موسىعليه السلام عندما غاب عن قومه أربعين يوماً ليأتي بالألواح، عاد قومه مرة أخرى لعبادة الأصنام[٣]. وبسبب هذا العصيان فقد تاهوا في الصحراء أربعين عاماً، وبعدما توفّي موسىعليه السلام خلفه يوشع فعبر نهر الأردن بتلك القبائل العبرانية[٤] إلى فلسطين

---

١. مجيرالدين الحنبلي، *الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل*: ١ /٣٦٠.

٢. آل عمران: ٦٧.

٣. طه: ٨٣و٩٨ كذلك البقرة: ٥١.

٤. لم تكن العبرانية صفة لإبراهيمعليه السلام كما ادّعى الصهاينة وإنما كانت خليطاً من عدة قبائل بدوية منها العبير والخابير، انظر كتاب *القدس ماضيها... حاضرها... مستقبلها* لكاتبه فهد جابر: ص١٧.

حوالي عام (١١٨٦ق.م) ولم يستطيعوا أن يحتلوا أرض كنعان ولم يدخلوا القدس، وبعد ذلك استطاع داود ﷺ وقبل ألف سنة من الميلاد أن يجعل القدس عاصمة لمملكته ما بين عام (١٠١٣ ـ ٩٧٣ق.م) بعدما انتصر على جالوت وجنوده دعاة الشرك والوثنية ودامت حكومته أربعين عاماً فقط وتوفي ودفن في القدس.

٣. القدس في العصر البابلي

زحف نبوخذ نصّر البابلي نحو القدس عام (٥٩٧ق.م) فاحتلها وأخذ ملكها ومعظم جيشه وقادته أسرى إلى بابل في العراق بعدما غيّر نظام الحكم في القدس، وعاد إليها ثانية بعدما تمرد بعض اليهود وأوقع هزيمته الكبرى بهم وسبى أكثر السكان إلى بابل وعُرف هذا بالسبي البابلي.

وهكذا زالت دولة اليهود من فلسطين بعدما عاشت أربعة قرون فقط (١٠٠٠ ـ ٥٨٦ ق.م).

٤. القدس في العصر الفارسي (الساساني)

انتصر كورش الهخامنشي ملك الفرس آنذاك على البابليين عام (٥٣٩ ق.م) وقد أخضع البلدان واحداً بعد الآخر ماضياً في فتوحاته حتى احتل القدس وأصبحت له السلطة عليها وألحقها بدولته طيلة قرنين، وقد أظهر كورش المداراة لكل القوميات والمذاهب والأديان، وأعاد بقايا اليهود من بابل إلى القدس عام (٥٣٨ ق.م) واستمر الهدوء في القدس حتى نهاية حكم داريوش الثالث وبداية الاحتلال الإسكندري عام (٣٣٢ ق.م).

٥. القدس في العصر اليوناني

احتل الاسكندر المقدوني القدس عام (٣٣٢ ق.م) بعدما انسحب منها الفرس وتحولت أورشليم إلى مدينة يونانية وهرولت بقايا اليهود إلى اسكندر وعفى

عنهم وأمرهم أن ينخرطوا في جيشه[١]. ولما مات الاسكندر المقدوني عام (٣٢٣ ق.م) اقتسم ملكه وكانت القدس من نصيب البطالسة وظلت القدس في عهد بطليموس، الملك اليوناني تعيش الفوضى والحروب حتى عام (٩٠ق.م).

٦. القدس في العصر الروماني

بدأت السيطرة الروميّة على القدس وفلسطين منذ حوالي عام (٦٣ق.م) حيث شنوا هجوماً كاسحاً على أرمينيا وآسيا وأفريقيا ثم سوريا والقدس بقيادة «يامبيوس»، ونصب «هيرودوس» ملكاً على الجليل والقدس وظل يحكمها حتى عام (٤م)، وفي زمانه ولد النبي عيسى عليه السلام في بيت لحم، وبعدما بدأ المسيح عليه السلام بالتعليم والتعلّم والإرشاد وشى به اليهود للحاكم الروماني واتهموه بالكفر وصلب[٢] بفتوى شورى اليهود، لكن المسيح عليه السلام بقي خالداً وأصبح له من الأتباع خلق كثير، وكانت النتيجة إبداء المحبة من قبل حكام الروم للسيد المسيح عليه السلام، وأخذوا يعاملون اليهود بقسوة بعد إصرارهم على الطغيان، فهاجم «تيطس» ابن إمبراطور الروم أورشليم وقتل معظم السكان، ومن بقي من اليهود على قيد الحياة فرّ إلى خارج البلاد أو ذاب بين السكان العرب[٣]. وآخر محاولة في زمن الحاكم الروماني «هادريان» حينما طغى اليهود فقتل ما يقارب من (٥٨٠٠٠٠) نسمة منهم وأمر بإنشاء مدينة جديدة مكان القدس سماها «إيليا كابيتولينا» وحرّم على اليهود سكناها.

من الجدير بالذكر أنّه في حوالي ثلاثمائة عام بعد واقعة صلب المسيح عليه السلام اعتنق إمبراطور الروم قسطنطين الكبير (٣٠٦ ـ ٣٣٨م) الدين

١. عارف باشا العارف، *النكبة*: ١ / ٢٥.
٢. هذا حسب العقيدة المسيحية ولكن *القرآن الكريم* ينفي صلب المسيح عليه السلام إذ يقول: ﴿... وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ...﴾، النساء: ١٥٧.
٣. *الموسوعة الفلسطينية*: ٢ / ١٩٦.

المسيحي وأعلن المسيحية في القدس وأصبحت مركزاً دينياً للمسيحية، وشيّدوا فيها عدداً من الكنائس منها كنيسة المهد والقيامة، وفي عهد خسرو برويز الساساني الفارسي وقعت حرب ضارية بين الإمبراطورية الفارسية والرومية آنذاك، وذلك خلال السنوات (٦٠٤ ـ ٦٣٠م) إذ انتصر الفارسيون على جيوش الروم، وصارت القدس بأيديهم، ولكن بعد وفاة خسرو برويز سقطت بيد «هرقل» البيزنطي الروماني عام (٦٢٨م).

القدس في عصر الحضارة الإسلامية

١. القدس في العصر النبوي

كان القدس الشريف القبلة الأولى للمسلمين بعد بعثة النبي محمد بن عبد الله ﷺ حتى السنة الثالثة عشرة للبعثة النبوية حيث كان النبي ﷺ يعيش في مكة المكرمة، وفي السنة الثانية من الهجرة النبوية وبأمر إلهي تحولت قبلة المسلمين إلى الكعبة في مكة المكرمة، وقد تطورت العلاقات بين القدس والإسلام منذ أُسري برسول الله محمد ﷺ عام (٦٢١م)، وحرص الرسول الأعظم ﷺ على أن يحرر القدس من الاحتلال الروماني في غزوة مؤتة عام (٦٢٩م) وغزوة تبوك (٦٣٠م) ولكن لم يكن النصر حليف المسلمين[١]. وبعد رحلة النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى عام (٦٣٤م ـ ١٣هـ) وقعت معركة «أجنادين» وانتصر المسلمون فيها على الروم، وفي عام (٦٣٦م) وقعت معركة «اليرموك» وانتصر المسلمون فيها أيضاً وانهزم الرومان هناك.

٢. القدس في العصر الإسلامي الأول

بعد أن انتصر المسلمون بقيادة أبي عبيدة بن الجراح، اشترط البطريرك

---

١. الطبري، *تاريخ الطبري*: ٣ / ٣٦ ـ ٤٠.

«صفرونيوس» ـ الحاكم الروماني ـ أن يتسلم الخليفة الثاني القدس بنفسه فبادر الخليفة عام (٦٣٦م ـ ١٥هـ) إلى دخول مدينة القدس وصالح أهلها فكتب معهم «العهدة العمرية»[١] وقد عامل الخليفة أهل المدينة بلطف ولين ورأفة ومنذ ذلك الحين اتخذت المدينة طابعها الإسلامي وغيّر اسم المدينة من إيلياء إلى بيت المقدس باعتباره القبلة الأولى للمسلمين وحظيت القدس باهتمام المؤلفات العربية والإسلامية إلى يومنا هذا، وخضعت القدس إلى حكم معاوية وضمها إلى دمشق مركز خلافته، واهتم بها الأمويون خلال الأعوام (٦٦١ ـ ٧٥٠م) ومن أهم الآثار الإسلامية في العهد الأموي بناء مسجد الصخرة على يد عبد الملك بن مروان، وحرَصَ العباسيون على القدس من بعدهم، وشهدت القدس في فترة (٧٠٩ ـ ١٠٧٩م) عدم استقرار سياسي بسبب الصراعات والنزاعات العسكرية والسياسية التي نشبت بين العباسيين، والفاطميين، والقرامطة، وكانت النتيجة خضوع القدس الشريف لحكم السلاجقة عام (١٠٧١م).[٢]

٣. القدس في العصر الإسلامي الثاني

في منتصف القرن الثالث الهجري أخذت الدولة الإسلامية بالضعف المستمر حتى تمزقت إلى ثلاث خلافات، الخلافة العباسية في الشرق، والخلافة الفاطمية في مصر والمغرب والشام، والخلافة الأموية في الأندلس، وفي تلك الظروف من الكساد والتشتت عاد الاحتلال الأجنبي لمدينة القدس بعد أن دعا البابا «أوربان الثاني» إلى ضرورة الحرب ضد المسلمين، وادّعى أنّ كل من يشترك في الحروب الصليبية تغفر له ذنوبه، وأصدر قراراً بأن يَخيط كل

---

١. وثيقة صلح، *انظر: الأنس الجليل*: ١ / ٣٧٧ ـ ٣٨٠.

٢. سيد هادي خسرو شاهي، *تاريخ بيت المقدس*: ٢٠.

فارس صليباً من القماش على ردائه الخارجي، ولذا عرفت تلك الحروب بالحروب الصليبية، لأنها اتخذت الصليب شعاراً لها.

احتل الصليبيون القدس عام (١٠٩٩م) وارتكبوا مجازر دموية في ساحة المسجد الأقصى وقاموا بقتل الكبار والصغار، قدّرتها بعض المراجع التاريخية بأكثر من سبعين ألفاً[١]. ويُثبت هذا رسالة القائد الصليبي إلى البابا حين يقول: «إذا أردت أن تعرف كيف تمّ التعامل مع الأعداء الذين وقعوا بأيدينا في بيت المقدس، فاعلم أن جنودنا في معبد سليمان كانوا يخوضون في بحر من دم المسلمين وكان الدم يصل ركب الخيل»[٢]. واستمر الحكم الصليبي إلى أكثر من مئتي عام، وخلال هذه الفترة تداول المسلمون والصليبيون النصر والهزيمة في المعارك واحتلال المدن.

بدأت نقطة التحول الحقيقي في العالم العربي والإسلامي عام (١١٢١م) عندما ظهر عماد الدين زنكي الذي تولى مسؤولية توحيد المسلمين في العراق والشام وأخذ يحقق الانتصارات ضد المحتلين والغزاة. واستمرت جهود زنكي في توحيد الصفوف حتى قتل عام (١١٤٦م) وتولى بعده زمام الأمور ولده نور الدين محمود وحذا حذو أبيه محاولةً منه لتحرير القدس الشريف.

٤. القدس في العصر الأيوبي

بعد وفاة نور الدين محمود عام (١١٧٤م) أصبح صلاح الدين الأيوبي هو الوارث الحقيقي لآمال العرب والمسلمين وأخذ يعمل على توحيد الصفوف منادياً وا قدساه وا إسلاماه، وتركزت جهوده في معركة حطين عام (١١٨٧م) حيث كان النصر حليف المسلمين بعدما انهزم الغزاة، ثم فتحت المدن واحدة

١. *المصدر*: ص ٢٢.

٢. *المصدر*: ص ٢٢.

بعد الأخرى وتطلعت الأنظار إلى القدس الشريف فأعدّ صلاح الدين عدّته وبدأ بحصاره للقدس فكانت النتيجة تسليم الغزاة، وهكذا عاد القدس إلى أهله في الثاني من تشرين الأول عام (١١٨٧م) وبعدما أزال صلاح الدين كل ما علق بمقدساتها، واهتز العالم العربي والإسلامي طرباً وفرحاً بعودتها إلى الوطن العربي والإسلامي بعد تسعين عاماً، وبعد موت صلاح الدين الأيوبي أعقبته سلسلة الأيوبيين، وبعد حروب طاحنة ونشوب الخلافات فرّط الكامل محمود في القدس إذ استجاب لملك ألمانية «فدريك الثاني» حينما عقد معه صلح يافا في ١٨ شباط (١٢٢٩م) وتقرر أن يأخذ الغزاة القدس، وهكذا استولى الفرنجة على بيت المقدس[١] وحلّت بالعرب والمسلمين الطامة الكبرى والمصاب الجلل، الأمر الذي أثار غضب المسلمين فاشتد البكاء وعلا الصراخ وأقيمت المآتم، إذ ترك الاحتلال الصليبي أثراً بالغاً على العرب والمسلمين، وكان له صدىً كبير في البعد الأدبي حينما وقف الأدب والشعر العربي موقفاً قوياً وهذا ظاهرٌ من كلام صلاح الدين بعد فتح بيت المقدس حين خاطب فرسانه قائلاً: «لا تظنوا إني فتحت البلاد بسيوفكم، بل بقلم القاضي الفاضل»[٢] والذي يفهم منه هو أن الأدب لم يكن غائباً عن أرض المعركة، بل حرّض الضمائر الحيّة ضد المحتلين الغزاة كما نرى في قصيدة ابن الساعاتي مخاطباً صلاح الدين الأيوبي حين يقول:

قضيتَ فريضة الإسلام منها وصدقتَ الأماني والظّنونا؟
تهزُّ معاطف القدس ابتهاجاً وترضى عنك مكة والحجونا
فقلب القدس مسرور ولولا سطاك لكان مكتئباً حزينا[٣]

---

١. *المصدر*: ص ٢٥.
٢. *النجوم الزاهرة*: ٢ / ١٥٧.
٣. ابن الساعاتي، *الديوان*: ٢ / ٤٠٧.

٥. القدس في عصر المماليك

بعد الأسرة الأيوبية سيطر المماليك على زمام الأمور لفترة ثلاثة قرون تقريباً بعدما انطلقوا من قاعدتهم في مصر وألحقوا الهزيمة بالغزاة في معركة عين جالوت عام (١٢٦٠م) ورجعت فلسطين إلى حضن العرب والمسلمين بما فيها القدس الشريف على يد الأشرف ابن «قلاوون» عام (١٢٩١م).

٦. القدس في العصر العثماني

دخل العثمانيون القدس بقيادة السلطان «سليم الأول» بعد معركة «مرج دابق» عام (١٦١٦م) وظلت القدس في إطار الإمبراطورية العثمانية لمدة أربعة قرون تقريباً وقام العثمانيون ببعض المشاريع كإعادة بناء أسوار المدينة وقبة الصخرة ولم يطرأ على القدس تغير محسوس إلاّ إغماض بل إعطاء الامتياز للجانب الأوروبي والذي كان السبب لتدفق الأجانب نحو القدس، ووقّعت على ضوء تلك الامتيازات عدة معاهدات أمثال معاهدة «كارلوفيتز»[1] ومعاهدة «كوتشوكقينارجي»[2]. وحملت هذه المعاهدة عنوان المحافظة على الأماكن المقدسة ورعايتها، وكان لليهود دور كبير في كتابة هذه الامتيازات التي أصبحت خطيرة على القدس ونمت في ظلها المؤسسات اليهودية ولم تستطع الدولة العثمانية استدراك القضية بل كان التساهل والتسامح من العثمانيين أحد الأسباب الرئيسة لعودة التيار الصهيوني لاسيما في عهد سليمان القانوني إلى القدس وقد تضاعف عدد اليهود في القرن التاسع عشر، حتى ضاق الحي اليهودي في القدس بسكانه وبنيت أول ضاحية يهودية، خارج أسوار المدينة عام (١٨٦٠م) وتصاعد بناء الضواحي والمستوطنات الصهيونية حتى وصل إلى سبع ضواح أخرى، والتي كونت فيما بعد نواة مدينة القدس الجديدة

1. Karlowitz.
2. Kuchuk Kaainardji.

والتي أطلق عليها القدس الغربية. وتزامناً مع هـذا التزايـد اليهـودي بـدأ إحيـاء اللغة العبرية وكانت النتيجة تكوين الثقافة اليهودية أواخر القـرن التاسـع عـشر الميلادي، هذا إضافة إلى الامتيازات التي أعطتها منظمة الأمـم المتحـدة فيمـا بعد كما يُذكر.

Measures taken by israel in violation of the status of jerusalem and their condemnation by the united nations

Since 1948 israel has taken three measures in violation of the legal status of jerusalem. These were:

1. the occapation and annexation of the city
2. the alteration of its demographic composition,and
3. the looting and confiscation of arab property.

It is obvious that these measures have aimed at the judaization of the government.[1]

أيّام لها صدى

في خاتمة موضوع تاريخ القدس السياسي والأدبي رأينا من المناسب أن ننوّه إلـى أهـم الأحـداث التـي مـرت بهـا القـدس مـن عـام (٣٠٠٠ق.م) إلـى عـام (٢٠٠٠م) والتي كان لها الأثر البالغ في مصير القدس الشريف:

ففي عام (٣٠٠٠ق.م) هاجر الكنعانيون العرب من شبه الجزيرة إلى فلسطين.

وفي عام (١٨٠٠ق.م) هاجر إبراهيم ﷺ من أور إلى فلسطين.

وفي عام (١٠٠٣ق.م) اتخذ داود ﷺ القدس عاصمة له.

وفي عام (٧٢٢ق.م) سقطت القدس بيد الآشوريين.

وفي عام (٥٨٦ق.م) سقطت القدس بيد نبوخذ نصر البابلي.

وفي عام (٥٣٨ق.م) احتل كورش الهخامنشي القدس.

وفي عام (٣٣٢ق.م) احتل الاسكندر المقدوني القدس.

وفي عام (٦٢ق.م) احتل الرومان القدس.

1. Cattan HENRY, THE Question OF JERUSALEM, LANDON 1980, P. 30.

وفي عام (٣٧م) حكم هيرودس القدس، وولد عيسى.

وفي عام (٣٢٤م) أصبحت القدس تحت الاحتلال البيزنطي.

وفي عام (٦٢١م) أُسري بالنبي محمدﷺ إلى القدس.

وفي عام (٢هـ) صلّى النبيﷺ أول صلاته إلى القدس.

وفي عام (٦٢٨م/٧هـ) احتل هرقل البيزنطي القدس.

وفي عام (٦٢٩م/٨هـ) وقعت معركة مؤتة.

وفي عام (٦٣٠م/٩هـ) وقعت معركة تبوك ولم تُحَرّر القدس.

وفي عام (٦٣٤م/١٣هـ) وقعت معركة أجنادين وانتصر المسلمون.

وفي عام (٦٣٦م/١٥هـ) وقعت معركة اليرموك وانتصر المسلمون.

وفي عام (٦٣٨م/١٧هـ) دخل المسلمون القدس وصالح الخليفة الثاني أهلها.

وفي عام (٤٩٣هـ) احتل الصليبيون القدس وارتكبوا المجازر.

وفي عام (١١٨٧م/٥٨٣هـ) استردّ صلاح الدين الأيوبي القدس من الصليبيين بعد معركة حطين.

وفي عام (١١٩٠م/٥٨٦هـ) وقعت الحملة الصليبية الثالثة وسقطت القدس.

وفي عام (١٢٥٣م/٦٥١هـ) استولى المماليك على القدس.

وفي عام (١٢٩١م/٦٩٠هـ) أنهى الأشرف بن قلاوون المملكة الصليبية من القدس.

وفي عام (١٨٣١م) استولى إبراهيم باشا على القدس.

وفي عام (١٨٥٤م) أقيم أول حي (مونتفيوري) صهيوني في القدس.

وفي عام (١٩٢٠م) وضعت القدس تحت الانتداب البريطاني من أجل الصهيونية.

وفي عام (١٩٤٨م) اغتصبت الصهيونية العالمية فلسطين.

وفي عام (١٩٦٧م) احتل الصهاينة القدس وأحكموا سيطرتهم عليها

وعلى فلسطين بعد نكسة حزيران وأخذوا يسمونها أورشليم.

وفي عام (١٩٦٩م) أحرق الصهاينة المسجد الأقصى.

وفي عام (١٩٧٣م) وقعت حرب أكتوبر.

وفي عام (١٩٧٨م) وقّع السادات مع مناحم بيجن اتفاقية السلام.

وفي عام (١٩٨٠م) تم إعلان ضم القدس إلى دولة الاحتلال بشكل رسمي.

وفي عام (١٩٨٢م) وقعت مذبحة صبرا وشاتلا.

وفي عام (١٩٨٧م) وقعت الانتفاضة الأولى.

وفي عام (١٩٩١م) عقد مؤتمر السلام في مدريد.

وفي عام (١٩٩٣م) عقد مؤتمر أوسلو للسلام.

وفي تاريخ (٢٨/٩/٢٠٠٠م) اشتعلت الانتفاضة الثانية في القدس.

القدس في العصر الحديث

١. القدس والصهيونية العالمية

منذ حوالي عام (١٩٠٧م) سار الاستعمار البريطاني والمنظمات الصهيونية جنباً إلى جنب واتفقت كلمتهما على محو عروبة القدس وإسلاميتها وإبادة الشعب الفلسطيني لتحل محله عصابات وجماعات صهيونية تمهد الطريق لإقامة دولة أطلق عليها عبثاً وزوراً اسم دولة إسرائيل. ولكن فلسطين لم تكن في حوزة بريطانيا وكانت لاتزال تشكل جزءاً من ولايتي دمشق وبيروت آنذاك في سلطة الدولة العثمانية. وما أن اشتعلت الحرب العالمية الأولى عام (١٩١٤م) ووقفت الدولة العثمانية إلى جانب ألمانيا والنمسا حتى شنت بريطانيا حملتها على فلسطين واستطاع الجنرال (إدموند) الوصول إلى القدس واحتلالها، وطُوي ملف الدولة العثمانية وانتقلت إدارة القدس إلى الحكومة العسكرية البريطانية التي اتفقت سراً مع زعماء الصهاينة على منحهم وطناً

قوميّاً لهم في أرض كنعان حسب قرار مؤتمرهم الأول[١] الذي عقد في سويسرا عام (١٨٩٧م) مقابل مساعدتها في الحرب. وكان هدف بريطانيا إقامة دولة للصهاينة في فلسطين لتشكل قاعدة للاستعمار في الوطن العربي والإسلامي، وإثر وعد بلفور الذي صدر في الثاني من تشرين الثاني (١٩١٧م) بدأت القضية الفلسطينية تتكون لتنسج أشباكها المهلكة والخطيرة على الشعب الفلسطيني والوطن الإسلامي، ذلك لأن هذا الوعد أفضى إلى قيام وطن قومي للصهاينة على أرض فلسطين العربية والإسلامية، وليس من الغريب أن نجد الشعراء يتحدثون عن هذا الوعد ومخاطره بل يرون دولة إسرائيل قائمة بصدور وعد بلفور، ولعل الشاعر اللبناني «وديع البستاني» الذي كان مقيماً في فلسطين هو أوّل من حذر من قيام إسرائيل في قصيدته التي نظمها في شهر تشرين الثاني من عام (١٩١٧م) والتي قال فيها:

تريدونها جداً وجداً أقولها ... من اليوم سراً إن أردتم أو جهرا
فتحنا لكم صدراً، مددنا لكم يداً ... وإني لأخشى أن تديروا لنا ظهرا
عرفت طريق الهند من باب طارق ... إلى عدن عبر القناة ولا نُكرا
فإن تحسبونا الجسر يبنيه عابرٌ ... فلا تهدموه في الطريق لكم جسرا
أرى هُوَّةً تزداد عمقاً سحيقةً ... على عدوة أنتم ونحن على الأُخرى
أرى الوطن القومي يعلو بناؤه ... أرى غرفة في القصر تحجبه قصرا
وذكرهُمُ ذكراً ولست مُسيطراً ... مخافة يومٍ فيه لاتنفع الذكرى[٢]

وهكذا دخل الشعر ميدان المعركة والنضال وأخذ يكشف للناس النوايا الاستعمارية للبريطانيين والصهاينة وينطلق معهم في الكفاح والجهاد كما نرى

---

١. مؤتمر بال وبرئاسة أحد زعماء الصهاينة (هيرتزل).
٢. وديع البستاني، *ديوان الفلسطينيات*: ص ٨٢.

في شعر رشيد سليم الخوري حينما يقول:

الحق منك ومن وعودك أكبرُ فاحسب حسابَ الحق يا متجبرُ
تَعِدُ الوعودَ وتقتضي إنجازَها مهج العبادِ، خسئتَ يا مستعمرُ
لو كنتَ من أهل المكارم لم تكن من جيب غيرك محسناً يا «بلفرُ»
عِد من تشاء بما يشاءُ فإنَّما دعواه خاسرةٌ ووعدك أخسرُ[١]

وفي هذا السياق أبيات الشاعر حسين زيد الكيلاني إذ يقول:

يا وعد بلفور يا شؤم المواعيد يا وصمة العار في أيامك السود
ما كان أسخاك فيما لست تملكه وما أشدّك إنجازاً لموعود[٢]

ومن منطلق الخطة الصهيونية العالمية فتحت حكومة الانتداب البريطاني الباب على مصراعيه للهجرة اليهودية، وتدفقت العصابات الصهيونية إلى فلسطين من مختلف أنحاء العالم وارتفع عدد الصهاينة في فلسطين وبلغ عام (١٩٤٨م) ٦٥٠ ألف نسمة. وارتفع عدد الصهاينة في القدس من ١٠ آلاف عام (١٩١٨م) إلى ١٠٠ ألف عام (١٩٤٨م). وتمكن الصهاينة ـ بمساعدة الإمبريالية العالمية ولا سيما بريطانيا ـ من إنشاء قوات عسكرية عرفت بالهاغانا التي أصبحت جيش إسرائيل وسلّحتها بأحدث أنواع الأسلحة وبلغ عددها قبل نهاية الانتداب ٧٥ ألف مقاتل إضافة إلى عصابة الارغون وشيترن[٣]. ولمّا اطمأنّ الاستكبار العالمي إلى نجاح المؤامرة وتفوّق الصهاينة عسكرياً حان وقت اقتطاف الثمر وبدأت الصهيونية العالمية بمرحلة جديدة من مخططها

---

١. رشيد سليم الخوري (القروي)، *ديوانه*: ص ١١١.

٢. حسين زيد الكيلاني، *أطياف وأغاريد*: ص٣٦.

٣. عصابة الأرغون وعصابة شيترن كانت الوكالة اليهودية تستخدمهما للاجرام السياسي لتعلن بعد كل جريمة أن هذه العصابات خارجة من طاعتها ومسؤوليتها مثل ما حدث في مذبحة «دير ياسين» على يد العصابة الصهيونية شيترن.

الغادر وذلك بتقسيم الأراضي المحتلة عن طريق هيئة الأمم المتحدة، فقررت الأخيرة تقسيم فلسطين إلى ثلاثة أجزاء، الجزء الأكبر والأخصب تقام عليه دولة إسرائيل، ولم يجف حبر إعلان التقسيم الذي أُعلن عنه بتاريخ ١٩٤٧/١١/٢٩م حتى أعلن الرئيس الأمريكي آنذاك اعترافه بدولة إسرائيل، وهكذا تبلورت الدعوة الصهيونية بأنها خطة استعمارية معدّة من الولايات المتحدة، وبريطانيا، وفرنسا، والمنظمة الصهيونية العالمية لتبادل خدمات المصالح المشتركة، كما يقول حاييم وايزمن: «لو لم تكن الحركة الصهيونية موجودة لكانت بريطانيا ستخلقها، لأن لها مصلحة بوجودها»[١]. وفي عام (١٩٦٤م) نشرت الولايات المتحدة بعض الوثائق السرية التي تعود إلى عام (١٩٤٣م) ومنها تقرير كتبه ممثلها ـ روزفلت ـ في الشرق الأوسط تلتزم المنظمة الصهيونية في فلسطين ببرنامج يقوم على إقامة دولة يهودية تشمل فلسطين والأردن[٢]. وكان من الممكن أن تظل جميع قرارات الصهاينة ومخططاتهم أماني وأحلاماً لو بقي اليهود وحدهم في المؤامرات ضد القدس وفلسطين، إلاّ أنّ تلك الأحلام والمخططات قد توحدت مع مصالح الاستعمار العالمي وخططه في أواخر القرن التاسع عشر والقرن العشرين بزعامة بريطانيا وظلت إسرائيل تخدم الاستعمار وهو يخدمها، وكل ما في الأمر إنما هي مصالح ومنافع مشتركة بين شياطين الأرض ومحاور الشر.

٢. القدس والمقاومة العربية ـ الإسلامية

اكتسب الكيان الصهيوني في فلسطين معظم مقومات المجتمع وسمات الدولة الحديثة في العقود الثلاثة للانتداب، ولم يكن قد بقي إلاّ إعلان الدولة

---

١. إميل توما، *ستون عاماً على الحركة القومية العربية الفلسطينية*: ص٣.
٢. *المصدر*: ١٩١.

اليهودية، وهو الأمر الذي بدأ بقرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين (القرار رقم ١٨١) لعام (١٩٤٧م)، ثم إعلانه رسمياً من تل أبيب ١٤ أيار (١٩٤٨م). وخلال الفترة من ٢٩ تشرين الثاني (١٩٤٧) إلى ١٥ أيار (١٩٤٨م) (موعد خروج بريطانيا) لم ينتظر الصهاينة خروج المحتل وإنما بادروا إلى ترويع الفلسطينيين والفتك بهم، وفي المقابل وقف الفلسطينيون ضد هذا الاحتلال ولم يستسلموا لسياسة الاستعمار والعصابات الصهيونية وعملوا جاهدين على الدفاع عن الكيان والوطن واستمروا في المقاومة ضد الاحتلال وما يضمره من نوايا خبيثة، فوقعت مجموعة من الثورات ضد المحتلين في بداية الأمر ثم الدفاع والنضال العسكري. وحينما واجه الصهاينة مقاومة الشعب ارتكبوا جرائم بشعة مثل مذبحة دير ياسين وكفر قاسم وذلك في نيسان (١٩٤٨م)، ودخلت الجيوش العربية في الصراع من أجل الدفاع عن القدس وفلسطين. ولكن الصهاينة واجهوا العرب بدعم أوروبي وأمريكي بكمية هائلة من الطائرات والأسلحة التي أُرسلت لهم، وتغيّر الموقف لصالح الصهاينة بعدما أصبحت تل أبيب تحت مرمى مدافع الجيوش العربية وبانت معالم النصر، وغمرت البهجة نفوس الشعوب العربية والإسلامية وكادت تُسحق تلك العصابات الصهيونية لولا الدعم الأمريكي ـ الأوروبي ووقوف الأمم المتحدة إلى جانب إسرائيل عندما قررت هدنة لمدة أربعة أسابيع، وتوقف القتال من صباح اليوم الحادي عشر من حزيران عام (١٩٤٨م) وأثبتت الوقائع التي تلت عقد الهدنة أن العرب والمسلمين خسروا حرب فلسطين يوم قبلوا الهدنة الأولى، وأنها غيّرت مجرى القتال وجعلته لصالح اليهود بعد أن كان يتجه لصالح العرب والمسلمين كما قال السوافيري[١]. ووقف شعراء العرب وقفة عنيفة وثارت ثائرتهم كما نرى

١. كامل السوافيري: *الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين*: ص ٣٩٠.

نرى في قصيدة محمد العدناني التي حملت اسم «انقضوا الهدنة»:

فهدنَــةُ كانــت علــى العُــرب نقمــةً ... أضــاعوا بهــا مــا شــيّدوا بالجمــاجمِ

ونــالَ اليهــودُ الجــائعون مُنــاهُمُ ... وباتُوا كأن لم يُخذلوا في الملاحـمِ

لقــد نكثــوا عهــداً ففــازوا وأيــسَرُوا ... وصــاروا بفـضل الختـلِ مثـلَ الـضّراغمِ[1]

ويقول أيضاً:

ألا يــا ليــوثَ العُــربِ نقــضاً لهدنــةٍ ... كــنقض عــصاباتِ اليهــودِ الجــوارمِ

ألا تَنْكــأُوا ومــالمٌ مــن جُــرح قلبنــا ... لكــي تَخبُــروا مــن بعــدُ فِعــلَ المــراهمِ[2]

وفي ٥ حزيران عام (١٩٦٧م) أشعلت إسرائيل فتيل الحرب بشنها هجوماً مباغتاً على مطارات مصر وسوريا والأردن، واحتلالها للضفة الغربية لنهر الأردن ومرتفعات الجولان في الحدود السورية وصحراء سيناء في مصر. وفي السابع من حزيران عام (١٩٦٧م) سقطت القدس الغربية بيد الصهاينة وأطلق الإسرائيليون القذائف على الحرم الشريف، وفي ٢٨ حزيران عام (١٩٦٧م) ضمت إسرائيل القدس الشرقية لها أيضاً[3]. وفي عام (١٩٦٨م) هجمت القوات الإسرائيلية على مدينة الكرامة حيث كان يسكنها عدد من اللاجئين الفلسطينيين ودارت معركة حامية وجهاً لوجه مع ٣٠٠ مقاتل فلسطيني، فوقع عدد كبير من القتلى الصهاينة وعلى أثرها تراجع الجنود الصهاينة، ورسمت هذه المقاومة الشعبية طريقاً للنصر ومنحت أوسع دعم شعبي وحكومي عربي وإسلامي للشعب الفلسطيني، وفي عام (١٩٧٣م) تقدم الجيش المصري نحو صحراء سيناء وتزامناً مع هذا الاندفاع أغارت الطائرات السورية على إسرائيل وتم تحطيم عدد كبير من الطائرات الصهيونية في الأيام الأولى لحرب

---

١. *ديوان اللهيب*: ١ / ٩٨.

٢. *المصدر*: ١٠١.

٣. كامل جميل العسلي، *القدس في التاريخ*: ص ٣٢٧ و٣٢٨.

رمضان وقتل الآلاف من الجنود الصهاينة. وبالفعل تحطمت أسطورة الجيش الذي لا يقهر، ولكن الدعم الأمريكي والأوروبي لإسرائيل من جانب وعدم تقديم الدعم لمصر وسوريا من قبل العرب والمسلمين من جانب آخر، غيّر مجرى الحرب لصالح الصهاينة أيضاً، وفي أوائل نيسان عام (١٩٨٧م) عُقد في عمّان مؤتمر القادة العرب وبنحو لا سابقة له إذ لم يتخذ المؤتمر أي موقف على صعيد النضال ضد الكيان الصهيوني. وبذلك فقد تبدّد آخر آمال الفلسطينيين الذين كانوا منذ سنوات ينتظرون الأمة العربية والإسلامية أن تبادر لإنقاذهم من محنتهم، وأخذت فكرة الاعتماد على الذات والتحرك من الداخل والمقاومة الشعبية تترسخ وتنتشر وبهذا تكوّنت الأرضية لانطلاقة جديدة من المواجهة ضد الكيان الغاصب وذلك في خريف ١٩٨٧م من قبل سكان الأراضي المحتلة تحت اسم المقاومة والانتفاضة، وتعددت أشكالها بتغيير الظروف الداخلية والعالمية، وكان عماد هذه المقاومة والانتفاضة الأطفال والشباب الذين استخدموا «الحجارة» ضد الدروع والحصون والدبابات. ولم يتصور الكيان الصهيوني ومؤيّدوه بأن الانتفاضة ستمر وستكون مؤثرة على كيان الاحتلال، ولكنها استمرت وأنهكت قوات اليهود مادياً ومعنوياً، ومن ثمّ أذعنت إسرائيل بقوة الشعب الفلسطيني بحيث جعلتها تنفعل وتكون مستعدة للتفاوض لأنها شعرت بخطورة الأمر فأخذت ذلك بنظر الاعتبار. وهكذا أخذت المقاومة تشق طريقها إلى الأمام، وبطبيعة الحال فقد كان من شأن هذه الانتفاضة أن تترك أثراً كبيراً في صفحات النتاج الأدبي ولا سيما في مجال الشعر، ذلك لأن الأدب أسرع تأثيراً بالمعطى الحدثي[١]. فكانت النتيجة فتح باب شعر المقاومة الذي ترنّم به مئات الشعراء في الوطن العربي والإسلامي كما نراه في شعر الشاعر الفلسطيني سميح القاسم إذ يقول:

---

١. محمد توفيق الصواف، *الانتفاضة في أدب الوطن المحتل*: ص ١٢.

ربما أخمد عرياناً وجائع
يا عدوّ الشمس لكن لن أساوم
وإلى آخر نبض في عروقي سأُقاوم.[١]

٣. لمحات من تاريخ سورية ولبنان وفلسطين الأدبي والسياسي في العصر الحديث

يعدّ القرن الثامن عشر نهاية لفترة الجمود والركود الأدبي والاستبداد الاجتماعي، والسياسي، وذلك بعد ما بزغت معالم النهضة العربية في ربوع الشام، ولا سيما في سماء سوريا ولبنان وفلسطين في القرنين التاسع عشر والعشرين، وكانت هذه الفترة الزمنية في الوقت نفسه قاسية على شعوب المنطقة إذ كانت مليئة بالأحداث السياسية والاجتماعية والثقافية إذ فيها انهارت حكومات، واندلعت ثورات، وزالت نظم، وبرزت أزمات وانقلابات، أهمها سقوط الحكم العثماني من بلاد الشام، واشتعال الحربين العالميتين والانتداب البريطاني على فلسطين والصدامات التي حصلت بين العرب والأتراك من جهة، وبين العرب والغزاة من جهة أخرى، وقد تركت آثارها على نفوس الشعراء الذين تفاعلوا معها فبدأت أصواتهم تدّوي في الآفاق والأنفس فكان الشعب يردّدها ويترنّم بها صباحاً ومساءً. وفي هذا الحقل من الزمن ظهر الشعر العربي الحديث في سوريا على مسلكين ونزعتين: أولهما[٢] جنحت لرصد أحداث الأمة وأحوال الوطن، وتجلت في الشعر الاجتماعي والقومي، والنزعة الأخرى آثرت الشعر الذاتي وتجلت في شعر الوجدان العاطفي.

وقسّم «سامي الدهان» مضامين الشعر الحديث في سورية إلى ثلاثة أقسام

---

١. سميح القاسم، *الديوان*: ص ٤٤٧.
٢. عمر الدقاق، *تاريخ الأدب الحديث في سورية*: ص ٣٢١.

هي: شعر الطبيعة، وشعر النضال، والشعر الاجتماعي والإنساني[١]، ولكن كما أشرنا آنفاً أن للشعر السوري نزعاته وألوانه المتعددة إلاّ أن أقوى ألوانه هو اللّون القومي والوطني.

فمعظم شعراء القطر السوري تجلّى عندهم الاتجاه القومي في العصر الحديث أمثال محمد البزم (١٨٨٧ ـ ١٩٥٥م)، وخليل مردم بك (١٨٩٥ ـ ١٩٥٩م)، وخير الدين الزركلي (١٨٩٣ ـ ١٩٧٦م)، وشفيق جبري (١٨٩٨ ـ ١٩٨٠م)، وبدوي الجبل (١٩٠٤ ـ ١٩٨١م)، وعمر أبو ريشة (١٩١٠ ـ ١٩٩٠م) إذ أخذت نفسه تغلي حين حلّت النكبة فقال:

أمتي، هل لك بين الأمم   منبرٌ للسيف أو للقلمِ
أتلقّاكِ وطرفي مُطْرِقٌ   خَجِلاً من أمسك المنصرمِ
ألإسرائيل تَعْلُو رايةٌ   في حِمى المَهْدِ وظلّ الحَرَم![٢]

وكما نشاهد الشعر القومي عند خليل مردم بك إذ ينادي صارخاً بالأمة لإنقاذ فلسطين والقدس:

بني العروبة كم من صيحة ذهبت   لو يُستثار بها الموتى إذن ثاروا
هنتم عَلَى كلِّ شعبٍ من تخاذلِكمْ   شأنَ العبيدِ وباقي الناس أحرار
إخوانُكم في فلسطين تنالهُمُ   بالسوءِ والعسْفِ أنيابٌ وأظْفارُ
مَهد المسيح ومعراج النبي وأو   لو يُستثار بها الموتى إذن ثاروا

وأمّا في لبنان فقد انصرف جُلّ شعرائه نحو هموم وغايات أخرى لأن الظاهرة الشعرية الحديثة في القطر اللبناني شأنها كشأن البلاد الأخرى قد تفاعلت مع ظروف عصرها واستجابت لها، لأنها مقيّدة بحكم انتمائها إلى

---

١. سامي الدهان، *الشعر العربي الحديث في الإقليم السوري*: ص٩ ـ ٢٧.
٢. *الديوان*: ١ / ٤٧ ـ ٤٨.

بيئتها وظروفها الاجتماعية والسياسية والثقافية، ولذا نرى الصبغة التربوية والثقافية تركت أثرها في الشعر اللبناني أكثر من غيرها في العصر الحديث. ولعلها ناتجة من التبادل بين الثقافتين والأدبين العربي - الإسلامي مع الشعوب الأخرى إذ وجد في لبنان الأبواب مفتوحة على مصراعيها، ولكن في الآونة الأخيرة ولا سيما بعد الاجتياح الصهيوني أخذ مضمون شعر النضال والمقاومة والشعر الحماسي يتغلب على غيره.

كما نشاهده في شعر عفيف النابلسي وهو يخاطب عشّاق القدس إذ يقول:

يا عاشق القدس قم للقدس إنّ لها حقّاً علينا أتى من سالف الزمن
وخلّص القدس والأقداس من نجس وطهّر المسجد الأقصى من الفتن[١]

وأمّا فلسطين فقد اشتركت مع شقيقتيها سورية ولبنان وسار الشعر فيها الاتجاه نفسه إلى إبان الحرب العالمية الأولى، ولكن بعدما تبلور الخطر الصهيوني تغيّر موقف أبناء فلسطين بما فيهم الشعراء وأخذوا يتجهون إلى التعبير عن خطورة الموقف، وتوعية الشعب واستنهاضه وقد كان هذا أهمّ ما استولى على الإنتاج الشعري منذ عصر الانتداب، وحتى هذه اللحظة فإنّ الشعب الفلسطيني بعد نكبته الكبرى جنّد كل ما يملك من الوسائل خصوصاً الأدبية منها لمأساة القدس وفلسطين التي هزّت المشاعر وأثارت العواطف وفتحت للشعر آفاقاً وأبواباً كانت مغلقة وأبدعت موضوعات لم توجد من قبل، فأصبح الشعر من أقوى أسلحة الدفاع وسخّر الشعراء أقلامهم لتحرق بنار كلماتها الغزاة وتقاوم المحتل الغاصب، وفي مختلف الظروف حيث نشاهد محمود درويش يرسل شعره الثوري وأصوات

---

١. عفيف النابلسي، *نفحات عاملية*: ص٦.

أغلال السجن الصهيوني تمتزج مع صوته النضالي إذ يقول:

من آخر السجن، طارت كفُّ أشعاري تشد أيديَكُمْ ريحاً على النّار
مذ جئتُ أدفع مهر الحرف، ماارتفعتْ غيرُ النجوم على أسلاك أسواري [١]

وقد تمثلت في الحياة الشعرية الفلسطينية جميع الاتجاهات والنزعات ولا سيما الاتجاه القومي والوطني والنضالي والحماسي وشارك شعراء الأرض المحتلة شعبهم وأمّتهم، بوعي وإدراك ووضوح هدف، وواكبوا الأحداث القائمة وصوّروها في أحسن تصوير.

وفي الحقيقة منذ حلّت نكبة فلسطين عام (١٩٤٨م) دخلت حياة العرب بل الأمة الإسلامية برمّتها في إطار خاص وأصبح الشعر معبّراً عن العصر وأحداثه وما ألمّ بالأمة العربية والإسلامية من فواجع ونكبات في مختلف الشؤون، وما نلاحظه من خصوصيات للشعر السوري واللبناني والفلسطيني ما هي إلاّ انعكاس لتلك الحوادث وتلك الجريمة التي ارتكبها الاستعمار والصهيونية لإبادة شعب أعزل واغتصاب وطنه لجعلها وطناً لخليط من الصهاينة غرباء عنه. وبالفعل استطاع الشعر السوري واللبناني والفلسطيني أن يبث الوعي، ويفضح العدو، ويحرك عزائم الشعب العربي، ويكشف عن النوايا الخبيثة للأعداء، ويشق طريق النضال، ومواجهة الاستعمار بالتعبير الصادق الذي لازم المدفع والرشاش في كثير من المواقف، ونأمل أن نكون في هذا التمهيد الوجيز قد مهّدنا لموضوعنا الرئيس ألا وهو القدس في الشعر العربي الحديث من النكبة عام (١٩٤٨م) حتى عام (٢٠٠٠م). وعليه نتوكل وبه نستعين.

---

١. *الديوان*: ١ / ١٠٢.

الباب الأول

دواعي شعرالقدس واتجاهاته

تمهيد

في الباب الأول من هذه الدراسة نعرض لدواعي واتجاهات شعر القدس في سورية ولبنان وفلسطين منذ عام ألف وتسعمائة وثمانية وأربعين (١٩٤٨م) وحتى نهاية عام الألفين (٢٠٠٠م).

وقد بدا لي أن أقسّم هذا الباب إلى ثلاثة فصول نبحث في كل فصل منها اتجاهاً من اتجاهات شعر القدس ودواعيه وهي:

١. الدواعي والاتجاهات العربية.

٢. الدواعي والاتجاهات الإسلامية

٣. الدواعي والاتجاهات السياسية.

وقد تضمّن كل من هذه الاتجاهات أبرز المحاور التي تمحورت فيها، وتناولها روّاد شعر القدس في الفترة الآنفة الذكر، ولعلها هي الأساس في الخطاب الشعري حيث دار حولها شعر القدس وركّز عليها شعراؤه، ولقد اخترنا أفضل النصوص والنماذج الشعرية التي تعكس مأساة القدس وتعالجها بالشكل المناسب وتضع الحلول وتحدد الفعل الذي يجب أن يُمارس من

أجل تحرير القدس من مخالب الصهيونية العالمية وإحراز النصر المؤزّر.هذا وسنقف عند كل اتجاه ومحور منه لنرى كيف صور شعراء الأقطار الثلاثة القدس وكيف ظهرت في قصائدهم ومدى تأثير الأحداث التاريخية في شعر القدس وأثر الشعر في هذه الأحداث أيضاً كي تتضح قدرة الشعر ومساهمته في استنهاض الشعب بل الأمة لإعادة الحق والتضحية من أجله.

١

شعر القدس، الدواعي والاتجاهات العربية

إيقاظ الوجدان القومي

ملامح النكبة:

لا نبالغ حينما نقول: إن شعراء سوريا ولبنان وفلسطين وأدباءها كانوا الأكثر يقظةً وإحساساً بخطر الصهيونية ومشروعها الذي شاع وذاع في الثلاثينيات وبداية الأربعينيات، وهذا يلمسه المتابع لقصائد هؤلاء كما في قصيدة خير الدين الزركلي (فلسطين ـ ١٩٣٠م) إذ دعا العرب فيها لكي يهبّوا ويلبّوا نداء فلسطين التي راحت تشهق وتئنُّ من شدة ما نالها من حيف وظلم قائلاً:

صرختْ فلسطين الكليمةُ صرخةً   تشكو ظُلاَمَتَها فسالَ عقيقُها
هي شَهقةٌ حملتْ مآسي أمّةٍ   بسنا الأسنّةِ قد أجيبَ شهيقُها[١]

واستبشر الشاعر محيي الدين الحاج عيسى في قصيدته (المؤتمر الإسلامي ـ ١٩٣٢م) بالمؤتمرين لدراسة وضع فلسطين وليشكو لهم ماحلَّ بها من معاناةٍ قائلاً:

---

١. الديوان: ص ٢٣٥.

فلسطينُ ذاقتْ صنوفَ الأذى وكاد البراق بها يذهبُ
وأضْحَتْ على ضَعْفِها سِلْعَةً تباعُ وتُشْرى وتُستوْهَبُ
فيا قادة الشرق هذا الحمى إليكم جميعاً غَداً يُنسَبُ
فَصُونُوهُ حتى يُصانَ البُراقُ ويَرضى الذي دارُهُ يَثْرِبُ[١]

وقد أحسّ الشهيد عبد الرحيم محمود بالكارثة قبل أن تقع وذلك من خلال تتبّعه لمجريات الأحداث التي تعصف بفلسطين وعلى رأسها غفلة أصحابها والعمل الدؤوب لأعدائها، إذ يطلق صرختهُ المدوّية الممزوجة بمرارة الشكوى والإحباط مخاطباً الأمير سعود بن عبد العزيز الذي جاء يزور القدس حينذاك:

ياذا الأمير أمامَ عينك شاعرٌ ضُمَّتْ على الشكوى المريرةَ أضلعُهْ
المسجد الأقصى أجئت تزورهُ أم جئت من قبل الضياع تُوَدِّعُهْ[٢]

وأمّا الشاعر بدر الدين الحامد فقد دعا الأمة العربية لمداواة الجرح الفلسطيني ومعالجة الواقعة قبل استفحالها لافتاً الأنظار لمأساة الشعب الفلسطيني السليب محاولة منه لإيقاظ الوجدان في قصيدته (وفد الأمة ـ ١٩٣٦م) حين يقول:

هذي فلسطين الشهيدة تصطلي نار الوعيد
يرمونها بالعدَّة الصّماء ظلماً والعديدْ
كم من فتاةٍ رُوِّعتْ برصاصهم كم من وليدْ
إخواننا وبلادنا يجتاحها الباغي الشريدْ
ويل لهم من غارة عربية تفري الحديد[٣]

---

١. محيي الدين الحاج عيسى، *من فلسطين وإليها*: ص ١٧.
٢. عبد الرحيم محمود، *ديوانه*: ص ١١٣.
٣. بدر الدين الحامد، *ديوانه*: ص ١٨٠.

وقد اعتبر وديع البستاني الجامعة العربية فكرة فارغة من المحتوى، إذ كيف تكون جامعة يراد بها الحفاظ على الحياض والذود عن الحمى وهي لم تعالج عدواً انتهك قلب الحمى وعَدا عليه، وهذا بعد ما لاحظ الشاعر أن الجامعة لم تورد القدس في بنود قراراتها الرئيسة عام ألف وتسعمائة وخمسة وأربعين قائلاً:

أجامعةٌ وما للقدس فيها ... سوى الذيل المعلّق بالبنودِ
وما معنى العروبة في حماها ... وفي قلب الحمى وطنُ اليهودِ[1]

وبناءً على هذا يرى عمر الدقاق أن ملامح المأساة كانت واضحة لدى الكثيرين من أدباء العرب في العديد من أقطارهم خلال فترة مابين الحربين، حين كان شبح النكبة ماثلاً بوجهه الكالح لدى الأدباء الذين استشعروا الخطر قبل ساستها وزعمائها[2]. ومع اندلاع النكبة ازداد التزام الأدب عامة والشعر خاصة بالقضية الفلسطينية، حتى بات الأدب كُلُّه أدباً فلسطينياً[3] وبعد ما فجّرت كارثة القدس وفلسطين قرائح شعراء بلاد الشام، حتى أصبح صراخهم شعراً منظوماً، وآلامهم نثراً مسجّعاً ألهب العواطف الجيّاشة، وأثار المشاعر الوجدانية، وأشعل نيران القومية العربية وهزّها هزّاً عنيفاً، امتزج حب الوطن والأهل والدين وكوّن إنساناً قد تصل الحالة به إلى أن لا يرى إلاّ وطنه وقوميته وقيمه ـ حسب تعبيرهم ـ فكيف به إذا رأى نفسه مشرَّداً منكوباً، سليب الوطن، قتيل الأهل، وحاضره مظلماً من جانب، ويحمل أملاً قوياً لمستقبله المشرق من جانب آخر، وغيرها من الدواعي حيث دفعت شعراء القدس إلى الفكر والاتجاه القومي العربي في سبيل أن يقوم هذا الاتجاه

١. وديع البستاني، *ديوان الفلسطينيات*: ص ٨١.
٢. عمر الدقاق، *فنون الأدب المعاصر في سورية*: ص ٣٦١.
٣. حنا عبّود، *النزوحات الكبرى ومعالم الأدب العربي*: ص ٢١.

لعلاج مأساة القدس وتقليص أزمتها وتحريرها من براثن الاحتلال الصهيوني عن الطريق القومي العربي، إذ أرض فلسطين هي بقعة من الوطن العربي، وأبناؤه أولى من غيرهم في شد الحزام لتحريره، إذ يرى هذا الاتجاه العرب أمة واحدة ويؤكد استطاعتها لاسترجاع ما أُخذ منها إذا ما وحّدت الأمة العربية صفوفها وكرّست طاقاتها لخدمة الأمة والوطن. ولقد كان وما زال لشعراء هذا الاتجاه دور عظيم في إيقاظ الوجدان القومي العربي وشحذ العزائم، وتصعيد الهمم، وبث الوعي الثوري، واستثارة الحماسة والنخوة في النفوس الأبيّة، والدعوة إلى النضال ومواجهة الاستعمار والاحتلال الغاشم، وبالفعل فقد تبلور هذا الجهد من الشعراء في انتفاضات شعبية قومية عديدة، بعد نكبة فلسطين عام (١٩٤٨م).

١. القدس وخطاب الأربعينيات

من يتصفّح ديوان شعر الاتجاه القومي العربي يجده منغمساً في برك الدم العربي الموّاج وذلك من أجل القدس والتحرير والحرية، إيماناً عميقاً من أصحابه برسالتهم المجيدة. وانطلاقاً من هذه القناعة جاءت اهتمامات الشاعر عبد الله يوركي حلاق بالقضايا القومية حيث رأى هزيمة الصهاينة قدراً لا مفرّ منه، وذلك لأنه يعلم من قومه العرب أنهم أباة ضيمٍ لايذعنون للغاصبين المحتلين سيما إذا كان الاحتلال لأرض عزيزة عليهم ومقدّسة عندهم، متوعّداً الصهيونية بالهزيمة على يد العرب لا غيرهم، إذ أنّهم لبالمرصاد وسوف يهزم العدو من القدس أرض محمد ﷺ وأرض عيسى عليه السلام، حيث يقول في قصيدته (الهدنة ـ ١٩٤٨م):

صهيونُ مهلاً لا تَتيهي بالّذي أحْرَزْتِهِ فالْعُرْبُ بالمرصادِ
لم يُذعنِ العربُ الأباةُ لغاصبٍ باغٍ، ولا صبروا على استبدادِ

المسجدُ الأقصى لآل محمدٍ ولآل عيسى مهدُ عيسى الفادي
وطنٌ عزيزٌ نحن أُسدُ عرينه ونذودُ عنهُ بعزَّة الآساد[١]

وهكذا يرى الشاعر علي دمّر في قصيدته (الفراش الأحمق ـ ١٩٤٨م)، هزيمة الصهاينة أمراً مؤكداً على يد جيش الأمة العربية بعد توكّلهم على الله سبحانه ويطرب لزحفهم نحو القدس جاعلاً النهار ليلاً في عيون فلول الصهاينة الغزاة صارخاً:

لابُدَّ من يوم نُثيرُ قتامه
حتى يصيرُ الكون ليلاً أسْحما
تهتزُّ للهول السهولُ تَذمُّرا
وتنوح للخوف الجبالُ تألُّما
وترى جيوش العُرب زاحفةً إلى
قلب العروبة كالجراد إذا نما
يَشدُون باسم الله في هَيْجائهم
الله أكبر ما أشدَّ وأعظما
يوم كيوم القدس من أجدادنا
لما أحاطوها حصاراً محكما
ويح اليهود إذا مشينا نحوهم
كالليل يزحف في السماء مُخيّما[٢]

وأمّا الشاعر الفلسطيني حسن البحيري فقد نظم قصيدته (فلسطين ـ ١٩٤٨م) بعد النكبة التي هالته وأذهلته إذ كيف يصدّق أن تصبح القدس عاصمة ومركز حكمٍ للكيان الغاصب اللقيط، وهناك من الأمة العربية

١. عبد الله يوركي الحلاق، *حصاد الذكريات*: ص٥٨.
٢. علي دمّر، *ديوانه*: ص١٠٢.

إنسان واحد حين يقول وقلبه يتلظى ويكتوي بنار القدس:

يا وَيح مَنْ جاورتْ أرضي عروشهُمُ وغُصّتُهُم في رياض الصَّفْو وسنانُ
أ أغتدي بهَوى إسرائيلَ دارَ مُنًى له بمَقْدِسِها تاجٌ وإيوانُ
ويُهْدَمُ المسجدُ الأقصى وصخرتُهُ وفي الوَرَى مِنْ بقايا العُرْب إنسانُ[1]

نعم، فاجعة القدس أدمت القلوب، وبدّلت الأعيادَ أحزاناً لعظيم ماحلَّ بالنفوس إذ جعلها تكتوي وتشتوي بشماتة الأعداء، فها هو ذا عمر أبو ريشة اهتزت مشاعره وامتزج دمُ قلبه بشعره متذكراً المتنبي، في قصيدته (يا عيد ـ ١٩٤٩م) حينما أطلَّ عليه أوّل عيد النكبة، لكن الشاعر لم يدع هول النكبة يمسح الآمال المكتوبة في قلبه بحروف العزم ورفض الذلة والضيم.

يا عيدُ كم في روابي القدس من كبدٍ لها على الرفرف العلويّ تعييدُ
سالتْ على الغر إرواءً لغصّته والعز عند أباة الضيم معبودُ
هيهات لن يشتكي ما طُلَّ من دمها فالحقدُ مضطرمٌ والعزمُ مشدودُ
سينجلي ليلُنا عن فجر معتركٍ ونحن في فمه المشبوب تغريدُ[2]

٢. خطاب الخمسينيات

من الأصوات الشعرية التي حاولت إيقاظ الوجدان القومي العربي لتحريض الأمة العربية لتحرير القدس، لا ترى لها عيداً سعيداً في ظل الاحتلال الصهيوني مشيرةً إلى الفجائع الدامية التي ارتكبها الغزاة ولم تترك أحداً يشعر بحلاوة الحياة ولذة العيش في وطنه، صوت سليمان العيسى في قصيدته (نحن والعيد ـ ١٩٥١م) إذ عكس حزنه لما حلَّ بالقدس قائلاً:

---

١. حسن البحيري، *الأنهر الظمأى*: ص١٠٣.

٢. عمر أبو ريشة، *ديوانه*: ١ / ١٠١.

أيُّ عيــــدٍ أتلقَّـــاه وأغـــدو مَرحـاً أزهـو علـى الكـونِ وأشـدو؟
وبــلادي ألــفُ جُــرْحٍ يــستبدُّ وثَــرى القــدس دمٌ مــاجَفَّ بعــدُ
أيُّ عيــــدٍ أتلقَّـــاه رغيـــد؟ وعــدوّي مُدْيــةٌ فــوقَ وريــدي؟[1]

وأمّا يوسف الخطيب في قصيدته (العيد يأتي غداً ـ ١٩٥٥م) فعطف أنظار الأمة العربية إلى مأساة الاحتلال والنكبة وما خلّفته من جراحاتٍ بليغة في جسد الأمة، مناشداً الوجدان والضمائر الحية باسم اليتامى الصغار أن تترك الأفراح والاحتفالات وتسارع لتحرير القدس إذ لا معنى للأعياد والقدس مكبّلة بيد الأعداء إذ يقول:

باســم أيتامنــا الــصغار يحومــو نَ علـى العـيش كـالفراش الحـائرْ
فِــيمَ أعيادنــا، وفــيمَ الأهازيــ ـجُ وحـشْدُ الآلاف حـول المنـابر!
أيُغَنّــي أنــشودةَ النــصر مهــزو مٌ ويُــذكي الحمـاس تهـريجُ شـاعرْ
مالنــا والفخــار، والقــدس تــدعو نــا فهــل حَرَّكــت حَمِيَّــةَ ثــائرْ[2]

يظهر مما مرّ أن قصائد هذا العقد من الزمن جاءت في صور زفرات مُرّة مكتوبةً بنار المصيبة التي حلّت بالقدس مصطلية مغتلية بها، يعلو صوت الحزن والأسى منها، مستنجدةً بالصغير والكبير تخاطب وجدان الأمة العربية تارة ووجدان الأنظمة تارة أخرى، يغلب عليها اليأس وخيبة الأمل في يومٍ وتستبشر بالنصر والظفر في اليوم الآخر، وهذا نشاهده أيضاً في قصيدة الشاعر عبد المنعم الرفاعي (ثورة العرب ـ ١٩٥٨م)[3] وقصيدة الشاعر حسن البحيري (الأنهر الظمأى ـ ١٩٥٨م)[4] وقصيدة الشاعر محمد العدناني (الجمهورية العربية

---

١. سليمان العيسى، *الأعمال الشعرية*: ١ / ١١٣.
٢. يوسف الخطيب، *العيون الظمأى للنور*: ص٨٦.
٣. عبد المنعم الرفاعي، *المسافر*: ص٥٣.
٤. حسن البحيري، *الأنهر الظمأى*: ص٧٩.

العربية المتحدة ـ ١٩٥٨م) حيث يرى القدس مرتدية ملابسها الجديدة بعدما حررتها العرب ويدوّي في مآذنها آذان الصلوات وتكبيرات النصر وتسمع من كنائسها نواقيس العبادة والأفراح يقول فيها:

ونستردّ فلسطيناً يُؤازرُنا نصرٌ من الله يجلو الشكَّ والرِّيبا
وتلبسُ القدسُ قلبُ العُرب مُشرقَةً من بعدِ لَيْل الأسى أثوابها القُشُبا
ويضحكُ المسجدُ الأقصى وصخرتُهُ وقُبَّةٌ فوقَها قد بَزَّتِ القُببا
الله أكبرُ إن دَوَّت مآذنُهُ بها أصاخ إليها الدهرُ وانجذبا
وللنواقيسِ لحنٌ في كنائسها سَيَتْرُكُ اللُّبَّ لُبَّ الكونِ مُستَلَبا[١]

٣. الستينيات ونكسة حزيران

مرت سنون ودخلت المأساة في عقد الستينيات والحزن والألم اللّذان يعصران قلب الشاعر عبد الله يوركي الحلاق منذ النكبة إذ نجده صارخاً صرخةً قويّةً منبعثةً من أعماقه الجريحة علّها تهزُّ القلوب المتحجرة وتصحو تلك الضمائر الخامدة التي مازالت صمّاء ولم تسمع الصرخات الموجعة المستنجدة متجاهلة القدس وما فيها من الأماكن المقدسة، مُذكّراً بالعروبة تارة وداعياً إلى الوحدة القومية تارة أخرى قائلاً في قصيدته (طفل فلسطيني ثائر ـ ١٩٦٣م):

دمُنا يصرخُ في أعماقِنا مالكم في صمَمٍ عن عَتَبي
يا أُباةَ الضيمِ، قد طالَ المدى واستبدَّ الشوقُ بالحرِّ الأبي
بيتُ لحمٍ وُلِدَ الفادي بها وجبالُ القُدسِ معراجُ النبي
أو نرضى أن نراها مسرحاً للبغايا وعبيدِ الذَّهبِ[٢]

١. محمد العدناني، *العدنانيات*: ٢ / ١٨.
٢. عبد الله يوركي الحلاق، *حصاد الذكريات*: ص ١٩١ ـ ١٩٢.

ثم يخاطب الوجدان العربي على لسان أطفال فلسطين بعدما أصبحوا كباراً وأخذوا بالأسئلة عن أوطانهم، عن حيفا ويافا والقدس و... . وعن سبب ضياعها وعن النضال والجيوش العربية معلّقين كل آمالهم على الغد المرتقب متفائلاً بالنصر المحتّم قائلاً:

رُبَّ طفلٍ صاحَ من أعماقِهِ أينَ حيفا؟ أينَ يافا؟ يا أبي
أينَ سهلُ اللدِ؟ هل يُرْجِعُهُ جيشُنا يومَ النضالِ الأشيب
أينَ تُربُ القدسِ، هل تلثمُه شفتي في غدِنا المرتقَب؟[1]

كان الكل يرتقب زحف جيوش الأمة العربية ويعدّ الثواني للنصر المؤزّر وهزيمة المتآمرين والغزاة الصهاينة إذ النصر دائماً حليف المظلوم مهما كان الظالم متغطرساً ومهما كانت قدرته، وكل الشعوب العربية كانت واثقة بالنتيجة بعد ما تبسم الفجر أمام أعينها ورأت جحافل جيوش التحرير تتجه نحو القدس وإذا بهزيمة حزيران (١٩٦٧م) يسدُّ ظلامها الآفاق ويرتدُّ طرف الناظرين باكياً أرمداً من هول الهزيمة التي حلت به، لكن تيار إيقاظ الوجدان القومي لم يستسلم لليأس ويستكين للخيبة مادامت الضمائر فيها وميض للثورة، ولعلَّ في الهزيمة عبرةً، لذا نرى صرخة الشاعر حسن البحيري مدوّية في قصيدته (يا أمتي لن تُقهري ـ ١٩٦٧م) يقول:

اغضَبْ وَفَجِّرْ في حنايا الصَّدْرِ بُرْكانَ الغضبْ
اغضَبْ وَخُضْ ساح القتالِ وأنتَ أمضى من لَهَبْ
اغضَبْ وقل: قدري على صفحات أيامي كَتَبْ
حَقّي وأفراح الحياةِ، وكلُّ أمجادِ الحقب
في القدس في أرضي الحبيبة في فلسطين العربْ[2]

---

١. *المصدر*: ص ١٩٣.
٢. حسن البحيري، *الأنهر الظمأى*: ص ١٤٣.

ومن هذا المنطلق، أي: العثرة لا تعني الهزيمة، فلكل صارم نبوة نرى الشاعر زكي قنصل يُحرّك الوجدان القومي العربي في قصيدته (كفاح وأمل - ١٩٦٧م) يصرخُ قائلاً:

لم يَمُتْ قومي ولا ضاعَ الأملْ ... كَبْوةُ الفارس لا تعني الفَشَلْ
يا بني أمّي استعدُّوا لِغَدٍ ... عُدَّةُ العيش كفاحٌ وأمَلْ
إن للعود بكفّي مؤمن ... هَيْبةُ السيفِ تحاشاه الأَجَلْ
لم نَزَلْ في أول الدرب فلا ... يُثنِنا عنه قُنوط أو كَلَلْ
لا نَثِقْ إلاّ بإمكاناتنا ... أخسرُ الناس على الناس اتكَلْ
لن تُردَّ القدسُ إلا بالوغى ... تتهادى بالمواضي والأسلْ[١]

ومن نمط هذا الشعر أيضاً خطاب الشاعر عبد الله يوركي الحلاّق في قصيدته (ذكرى أورخان - ١٩٦٨م) قائلاً:

وقُمْ إلى الزّهر نقطفْهُ لتنسجَهُ ... جِسانا الغيدُ أكفاناً لموتانا
وسِرْ إلى المسجد الأقصى لِنقِذَهُ ... من الطغاة فيومُ الثأر قدْ حانا[٢]

ولكن الشاعر عبد المنعم الرفاعي عكف على نفسه يكتوي بنار الحزن ويتأوه لما رأى وشعر بثورة باطنه، وهذا ظاهرٌ من قصيدته (عام - ١٩٦٧م) إذ يقول:

وأمدُّ السَّمْعَ في الأفق فما ... غيرُ هَمْس وبقايا عُنفوانِ
وظِلال ذابلات حولَنا ... مِنْ شَذى القُدْس وَريّا عَسْقلانِ
والتُّقى في المسجد الأقصى خَبا ... فإذا التنزيلُ يرثي للأذانِ
وَشكاة باحَت البلوى بها ... بَيْنَ أشباه خيام ومباني
وأنا وحدي أداري في الدّجى ... ثورةً شَمَّا تدوِّي في كياني[٣]

---

١. زكي قنصل، *الأعمال الكاملة*: ١ / ١٠٠.
٢. عبد الله يوركي الحلاق، *ديوان عصير الحرمان*: ص ٢٠٦.
٣. عبد المنعم الرفاعي، *ديوانه المسافر*: ص ١٠٣.

٤. خطاب السبعينيات

في هذا العقد أخذ خطاب إيقاظ الوجدان القومي نوعاً من الحدّة والشدّة عند جلّ شعراء القدس كما نشاهده لدى الشاعرة هند هارون في قصيدتها (عودة تشرين ـ ١٩٧٤م) إذ تحثّ على القتال والنضال حتى ولو انجر إلى الشهادة فهو السبيل الوحيد لتحرير القدس، وإنّ وصمة الخزي والعار التي ألحقتها هزيمة نكسة حزيران لا يمكن تطهيرها وغسلها إلاّ بنهر دماء النضال والتضحية لكي يتسنّى العيش والحياة بكرامة أو الموت بعزة، وكأنها تريد أن تشير إلى كلام الإمام الحسين بن علي عليه السلام «لا أرى الموت إلاّ سعادة والحياة مع الظالمين إلاّ برما» قائلةً:

لا تغيبي.. يا أماني العرب.. عن غالي روانا
واستحمي.. بنمير.. منه أطياب.. ثرانا..
واغسلي الأحزان.. في نهرٍ.. غزير.. من دمانا
واقطفي.. من بارق النجم.. زهوراً.. من عُلانا.
قد نذرنا النفس.. أن نحيا.. كراماً.. في ربانا
سوف نصليها.. سعيراً.. سوف نغزو.. من غزانا.
عزّت القدس.. على الباغين.. لا تبغي سوانا[1]

وقريب من هذا المضمون صوت الشاعر سليمان العيسى في قصيدته (يابْنَ الصخور البيض ـ ١٩٧٤م) قائلاً:

الفارس العربيُّ.. تُنْبِتُهُ   في القدس ريحُ الموت، في النَّقَبِ
في كُلِّ سُنْبُلَةٍ مُضَرَّجَةٍ   بدم الفلسطينيِّ، باللَّهَبِ[2]

---

١. هند هارون، *مسار المعبد*: ص ٦٨.
٢. *الأعمال الشعرية*: ١ / ١٥٩.

ومن الأصوات الشعرية التي ظلّت تحرّض الوجدان القومي العربي وتحثّه على الزحف وحمل السلاح لتحرير القدس الشريف، صوت الشاعر ناصر الخوري في قصيدته (تشرين ـ في السبعينيات) إذ يرى عملية التحرير باتت حتمية ولن يتوانى أبناء الأمة العربية، المسلمون منهم والمسيحيون لحظة واحدة وسيجرف بحرها الموّاج المحتلَّ الغاصبَ وتبقى القدس شامخةً إذ يقول:

قـدَرٌ قـد خطَّـه الله علينـا ... وسنمـشي دربـه عمًّـاً وخـالا
ويمينـاً مـا تركنـا الساح حتـى ... ترجـع القـدس صـليباً وهـلالا
أمتـي والزحـف سـيف يـتلالا ... خـطَّ فـي الميـدان للعـرب المقـالا
زحْفُنـا بحـر ومـوج غاضـب ... فافسحوا للبحر في الساح المجالا
لـن ينـالوا البغـي منّـا مـا صـنعنا ... هُ بفخـرٍ للعلا لا لـن ينـالا[١]

ويستمر الاغتصاب وتستمر الحرقة والحزن في قلب الشاعر حنا جاسر في قصيدته (هنا كان شعب!.. ـ ١٩٧٧م) حيث استمر بنفخ العزم في الصدور وإيقاظ الوجدان علَّ الثمر يحين قطافه متفائلاً ببزوغ النصر مهما كان عمق الجراح، مادامت أمتنا العربية أمة واحدة ولا فرق بين بلاد الشام والعراق ولبنان ... إذ الحدود بينهما هي حدود مصطنعة أوجدها الاستعمار وأقرّه من يدور في فلكه إذ يقول:

سـيبزغ فجـر النـصر يـا بنـت أمتّـي ... وينتـشر الـوعيُ الكبيـر بأرضـها
فـإن عـراق الـشام، شـامُ عراقـهِ ... وقـدس رُبـى لبنـان، لبنـان قدسـها؟!
وإنّ طريـق الثـار بانـت جليّـةً ... أيفهمهـا الحكّـامُ؟ أم عـزّ فهمُهـا؟![٢]

أمّا نجيب جمال الدين، الشاعر اللبناني فقد وجّه أصابع اللوم إلى الوجدان القومي لبعض زعماء وحكّام الأمة العربية وصبَّ جام غضبه عليهم

---

١. ناصر الخوري، *سنابل*: ص ١٠.
٢. حنا جاسر، *أمة وجراح*: ص١٠٦.

إذ لو أعانوا الأمة ولو بالبترول واستعملوه كسلاح بوجه الصهيونية ومن حذا حذوهم لأصبح العدو ضعيفاً وانهار أمام أبطال العرب والإسلام الذين لا يرهبون الموت، بل ترى الموت يرهبهم إذا وثبوا وهبّوا لتحرير القدس الصامدة، وهذه رؤية الشاعر تنسجم مع رُؤى الكثير من أبناء العالم العربي والإسلامي ترى فيها سبيلاً لخلاص القدس، وهو يشير إلى الشام ويخُصّها بالذكر لأنّها كانت وماتزال تُذَكّر الأمة بالقدس وتعمل لأجلها متحملةً كلَّ الضرائب إذ يقول في قصيدته (أحِبُّها.. الشام ـ ١٩٧٩م).

كُلُّ الصّواريخ ما كانَتْ مُجنَّحَةً
ولا هَوَتْ عاصفاً
يَستأصل العَصَبا
لولا أصابعُكَ السَّوداءُ
حانيَةً على البَراميل
تُحْصِي العرض والطَّلَبا
لَوْ بائِعُ الزيتِ
وَفَّى بعضَ ذمَّتِهِ إلى دمٍ مِنْ هُنا..
أعلى لَهُ الرُّتَبا
أو باعَنا زَيْتَهُ في سِعْرِ عِزَّتِهِ
أولا.. أمَّل المُنى
عَنْ غيرنا حَجَبا
لأنْقَذَ القُدْسَ جُنْدٌ في الشَّامِ
مَضوا، لَو واثبوا الموتَ
أقْعى الْمَوْتُ مُرْتَعِبا[1]

١. نجيب جمال الدين، *قصائد إلى عاصمة المدن الشرقية*: ص ١٧٩.

٥. القدس في الثمانينيات

النصوص الشعرية التي تعكس الاتجاهات القومية العربية ودواعيها الوجداني في هذا العقد من الزمن كثيرة جداً ولا سيما تلك التي أُبدعت بعد الانتفاضة في الثمانينات واندلاع ثورة الحجارة والمواجهات المسلحة البطولية التي أخذت تتوسع في الأراضي المحتلة بعد ما أثبتت بأنها قادرة على مقاومة الاحتلال وقلع براثنه مهما امتلك من أسلحة وأدوات عسكرية متفوّقة. ولعل النماذج الشعرية التي حاولنا الإشارة إليها خير دليل على الحقيقة التي ألمحنا إليها قبل سطور، كما نشاهد بأن الشاعر في هذه الفترة لم يكن مقاتلاً بالكلمة الفنّية فحسب بل تحوّل إلى مقاتل يحمل البندقية والقلم معاً ليسطّر أروع البطولات وأخلدها في الشعر المقدسي ويسجّل ملحمة تاريخية حازت على الإكبار والثناء. ولعلّ أبرز ما لاحظناه في قصائد شعراء هذه الفترة هو نوع يأس من الوجدان القومي العربي، لشعراء بُحّت أصواتهم وكانت النتيجة الملاحظة في كل ما مرّ هو لقلقة اللسان فقط، إذ لم يثمر إيقاظ الوجدان الثمر المطلوب؛ ولذا ومن هنا بدأ خطاب شعر القدس يتوجّه للذات الفلسطينية كما يظهر من الشاعر هارون هاشم رشيد في قصيدته[١] (يا شاعري لا تقبل العزاء - ١٩٨٢م) يقول فيها:

نزارُ
إنّ الشّعرَ هذا اليومَ
يَسْتَقِيلْ
يُلَمْلِمُ الأوراقَ كُلَّها
ويُوقِفُ الهَديلْ
يَنْسَحِبُ اللَّحظَةَ مِنْ ساحَتِهِ

١. هذه القصيدة قدمت كباقة حزن إلى نزار قباني.

ويُعْلنُ الرَّحيلْ
لأنَّ أمَّةً كهذه
لا تَسْتَحقّهُ في عَصْرها الذّليلْ
لأنّها كَمَا تَرى،
مَشغُولةٌ عن حقّها النبيل
مشغولةٌ عَنْ شَعْبنَا الأصِيلْ،
في القُدْسِ
في غزَّةَ في الخَليلْ
في اللّدّ في عَكّاءَ في الجَليلْ
مشغولَة عنهُ،
وعَنْ صِراعِه الطَّويل[1]

وتراجع تيار القومية العربية أيضاً لدى الشاعر عزران حجازي كما نشاهده في قصيدته (فداءً للقدس ـ في الثمانينيات) إذ فقد شعور الثقة بوجدان الأمة العربية لما عرض لها من غفلة، وتفكك، وانشغال في سفاسف الأمور، والاختلافات بين العرب ممّا زاد في تراخيها عن قضية القدس، ويرى الشاعر أن الحل الوحيد لتحرير الأرض المقدسة هو توحيد الصفوف والعزيمة الفولاذيّة فقط لا الخطب والتهديدات التي لاتتعدى الألفاظ، حيث يقول:

يا أُمَّةً مشغولةً عَنْ عِرْضِها ... بمَظاهر الألقاب والأسماء
لنْ يرجعَ الأقصى بنَظْم قصيدةٍ ... أوْ خُطْبَةٍ بَتْراءَ أوْ بدُعاء
لَنْ تُرْجِعَ الأقْصَى عزيمةُ أُمَّةٍ ... إنْ شابَهَا عُضْوٌ أُصيبَ بِداء

١. هارون هاشم رشيد، *طيور الجنة*: ص١٣٢.

هَـلْ تُرجِـعُ القـدسَ الجريحـةَ أُمَّـةٌ تتقـاذَفُ التهديـدَ كـلَّ مساء
القـدسُ تَرْجِـعُ إنْ أرَدْنـا رَجْعَهـا بتَوَحُّـدٍ وعَزيمـةٍ وإخـاء[1]

ولعلّ هذا نفسه، أي: تراجع تيار القومية العربية، حمل الشاعر كمال رشيد على الخطاب بلهجة حزينة، وصريحة، وصدر يفيض منه الألم والحسرة لما جرى ويجري في أرض فلسطين والقدس من الحصار، والتشرّد، ونسف البيوت وقتل مَنْ فيها، وسبي الأطفال والنساء، هذا كله في مرأى ومسمع من الأمة العربية وهي لا تحرّك ساكناً وتباشر الحياة اليومية غير مبالية ولا مكترثة بما تلاقيه القدس من ويلات، صارخاً في قصيدته (نائمون ـ ١٩٨٩م).

تنامون مِلْءَ العيونْ
تَعُبون مِلْءَ البُطون
وفي ليلكم تسمُرون
وفي صبحكم
إلى كل درب تسيرون تَسترزقونْ
تبيعون أو تشترون
وتستمتعون، ولا تألمون
ولا تقرؤون، ولا تسمعونْ
بأن الخليل تعاني حصاراً
وتطلب عوناً وترجوا انتصارا
وأن العدو تمادى، وقد هدّ في القدس خمسين دارا[2]

---

١. عزران حجازي، *القدس في القلب وفي الأسر*: ص ٢٣.
٢. كمال عبد الرحيم رشيد، *القدس في العيون*: ص ٧٥.

٦. القدس في التسعينيات

وردت القدس في قصائد هذا العقد لتعبّر عن المطالبة بتحريرها بالفعل والعمل وترك الشعارات الزائفة والبعيدة عن الواقع، داعين الأمة العربية وساستها لأن تنتفض وتدافع عن وجودها، وشرفها وعرضها، وقدسها المدنس دفاع القوي المقتدر المنبثق عن العزة العربية والكرامة الإنسانية تارة، والمحاولة لإعادة قضية فلسطين والقدس للأذهان وجعلها أهم واجبات العالم العربي والإسلامي بعد ما أصبحت تتصدّر البيانات العربية فقط، تارة أخرى ولذا نرى صرخة هارون هاشم رشيد في قصيدته (صرخة الأقصى في التسعينيات) على لسان المسجد الأقصى في وجه أمته العربية يخاطب وجدانها للقيام بالمسؤولية قائلاً:

المسجدُ الأقصى يُباحُ ويُهْدَمُ والعالَمُ العربيُّ غافٍ يحلمُ
المسجدُ الأقصى يَدور بساحِهِ الآثمونَ الغادرونَ ويُظْلَمُ
المسجدُ الأقصى على أفواهِنا نَغَمٌ نُرَدِدُهُ وشعرٌ يُنْظَمُ
وقَصائِدٌ رَنانَةٌ نَهذي بها وتَلفُّتٌ وتَحَسُّرٌ وتَألمٌ
المسجدُ الأقصى وفي كَلِماتِنا وَعْدٌ بنُصْرَتِهِ وعَهْدٌ يُبْرَمُ[1]

وأمّا الشاعر علي عقلة عرسان ففزع إلى التاريخ يستذكر القدس منذ نشأتها ويستقلّ التاريخ ليشن حملته على المخططات الصهيونية التي حاولت طمس عروبة القدس وإسلاميته وليشن حملة أيضاً في آن معاً على الأمة العربية بل الدول العربية والإسلاميّة ويوجّه النّقد اللاذع لها لما قصرت في استعادة «أورسالم» وإنقاذها من العصابة الصهيونية، وهذا النوع من الشعر السياسي، والتاريخي والقومي جعل القدس تحتل مكانة مرموقة في شعر

---

١. هارون هاشم رشيد، *قصائد فلسطينية*: ص١١٦.

القدس وأظهر أن القدس ليس مدينة عادية وإنّما هي مدينة عريقة لها حضارتها وتاريخها وأنها عربية منذ تكوينها ونشأتها، وحاول الشاعر أن يجعل القدس هي القضية المصيرية لدى الأمة العربية والإسلامية ومن الواجب على أبناء العرب أن يفرحوا لفرحها وأن يحزنوا لحزنها ولا يمر صبح ولا مساء إلاّ وأن يستذكروها ويسارعوا لتحريرها ولا يوجد أمر أهمّ من هذا ولا واجب أوجب من هذا، إذ يقول في قصيدته (أورسالم... صباح الخير ـ ١٩٦م):

أوْرْسالمٌ..
صباحُ الخير..
صباحُ التاريخ،
فأنت الخيرُ، وصدْقُ التاريخ،
صباحُ الخير.. مساءُ الخير،
فأنت صبحُنا والمساء..
ضحكنا والبكاء.
قبل اليبوسيين،
قبل مئتين من سنين من عهد هارون وموسى،
كنت تميمةَ العربي ومحرابَ فؤاده،
تبكيك العينُ وتُشْرِقُ بك
في الروح.. أنت نبعُ الفرحِ ونبعُ الدموع،
ثم يقول:
ولا بد لصاحب الحق والحقل والشجرة والسر من سيف وعزم،
ليكون له ما ملك وما استنبت،
وليحفظ ما ملك وما استنبت؛
يجني الحسرةَ ونارَ الخسران،

ويعيش شهقةَ الأمنيات ساعة النزع،
وليلاً سرمديَّ الحرمان.[١]

تفاءل الشاعر محمود حامد بانتفاضة الأقصى ورأى تحرير القدس أصبح قاب قوسين أو أدنى وأن ليل الاحتلال الداجي أدبر وانصرم، ونجمة الفجر الصادق تلألأت في سماء فلسطين وأشرقت القدس بنورها وطربت منارات المسجد الأقصى راقصة فرحة لأصوات تكبير أبناء الانتفاضة التي لم يسمعها أحد إلاّ وكبّر معها مستبشراً بقرب النصر مؤكداً استمرار النضال ضد المستعمرين، إذ يقول في قصيدته (الطريق إلى نجمة الصُّبح ـ نهاية التسعينيات):

أسَمِعْتِ مئذنةً على الأقصى تضجُّ
غَداةَ يعلو فوقها التَّكبيرُ!!؟
تبدو كأنَّ الصَّوْتَ ـ يخلعُها
فتنهضُ، أو تكادُ تطيرُ
تمشي.. كأنَّ الأرضَ واقفةٌ خُشوعاً،
والزَّمانُ يسيرُ[٢]

ثم استحضر محمود حامد بانتفاضة الأقصى وإنجازاتها صورة صلاح الدين الأيوبي الشخصية التي ارتبطت بالقدس ارتباطاً تاريخياً، أخذ يتخيّله كيف عاد يرافقه الشهداء يقلع بقوة جذور الاحتلال منادياً يا لثارات الدم المراق ظلماً وعدواناً متجهاً نحو القدس وخلْفَه عساكر الثوار والمناضلين ترجُّ الأرض من صرخاتهم الغاضبة، عبّر الشاعر عن أمله وثقته بانتفاضة الشعب الفلسطيني لتحرير القدس اعتماداً على الذات بعد صمود مقاومة طويلة إذ يقول:

هو ذا صلاحُ الدِّينِ يخلعُ قَبْرَهُ

---

١. علي عقلة عرسان، *الأعمال الشعرية*: ص ٢٩٩ ـ ٣٠٥.
٢. *شهقة الأرجوان*: ص ٥٣ ـ ٥٤.

صلّى مع الشُّهداء،
هزَّ بقبضتيهِ ثرى الخليل وقاما
وتَوَضّأتْ عيناهُ بالدَّمِ
والدَّمُ العربيُّ ينهضُ
في القباب حَماما
صلّى بنا، وهو الذي مازال ينزفُ،
في الجُموعِ إماما
ومشى..
لعلَّ القُدْسَ وجهتُهُ،
وعَلَّ الشّاما
هي خُطوةٌ..
حتى إذا صَرَخَ الدَّمُ العربيُّ
من فَوْقِ المآذنِ: وا صلاحُ الدِّينِ
ضَجَّ السَّاحُ راياتٍ،
وثار حِماما[١]

شعر التسعينيات كما رأينا عند محمود حامد وغيره من شعراء هذه الفترة يؤكد أنّ تحرير القدس لابد من عبوره على جسر الانتفاضة، والوصول إلى الهدف لايمكن إلاّ باستمرارها، والنصر على الأعداء سوف يحققه الدّم، لأن الدّم الفلسطيني كما يقول الدكتور خليل الموسى هو أنهار تفيض على السهول والبطاح والهضاب، لتعيد أزمنة الخصْب لربوع فلسطين والقدس، وهذا هو الطريق الوحيد الذي يفضي إلى نهاية أزمنة الجفاف والدخول إلى

---

١. *المصدر*: ص٥٥.

فصول الربيع والحياة[1] لتزدهر شجرة الحرية والاستقلال وترفرف راية النصر في ربوع القدس خفّاقة شامخة. واتضح أيضاً من شعر هذه الفترة أن الخطاب القومي وإيقاظ الوجدان امتزج بالخطاب الإسلامي والخطاب الديني بشكل عام كما نشاهده في قصيدة الشاعر هارون هاشم رشيد (قصيدة للقدس ـ في التسعينيات) قائلاً وهو يخاطب كل وجدان وضمير حي:

لِعَينيها..
مَدِينَتي الَّتي سُجِنَتْ
لِمَسْجِدِها..
لأقصاها..
لحُرمَتِها التي انتُهكَتْ
لِخَطْوِ مُحمدٍ فيها
لما حَمَلَتْ
ما حَفِظَتْ
لمريمَ والمسيحَ
وكُلٍّ ما عَرَفَتْ ومَنْ عَرَفَتْ[2]

وبهذه النغمة المتوجّعة والحزينة تستمر صرخة الشاعر وهو يدعو كل وجدان أن ينهض لأجل القدس واستخلاصها من يد الغدر والحقد الصهيوني.

أُنادي كُلَّ موتانا
أُنادي كُلَّ أحيانَا
أُنادِيْهمْ أناجيلاً

---

١. خليل موسى، *تحوّلات الدم الفلسطيني في شهقة الأرجوان*: مدارات تشرين، العدد ١٦٣، ٣، كانون الثاني، ٢٠٠٤.

٢. هارون هاشم رشيد، *قصائد فلسطينية*: ص ١٠٦.

إذا سَمِعوا وقُرآنا
أُناديهم بِاسمِ الله
أشياخاً وشُبّانا لأَجلِ القُدسِ
فطُهْرُ القُدسِ قَدْ هَانَا[1]

٧. القدس في عام ٢٠٠٠

يطلُّ عام الألفين يشدُّ غضب الشعراء وهو يحضّ على الانتفاضة إذ يرونها هي المنقذ الوحيد للقدس، فحضّوا أبناء الشعب الفلسطيني لإنقاذها موجهين اللّوم للوجدان العربي مطالبين بحمل السلاح والتوجه نحو القدس كما نرى في قصيدة الشاعر محمد إياد عكاوي (العذراء اليتيمة ـ ٢٠٠٠م) قائلاً:

فمن لي بسلِّ المشرقيّات نُصْرَةً   تُعيدُ عرين النَّاصر البيضُ والسّمْرُ
نقيمُ جدارَ الحقِّ سدّاً مُدَعَّماً   نمضي براي الهدي، آمالنا الفجْرُ
نجوبُ رحابَ الكون، نطوي سَماكَهُ   يُغيرُ بنا صقرٌ، ويَغْزو بنا نَسْرُ
ليأتي غياثُ القدس جيشاً مُوَحَّداً   يُمناه سيفُ العِزِّ والآيُ والذّكْرُ[2]

ومن هذا المنطلق قصيدة الشاعر عزران حجازي (إلى الأقصى ـ ٢٠٠٠م)

إلى الأقصى إلى الأقصى   جموعِ الثَّأرِ لا تُحْصَى
وربُّ البيتِ نادانا   نداءُ الله لا يُعْصَى[3]
أنادي هَيْئَةَ الأممِ   وَكُلَّ العُرْبِ والعَجَمِ

اكتفيت بهذا المقدار اليسير من الشعر المقدسي الذي حمل عنوان «إيقاظ الوجدان القومي العربي». وفي خاتمة هذا المبحث حاولت أن أقدم

---

١. *المصدر*: ص ١٠٨ ـ ١٠٩.
٢. محمد إياد عكاوي، *لبيك يا أقصى*: ص ٢٧.
٣. عزران حجازي، *القدس في القلب وفي الأسر*: ص ٨٢.

جدولاً لأهم القصائد التي تطرقت للقدس حسب الاتجاه القومي مابين الفترة الزمنية (١٩٤٨ ـ ٢٠٠٠).

جدول أهم قصائد محور إيقاظ الوجدان القومي العربي حسب الترتيب الزماني

الشاعر	الجنسية	عنوان القصيدة	التاريخ	المصدر	الصفحة
عبد الله يوركي الحلاق	سوري	هُدنة	١٩٤٨	حصاد الذكريات	٥٧ـ ٥٨
علي دمَر	سوري	الفراش الأحمق	١٩٤٨	ديوان علي دمَر	١٠١ـ ١٠٣
حسن البحيري	فلسطيني	المسجد الأقصى	١٩٤٨	لفلسطين أغنّي	٨٣ـ ٩٤
حسن البحيري	فلسطيني	فلسطين	١٩٤٨	الأنهر الظمأى	٩٧ـ١٠٦
سليمان العيسى	سوري	الجرحُ الصارخ	١٩٤٨	فلسطينيات	٣٢ـ ٣٦
عمر أبو ريشة	سوري	ياعيد	١٩٤٩	ديوان الشاعر ج ١	٩٣ـ ٩٥
حنا جاسر	فلسطيني	هياكل البؤس	١٩٤٩	أمة وجراح	٢٠ـ ٢٢
برهان الدين العبوشي	فلسطيني	إلى حليم دموس	١٩٤٩	جبل النار	٣٤ـ ٣٤
سليمان العيسى	سوري	نحن والعيد	١٩٥١	الأعمال الشعرية ج ١	١١١ـ ١١٥
برهان الدين العبوشي	فلسطيني	الملكة عالية	١٩٥١	جبل النار	٧٦ـ ٧٨
بدوي الجبل	سوري	ياوحشة الثأر	١٩٥٣	ديوان الشاعر	١٢٨ـ ١٣٨
برهان الدين العبوشي	فلسطيني	أبشر يا وطن	١٩٥٣	جبل النار	٦٧ـ ٦٨
يوسف الخطيب	فلسطيني	أرض المعاد	١٩٥٤	العيون الظمأى	٥٨ـ ٦٣
يوسف الخطيب	فلسطيني	العيد يأتي غداً	١٩٥٥	العيون الظمأى للنور	٨٣ـ ٩٠
سليمان العيسى	سوري	ياروابي عمّان	١٩٥٧	الأعمال الشعرية ج ١	٤٠٤ـ ٤٠٨
عبد المنعم الرفاعي	لبناني	ثورة العرب	١٩٥٨	المسافر	٥٣ـ ٥٥

الشاعر	الجنسية	عنوان القصيدة	التاريخ	المصدر	الصفحة
محمد العدناني	فلسطيني	الجمهورية العربية	١٩٥٨	العدنانيات ج١	١٧١ـ ١٧٥
عبد الله يوركي الحلاق	سوري	شعب الجزائر	١٩٦٠	عصير الحرمان	٢١ـ ٣٣
يوسف الخطيب	فلسطيني	مطالع جزائرية	١٩٦٢	واحة الجحيم	١٠٥ـ ١٣٢
عبد الله يوركي الحلاق	سوري	طفل فلسطيني ثائر	١٩٦٣	حصاد الذكريات	١٩١ـ ١٩٤
زكي قنصل	سوري	كفاح وأمل	١٩٦٧	الأعمال الكاملة	٩٩ـ ١٠٠
زكي قنصل	سوري	الثائر المقدس	١٩٦٧	الأعمال الكاملة	١٠٧ـ ١٠٨
عبد المنعم الرفاعي	لبناني	عامٌ	١٩٦٧	المسافر	١٠٣ـ ١٠٥
حسن البحيري	فلسطيني	يا أمتي لن تقهري	١٩٦٧	الأنهر الظمأى للنور	١٦٩ـ ١٧٥
سميح القاسم	فلسطيني	المذلة	١٩٦٨	الأعمال الكاملة	
كامل الدجاني	فلسطيني	يوم الكرامة	١٩٦٨	في غمرة النكبة	٣٦ـ ٣٧
عبد الله يوركي الحلاق	سوري	ذكرى أورخان	١٩٦٨	عصير الحرمان	٢٠٤ـ ٢٠٨
عفيفة الحصني	سورية	كفاح ناصري	في الستينيات	شهيد التضحيات	٣٤ـ ٣٩
محي الدين الحاج عيسى	فلسطيني	إليك ياليث الفدى	١٩٦٨	من فلسطين وإليها	١٠٤ـ ١٠٧
هند هارون	سورية	عودة تشرين	١٩٧٤	سارقة المعبد	٦٥ـ ٦٩
سليمان العيسى	سوري	يابن الصخور البيض	١٩٧٤	الأعمال الشعرية ج٣	١٥٩ـ ١٦١
حنا جاسر	فلسطيني	هنا كان شعب	١٩٧٧	أمة وجراح	١٠٣ـ ١٠٨
نجيب جمال الدين	لبناني	أحبها ـ الشام	١٩٧٩	قصائد إلى عاصمة المدن	١٦٥ـ ١٩٩
هارون هاشم رشيد	فلسطيني	الأقصى	في السبعينات	مفكرة عاشق	٨٤ـ ٩١

الشاعر	الجنسية	عنوان القصيدة	التاريخ	المصدر	الصفحة
هارون هاشم رشيد	فلسطيني	عربيّة عربية	في السبعينات	مفكرة عاشق	٩٢ـ١٠٦
عز الدين المناصرة	فلسطيني	الأرض تندهنا	في السبعينات	الأعمال الشعرية	١٨٣ـ ١٨٥
ناصر الخوري	سوري	تشرين	في السبعينات	سنابل	٩ ـ ١٤
ناصر الخوري	سوري	نيسان	في السبعينات	سنابل	٢٠ـ ٢٦
عزران حجازي	سوري	فداءٌ للقدس	١٩٨٠	القدس في القلب والأسر	٢١ـ ٣٨
هارون هاشم رشيد	فلسطيني	صرخة في وجه جندي عربي	في الثمانينات	ثورة الحجر	٣٥ـ ٣٧
هارون هاشم رشيد	فلسطيني	ياهذه الأمة	في الثمانينات	ثورة الحجر	٤٤ـ ٤٦
عز الدين المناصرة	فلسطيني	الأرض تندهنا	في السبعينات	الأعمال الشعرية	١٨٣ـ ١٨٥
سليمان العيسى	سوري	من أين نبدأ؟	١٩٨١	الأعمال الكاملة ج٣	٢٢١ـ ٢٩٦
هارون هاشم رشيد	فلسطيني	يا شاعر لاتقبل العزاء	١٩٨٢	طيور الجنة (قصائد للشهداء)	١٢٥ـ ١٣٣
عبد الله يوركي الحلاق	سوري	اللاذقية	١٩٨٤	عصير الحرمان	١٤٣ـ ١٤٨
عبد الله يوركي الحلاق	سوري	سد الفرات	١٩٨٥	عصير الحرمان	٢١ـ ٢٣
جميل علوش	فلسطيني	سلام أيّها الباني	١٩٨٥	صوت الشعر	٧٣ـ ٧٨
حسن البحيري	فلسطيني	أرضان في وطن واحد	١٩٨٦	سأرجع	١٧ـ ٢٩
أبو سلمى	فلسطيني	رجاء	بين ٧٠ـ ٨٠	المشرّد	٩٢ـ ٩٥
كمال رشيد	فلسطيني	النائمون	١٩٨٩	القدس في العيون	٧٥ـ ٧٦
علي عقلة عرسان	سوري	أور سالم صباح الخير	١٩٩٦	الأعمال الشعرية	٢٩٩ـ ٣٢٤
عبد اللطيف محرز	سوري	الكاتب المسرحي	١٩٩٧	شجرات الدماء	١٦٩ـ ١٧٥

الشاعر	الجنسية	عنوان القصيدة	التاريخ	المصدر	الصفحة
هارون هاشم رشيد	فلسطيني	صرخة الأقصى	في التسعينات	قصائد فلسطينية	١١٦ـ ١٣٠
هارون هاشم رشيد	فلسطيني	يا عروبة..	في التسعينات	قصائد فلسطينية	١٤٢ـ ١٥١
محمود حامد	فلسطيني	الطريق إلى نجمة الصبح	١٩٩٨	شهقة الأرجوان	٥٣ـ ٦٠
عفيفة الحصني	سورية	أسد العروبة	في التسعينات	وطني	١٧ـ ١٨
عدنان برازي	سوري	ياقدس	التسعينات	عشق لعيون دمشق	٤١ـ ٤٥
نجيب جمال الدين	لبناني	رسائل شادية	نهاية التسعينات	الكتابة على أعمدة الشمس	٢٧ـ ٥٠
محمد إياد عكّاوي	سوري	العذراء اليتيمة	مابين ٢٠٠٠ ـ ٢٠٠١	لبيك يا أقصى	٢٦ـ ٢٧
عزران حجازي	سوري	إلى الأقصى	مابين ٢٠٠٠ ـ ٢٠٠١	القدس في القلب والأسر	٨٢ـ ٨٤
عزران حجازي	سوري	من أجل القدس	مابين ٢٠٠٠ ـ ٢٠٠١	القدس في القلب والأسر	١٣٥ـ ١٤٢
عزران حجازي	سوري	القدس أخت بيروت	مابين ٢٠٠٠ ـ ٢٠٠١	القدس في القلب والأسر	١٦١

الحنين إلى القدس

إن الحنين والأنين إلى القدس لم يترك قلباً إلاّ وقطع نياطه، ولم يدع عيناً إلاّ وسلبها لذّة نومها، كيف لا.. بُعد وطنٍ ومعاناة غربةٍ، وبكاء شوق لأرض

أجدادٍ جمعت رسالات السماء، مهد عيسى ومعراج محمدﷺ وقبور أنبياء، ضمن هذا الحنين تعرّضت كثير من قصائد الشعراء إلى القدس، وقد تناول أصحابها ماحلَّ بأهلها من تشريد وغربة وآلام جسمية ونفسيّة، حوّلت شوقهم إلى وطنهم شعراً يتفجّر حيناً إلى يافا وحيفا والقدس، إلى غزة وجنين واللّد و.. وهذا لسان حال كل فلسطيني ممن غادروا وطنهم مضطرين لا مختارين، إذ لا شيء أصعب على المرء من مفارقة وطنه وإخوانه، كيف وقد مضت أيّام بل سنون وتراكمت المعاناة والهموم، وينتظر المبعدون بفارغ الصبر بارقة أمل لبزوغ الفجر في ربوع الوطن، إذ لم يروا ما هو أجمل وأحسن وأطيب عطراً من وطنهم، ولذا حنّوا له وتغنّوا به، يصرخ الواحد منهم من وراء البحار والمحيطات: لبيك يا قدس، قلوبنا دامية، وعيوننا باكية، نسمع صرخاتك العالية، ونشعر بآلامك الشاكية، لا والله لا ننساك يا أمّنا الغالية، سنعود بإذن الله تعالى إلى ربوعك بسواعدنا ودمائنا الزاكية.

١. القدس وآه الأربعينيات

الحنين إلى القدس شعور سار في عروق كثير من قصائد الشعر المقدسي، كيف لا، أولم يكن حبّ الوطن من الإيمان؟ ويَعْظُم هذا الحب كلّما عظم الوطن، وكبرت الأحلام به، وبالعودة إليه، وهل ترجع القدس إلى أهلها!؟

فلقد صوّر لنا حسن البحيري في قصيدة (لفلسطين أُغنّي ـ ١٩٤٨م) الأسى الذي يكوي جنبات صدره وهو يلقي نظرة الوداع على الأقصى، وحاله حال جميع أبناء الشعب الفلسطيني، الذين فارقوا وطنهم مُرغمين بقوة السلاح الصهيوني، تصويراً امتزجت فيه آلامه النفسية والجسمية، بعد ما أُرغم الشاعر عام «١٩٤٨م» على مغادرة وطنه مودّعاً القدس واقفاً بباب المسجد الأقصى يتفجر قلبه حزناً ويبكي بدل الدموع دماً قائلاً:

وقفتُ بالْمَسْجِدِ الأقصى أسائلُهُ والنّارُ في جَنَباتِ الصَّدرِ تَسْتَعِرُ
وأدْمُعُ القَلْبِ تَستّلي مَصاوِبُها من مُهْجَتي دَمعَ عَيْني وهي تَنْهَمِرُ[١]

٢. القدس في حنين الخمسينيات

لقد تمكّن حبّ الوطن من قلوب أبناء فلسطين وامتزج هذا الحب الصادق بجراح الغربة و آلام التشرد، ولعلّ مسألة الغربة والحنين إلى القدس لدى هارون هاشم رشيد تبدو أكثر عمقاً إذ تجده يفتتح كل بيت من أبيات قصيدته (غرباء ـ ١٩٥٤) بلفظ غرباء، إحساساً منه بمرارة التشرد والابتعاد عن الوطن الحبيب كيف وإذا كان الوطن هو القدس لاغير.

غرباءٌ؟! سَلوا فلسطين عنّا وسلوا كلَّ ثورةٍ كيف كُنّا
غرباءٌ؟! ونحن من جبل النّا ر اندفَعْنا مشاعلاً وانطَلَقْنا
غرباءٌ؟! ونحن من مَنْبتِ المقْـ ـدس من بيتها المطَهَّرِ جئنا[٢]

نستشفّ من شعر هذا الشاعر أن واقع الغربة قد تجاوز قضية العطف والشفقة، إذ جعل تعاطف الشاعر مع المشردين والنازحين يمتاز عن تعاطف الآخرين من الشعراء بصدق الحنين وزفرة الأنين مؤكداً على العودة مهما طال الزمن وكلّف الثمن، ولذا في قصيدة (العودة ـ ١٩٥٥) يرى الشاعر الثائر هارون رشيد أنّه ليس من الممكن أن تتم العودة إلى القدس، أرض الأجداد إلاّ عن طريق الكفاح، والثورة، وانتفاضة الأمة إذ يقول:

وأدعو صحابي.. صحابَ الحياةِ وأجمعُ للملتقى أخوتي
سأجمعُهم في صعيدِ الكفاحِ وفي نقطةِ البدء والوثبةِ
وأجمعُهم حولَ أرضي التي تنادي وتهتفُ بالنجدةِ

---

١. *لفلسطين أغني*: ص ٨٣
٢. هارون هاشم رشيد، *مع الغرباء*: ص ٧٣ ـ ٧٤.

وأدفعُهم للقاء الحبيب إلى موعدِ الثأر للعودةِ
إلى أرضِهم، أرضِ أجدادِهم إليها إلى مهبطِ العزةِ
إلى القدس توّاقة للّقاء إليها إلى اللدّ للرملةِ[١]

وأمّا سليمان العيسى فهو يرى التشرد الذي يرمز إليه بالخيمة التي احتضنت مأساة المشرد ولوعته، ولكنه يرفض الاستسلام للأمر الواقع مهما بلغ من التردّي فيمتلئ عزيمةً واندفاعاً في الرفض لذلك، ولا يعرف التراخي ولا التواني، فهو يدعو على نفسه بالعار والشنار إن غفل عن السير في ركب أمجاد أمته التي يعتبرها باعثاً على الرفض والمقاومة حتى تحقيق النصر والعودة إلى الوطن، فيقول في قصيدته (نشيد العودة ـ ١٩٥٩):

تعِبَتْ خيامي السودُ، أثقَلَها دمي
وشكَتْ،
يا وَصْمةَ الأجيال.. لا فارقتني
إنْ نمتُ بعدَ اليومِ عن أمجادي
عن أمتي، في كل دربٍ مِزْقَةٌ
منها، ومُلْتفعٌ ظلامَ سوادِ
أنا عائدٌ.. في القدس لي انشودةٌ
وقصيدةٌ للنصرِ في بغدادِ.[٢]

٣. حنين الستينيات

كلّما مرّت الأيام اشتدّ ظلام المأساة وعمق الجرح الفلسطيني، وارتفع صوت الحنين للوطن. ولقد انعكس هذا على بعض شعر القدس وجعل بعض قصائده

---

١. عودة *الغرباء*: ص ٢٣ ـ ٢٤.
٢. سليمان العيسى، *الأعمال الشعرية*: ٢ / ٢٦ ـ ٢٧.

مشحونة بالتوتر، غارقة بمصاب الوطن السليب، حاملة الهموم الجسام كما نجدها عند الشاعر حنّا جاسر في قصيدة (سمفونية.. من أعماق النوى ـ ١٩٦٠) حينما تذكّر الماضي والكرامة والعزة في أكناف وطنه وقارنه مع مأساة الحاضر، رأى نهاره ليلاً وليله بلا قمر، يعيش الظلام الجاثم على الصدور بعدما أصبحت القدس يعيث بها الغاصبون فساداً وانتهاكاً، وهذا الذي جعل الشاعر يتجرع كؤوس المرارة التي تكاد تزهق روحه، فقد بددت قسوة الاحتلال آماله وسحقت براعم أمانيه النابضة بالروعة فأردتها خاوية من كل معنى كان يملؤها حياةً وحيوية، ومن هذا القبيل قوله:

.. وهكذا تعبرُ الأيام مفرغَةً عصيرها المرّ في روحي وفي بصري
في كلّ ثانيةٍ بُشرى.. فإنْ وضحتْ عاد الجفافُ يُغطّي سطح مُنحدري
وكلّما برعمتْ في الأفق أُمنيةٌ عاشت بأوراقها دوّامةُ القدرِ
أنا الذي كان لي في القدس مملكةٌ على الكواكب والأطيار والزّهرِ
أمسيتُ.. والخصم يلهو في أشعّتها أجسُّ ليلي فألقاه بلا قمرِ..
تنهّدي ياغيوم اليأس وانفرجي عن بسمةٍ تبعث المدفون من أملي[١]

هذه القصيدة من القصائد الطوال التي ذكر الشاعر القدس فيها وصوّر بعض ماحلّ به وبالشعب الفلسطيني المضطهد وماعاناه اللاجئون من مواجع الغربة عن الوطن ودفء حضنه، فحزنه ـ في أبيات القصيدة ـ على فلسطين والقدس يبدو أنه طويل وطويل، ممتدّ من النكبة والنكسة حتى اتصل بجمرة الغربة واستمر الجوى إلى أن غطّى ظلامُه أفق الأمل عند الشاعر.

وأمّا قصيدة (مزامير ـ المزمار الحادي والخمسون ـ نهاية الستينيات) لمحمود درويش التي يقول فيها:

---

١. حنا جاسر، *أمة وجراح*: ص٤٩.

ونغنّي القدسَ
ياأطفالَ بابلْ
يامواليد السلاسلْ
ستعودون إلى القدس قريباً
وقريباً تكبَرون
وقريباً تحصدون القمح من ذاكرة الماضي
قريباً يصبح الدمع سنابل.
آه، ياأطفال بابل
ستعودون إلى القدس قريباً
وقريباً تكبرون.
وقريباً
وقريباً
وقريباً..
هلّلويا
هلّلويا..[١]

فهي على عكس ماعليه قصيدة (سمفونية) إذ تمتلئ قصيدة درويش أملاً متدفقاً جيّاشاً فيرى بعين البصيرة نهاية الاحتلال أصبحت قريبة فهو على يقين من أنّ عاقبة عصابة الإرهاب الصهيونية، الاضمحلال والزوال بعد المعاناة الشاقة والصبر الطويل، لابد من بزوغ فجر النصر والحرية، وستكتحل عيون أبناء الشعب الفلسطيني المظلوم برؤية الوطن الحبيب وستتحول دموع المشردين من الشيوخ الركّع والأطفال الرضّع و... إلى أزهار وسنابل بعد ما كانت رصاصاً وقنابل وبعد مادكّت عروش الطغاة وحطّمت القيود والسلاسل،

١. محمود درويش، *ديوانه*: ١ / ٤٠٠

فالشاعر يرى هذا الحدث وشيكاً كلمح البصر أو هو أقرب من ذلك.

وهكذا درويش بث الأمل في النفوس في موضع آخر من القصيدة نفسها حيث لم ير بينه وبين القدس أيّ مسافة وأيّ بُعدٍ إذ يحنّ لأورشليم قائلاً:

أورشليم! التي عَصَرتْ كلَّ أسمائها
في دمي
خَدَعَتني اللغاتُ التي خَدَعَتني
لن أسمّيكِ
إني أذوبُ، وإنّ المسافاتِ أقربْ
وإمام المغنين صلكَ سلاحاً ليَقْتلني
في زمانِ الحنينِ المعلَّب[١]

٤. القدس وحنين السبعينيات

تمضي ثلاثة عقود من الزمن والحنين إلى القدس يزداد يوماً بعد يوم ويمتزج الحزن بحنين الشوق ليعبّر عن الشعب الفلسطيني والحالة التي يعيشها من فقر، وتشريد وغربة، ومأساة، ولكن العيون المبعدة شامخة ترنو إلى طريق العودة والكل يترقب شروق الشمس على قباب المسجد الأقصى، والآذان صاغية لاستماع تكبير النصر من منارات المقاومة والصمود، وأجراس الفرح من كنائس المسيح، فقد تفاءل شعراء القدس بهذه اللحظات إيماناً منهم بعجلة التاريخ وسيرها السريع نحو النصر الذي أصبح على الأبواب بعد ما ملك الشعب الفلسطيني زمام الأمور وآلى على نفسه أن لا يرضى بغير السلاح علاجاً لطاعون الغضب والاحتلال، وهذا مالمسناه من الشاعرة هند هارون في قصيدتها (نداء الأرض ـ ١٩٧٠) فلقد أبدعت في تصوير هذه الآمال التي

---

١. *المصدر*:١ / ٢٨٧.

باتت ومضاتها تبشّر بطلوع الفجر وابتسامته في أفق القدس إذ تقول:

حملتْ رياح القدس.. من تربي.. شذاً
عبقت.. بنفحته.. ذرى.. شمَّاءُ
فانساب في الأكواخ.. يلمس هائماً
تلك الجباه.. وللجباه.. صفاءُ..
فإذا بروح.. في الخيام.. جديدة
وإذا القنوط.. توثُّب.. ومضاءُ
بعثَ الشذا فيها.. تَحفَّز.. أمّة
تحيي كرامتها.. ولاحَ.. ضياءُ..
شب الصغار.. وقد لمست قلوبهم
وتساءلوا.. هل عودة ولقاء..
أنعيش.. لا أهلٌ.. ولا وطنٌ.. ولا
أرض.. وتزعُمُ.. أننا أحياء..[١]

فالشاعرة أشارت إلى الشرارة التي اندلعت وطارت بها الرياح القدسية لكي تحرق جذور القنوط واليأس عند النازحين سيما عند الأطفال والشباب الذين ولدوا في ديار الغربة ولم يترعرعوا بكنف الوطن، فراحوا يتساءلون ويسألون الكبار عن الوطن مما يزيدُ حنينهم له.

الشرارة القدسية لم تقتصر على بث الحياة الجديدة والأمل بالعودة عندهم فحسب بل أضاء شعاعها الأمة كلها. وأمّا الشاعر المغترب إلياس قنصل فهو رغم مرارة الغربة وجمرتها لا يكتم حب وطنه ولا يُخفي الإيمان العامر به قلبه، ويصرّح بأنه ليس من الممكن أن يحول بُعد المسافة ومرور الزمان بينه وبين وطنه أو ينال من حبّه الصادق وشوقه المتزايد له، والذي يحمله في قلبه أنّى

---

١. هند هارون، *سارقة المعبد*: ص ٧٥.

ارتحل وأنّى حلّ، فيقول في قصيدة (شهيد ميسلون ـ ١٩٧٠م):

وقفٌ على الوطن المحبوب غربتُنا
وشوقنا، ومَرام دربه خشِنُ
إنْ فاتنا سؤددُ الحربين فيه ولم
يختم رغائبنا بالعودة الزمنُ
مافاتنا أن نوالي حملَ رايته
فحيث كنّا يكن في سرّنا الوطنُ[١]

ثم يوجه الخطاب للعدو وينصحه بأن لا يتبجّح ويفرح لأنّ انتصاره سوف يبدّل بالهزيمة ويحرّر القدس مهما تحصّن العدو الغاصب وامتلك من إمكانيات مادية:

لا يفرحنَّ العدى ليس انتصارهُمُ
إلاّ سراباً إليه يجمح الهوسُ
شبر من القدس لن يبقى بحوزتهم
مهما تحصَّن فيه الأعور[٢] النجسُ[٣]

وأمّا هارون هاشم رشيد فلقد أمضى معظم حياته في الغربة حنيناً إلى القدس، وسَكَبَ هذا الحنين شعراً وهذا ماتراه جليّاً في قصيدته (زيتونة ـ في السبعينيات) إذ أصبحت القدس لديه ناراً يتلظى بها جسمه، وجرحاً سخيناً في أعماق قلبه، ومعشوقاً فقدَ من أجله عقله، وبلغ الشاعر في هذه القصيدة ذروةً تعبيرية لعله تفرّد بها حين يقول:

---

١. إلياس قنصل، *ألحان الغروب*، (ألقيت القصيدة تكريماً لذكرى يوسف العظمة شهيد ميسلون عام ١٩٧٠م): ص ٩٤ ـ ٩٥.
٢. الأعور النجس، ظاهراً إشارة إلى مناحيم بيجين أو موشي ديّان رئيس الوزراء الإسرائيلي آنذاك.
٣. *المصدر*: ص ٩٥.

أحبُّك ياقدس، لا تسأليني
لماذا، وكيف، وماذا أحبُّ
فإنّي حملتك جرحاً سخيناً
بأعماق قلبي، ناراً تشِبُّ
أنا عاشق، مدنف مستهام
أنا تائق، ومشوق وصَبُّ
تدبّين فيّ، دبيب الدماء
فيخفق باسمك في الصدر قلبُ
أحبّك ياقدس، هذا هوايَ
إليك كشلال نهر يصبّ[1]

فنرى حبّ القدس في هذه الأبيات اختلط بدم الشاعر ولحمه، فأنفاس حياته باتت منوطة بوجود تلك المدينة الصامدة، ونبضات قلبه متيّمة على اسمها، وكل دقة من دقاته ينادي ياقدس.. ياقدس.. ياقدس فيناجيها محبوبة تأكل تفكيره حبّاً وهياماً، فنراه غارقاً في بحر متلاطم من التفاؤل والأمل بالغد الآتي القريب الوشيك كما نشاهده في الأبيات التالية في القصيدة نفسها:

أحبّك ياقدس لا تسأليني
لماذا؟ وكيف؟ وماذا أحبُّ
سيزهر لابد يوماً ربيعك
يزهر لابد يوماً يهبُّ
ولابد للعاشق المستهام
وإنْ طال ليل وأظْلَمَ دربُ
بأن يلتقي، بهواه الكبير

---

١. *مفكرة عاشق*: ص٦٨.

فيحلو اللقاء، يزدان قرب
على صهوة في رياح الفداء
يجيء إليك مع النصر شعب[١]

فأمله قوي في العودة ولقاء الحبيب، تلك الأرض المقدسة التي بارك الله فيها، أرض الأهل والأجداد وإن طال ليل المآسي واشتدت ظلمة الطريق. فالشاعر واثق بالنصر وعودة جماهير شعبه المظلوم.

٥. حنين الثمانينيات

القصائد التي تمثل الحنين في هذه الفترة قليلة جداً وما وجدناه منها فهو مزيج من الحنين والحماس كما نجده عند الشاعر الفلسطيني محمود حامد وهو يتحدث عن القدس في لهفة وشوق، وبروحه الشفافة والحسّاسة يصور مدى إخلاصه، وتفانيه لموطنه، يعلوه صوت الحنين حينما يصف العشق المتبادل بينه وبين القدس، ذلك العشق العميق الذي يذوب فيه الشاعر، يحمله الحب لكي يتجول مع الرياح في أرضه المحتلة فيؤلمه مشهد المأساة وعمق الجراح فيقول في قصيدته (داخل الجُرح ـ ١٩٨٥م):

وإنّي إلى مُقلةٍ تشتهيني
أجنُّ بها صَبْوَةً، أوْ أذوبُ
تقاسمتُ والريح هذي البوادي
وقلتُ: إلى أين تمضي الدُّروب!!؟
وإنّي إلى دمعة أوجعتني
أميل عتاباً..،
وإني إلى رايةٍ في الهضابِ

---

١. *المصدر*: ص ٧١.

أميلُ دماً عاشقاً لا يغيبُ
فكم شَفَّ عند الرَّفيفِ صباها،
ولاذت بها في الخُطوبِ الخُطوبُ!!؟
وقلتُ: إلى الشَّامِ خذني سلاماً
إلى القُدس خذني،
إلى خندقٍ يمتطيهِ الجنوبُ
فما أخطأتْ نبضةٌ في هواها،
ولا كان في خافقي مايُريبُ[١]

في عقيدة الشاعر أن الحب والدم هو الرمز الذي يجعل راية التحرير خفّاقة، والتي بإمكانها أن تفسّر حلم العودة إلى الديار لأن العودة في ظل الاحتلال الصهيوني أمر مستبعدٌ بل محال، الراية التي عشقها الشاعر وأعلن استعداده ـ كبقية أبناء شعبه ـ أن يضحّي بالغالي والنفيس في سبيل علوّها، هي الراية التي رفرفت في جنوب لبنان وأخذت ترفرف في ربوع القدس، ولا ريب أنها ستبقى خفّاقة عالية، ورمزاً يلجأ إليه كل مظلوم ومضطهد يأمل أن يرفرف قلبه بالحرية كرفرفتها.

لقد خسر المواطن الفلسطيني وطنه وأرضه وأُبعد عن دياره ظلماً وعدواناً، لكنّه لم يخسر ذكرياته التي ضمّنها قلبه، لذا ترى عيونه تبقى ترنو وتهفو إلى ربوع أرضه حتى ولو توفّرت له في الغربة كل وسائل الراحة وكل المشتهيات، فالحياة في الوطن لا يمكن أن يحل محلها شيء .

فالشوق إلى الوطن والغرام به جعل الشاعر كمال عبد الرحيم رشيد يغنّي القدس ويحن إليها وما أعذب ألحانه عند ما يقول في قصيدته (نحالين[٢] ـ نهاية الثمانينيات)

---

١. محمود حامد، *بيسان*: ص ٨٦ ـ ٨٧

٢. نحالين: قرية فلسطينية داهمتها قوات الاحتلال ليلاً وقتلت تسعة من أهلها.

يافلسطين والحياة ادّكارٌ   طال شوق، ولَجّ فينا الحنينُ
نحن في البعد مابَعُدنا وفينا   نحو قدس الهُدى تَرفّ عيون
وعلى الأفق تنجلي ظلمات   تطلع الشمس يفرح المحزون
ونعيد التاريخ عزماً قوياً   فيه بدرٌ وأختها حطين[١]

فهذه الأبيات صادرة عن قلب مكلوم يحنُّ إلى وطنِه الذي هَجَرَهُ رغماً عنه، يحلم بالعودة إليه بعد زوال ظلام العدوان الصهيوني وطلوع شمس التحرير معاً.

وأمّا حسن البحيري فقد هز الألم أركانه وأدمى قلبه، فهمومه هموم شعبه المظلوم فما عرفت عيونه لذة نوم وما هدأ له بال منذ أُرغم على ترك وطنه، ونتيجة لقسوة الاحتلال فإن الشاعر كان يرقد في المستشفى بين تارة وأخرى لعلاج الجدار السفلي من قلبه، ولكن الحنين إلى القدس لم يفارق حنجرته حتى ولو كان على سرير العلاج ففي قصيدة (وَهْنٌ في القلب ـ ١٩٨٩) يقول:

لَقَدْ كُنْتَ ياقَلْبي عَلَى كُلِّ شدَّةٍ   كَأنَّ الحديدَ الصُّلْبَ في الصَّدْرِ كَوَّنَكْ
فَكَمْ دَهِمَتْكَ الحادثاتُ بِعُسْرِها   فَلَمْ تَهِ في عُسْرٍ ولا الكَرْبُ لَيَّنَكْ
وَلكِنَّ جُرْحاً في «القِيامَةِ» نازِفاً   وفي «المسجدِ الأقصى» دَهاكَ فَأَوْهَنَكْ[٢]

٦. حنين التسعينيات

تواصلَ حديث الحنين إلى القدس والحلم بالوطن المفقود في عقد التسعينيات عند كثير من شعراء القدس ليعكس مايدور في أذهانهم، وما تكتوي به قلوبهم. وهذا لسان حال جماهير أمتنا العربية والإسلامية في شرق الأرض وغربها، من هذا الحنين قصيدة الشاعر السوري عبد اللطيف محرز

١. كمال عبد الرحيم رشيد، *القدس في العيون*: ص ٥٠.
٢. حسن البحيري، *ديوانه لعيني بلادي*: ص ٩٩.

(جاءني البحر ـ في التسعينيات) يحن فيها لقلب فلسطين، قدس الأقداس ويستذكر حكايا الأهل والأجداد، وأخذ الشاعر يتساءل كيف ينسى سجلّ فلسطين وما يحمل في طيّاته من آيات فيقول:

يا فلسطين، يا أناشيد روحٍ   يا انسكاب السماء في الصلوات
أترانا ننسى حُمَيّاك في القلْـ   ـب نداءً معتق الجمرات؟
أترانا ننسى الدماء شهيداً   وحكايا الأجداد والجدات؟
أترانا ننسى القيامة والأقصى   ومافي الكتاب من آيات؟
كيف ننسى، وكل تاريخ هذا الشعب   نار في موقد الذكريات؟؟؟!!![1]

فلا يمكن للشاعر بل لكلّ صاحب ضمير أن ينسى تاريخ الشعب الفلسطيني وذكرياته الحبيبة وما مرّ عليه من تشريد، وقتلٍ، وإبادة، وسفك دمٍ وهتك عرض و...، فهذه الويلات جعلت القدس وفلسطين حرارة تتقد في قلوب عشاقها لا تبرد إلاّ بتحريرها والرجوع إليها.

جدول أهم قصائد الحنين إلى القدس العربية والإسلامية حسب الترتيب الزماني

الشاعر	الجنسية	عنوان القصيدة	التاريخ	المصدر	الصفحة
حسن البحيري	فلسطيني	لفلسطين أغنّي	١٩٤٨	ديوان لفلسطين أغنّي	٨٣ـ٨٦
راشد حسين	فلسطيني	إلى أورشليم	١٩٤٨	ديوان صواريخ	١١٤
محمدحسين شمس الدين	سوري	نشيدة أيّار	١٩٤٨	ديوانه، النازحة	١٤ـ٥٣
هارون رشيد	فلسطيني	غرباء	١٩٥٤	ديوانه، مع الغرباء	٧٣ـ٧٤
سليمان العيسى	سوري	نشيد العودة	١٩٥٥	الأعمال الشعرية ج٢	٢٦ـ٣٠

---

١. عبد اللطيف محرز، *ديوانه شجرات الدماء*: ص٤٦.

يوسف الخطيب	فلسطيني	أجراس مند ليوم	١٩٦٠	واحة الجحيم	٤٩ـ ٥٥
حنا جاسر	فلسطيني	سمفونية	١٩٦٠	أمة وجراح	٤٨ـ ٥٦
محمود درويش	فلسطيني	مزامير	في الستينات	ديوانه ج١	٣٨٦ـ٤٠٠
نجيب جمال‌الدين	لبناني	ذات السوار	في الستينات	الكتابة على أعمدة الشمس	١١ـ ١٥
عز الدين المناصرة	فلسطيني	من أغاني الكنعانيين	في الستينات	الأعمال الشعرية	٥٥ ـ ٦٠
عز الدين المناصرة	فلسطيني	محاورات الباب العالي	في الستينات	الأعمال الشعرية	١٥٧ـ١٦١
هند هارون	سورية	نداء الأرض	١٩٧٠	سارقة المعبد	٧٣ ـ ٧٥
إلياس قنصل	سوري	شهيد ميسلون	١٩٧٠	ألحان الغروب	٩٠ـ ٩٧
هارون رشيد	فلسطيني	زيتونة	في السبعينات	مفكرة عاشق	٦٨ ـ ٧١
محمود حامد	فلسطيني	داخل الجُرح	١٩٨٥	بيسان	٨٤ـ ٩٢
كمال رشيد	فلسطيني	نحالين	في الثمانينات	القدس في العيون	٤٩ـ ٥٠
حسن البحيري	فلسطيني	رسالة في عيد	١٩٨٨	رسالة في عيد	٢٧ـ ٣٨
حسن البحيري	فلسطيني	وهن في القلب	١٩٨٩	لعيني بلادي	٩٩
عبد اللطيف محرز	سوري	جاءني البحر	التسعينات	شجرات الدماء	٣٨ـ ٤٨
مصطفى الخضر	سوري	ربيع مذبحة	٢٠٠٠	حجارة الشاعر	١٦٣ـ١٧١

استصراخ الضمائر العربية

الضمير، هو المحكمة العادلة التي أودعها الله سبحانه في وجود كل إنسان لتحاكمه وتؤنّبه، وتوجّه اللوم والعتاب إليه إزاء تقصيره وأفعاله التي لا تليق به، وتحمله على التدارك. ولعظمة هذه المحكمة أقسم بها المولى في كتابه الحكيم حين قال ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۞ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾[١] فما من فرد من البشر إلاّ وسمع صوت هذه المحكمة المسماة بالضمير والوجدان عند

١. القيامة: ١ و٢.

توانيه وتقصيره وعدم قيامه بالواجب ـ إن لم يمت ضميره ـ ومن هذا المنطلق بادر شعراء شعر القدس بتوجيه خطاباتهم لمؤاخذة وتأنيب تلك الضمائر التي جلبت النكبة والنكسة و.. للشعب الفلسطيني وللأمة العربية والإسلامية وماترتب عليها من آثار وتداعيات على مختلف الأصعدة إلى يومنا هذا. ومن جانب آخر حاول أولئك الشعراء أيضاً تأجيج الضمائر وتعبئتها للثورة بوجه العدو وتطهير القدس وكل الأراضي المقدسة من رجس الصهاينة والمستوطنين المحتلين الذين أماتوا ضمائرهم بقتل الأُسراء وتشريد الأحياء وإبادة الحرث والنسل وكَأنَّ أحدهم خُلق بلا ضمير يحاسبه ولا وجدان يردعه، وخير دليل على المدّعى العربدة الصهيونية التي كانت ومازالت تفتك بالشعب الفلسطيني المضطهد.

١. الضمائر العربية في خطاب الأربعينيات

وما أكثر القصائد الشعرية التي تكتنز هذا المضمون والتي أخذت على عاتقها خطاب الضمائر العربية في شرق الأرض وغربها كما نلاحظه عند عمر أبي ريشة في قصيدة (حماة الضيم ـ ١٩٤٨) محاولة منه لإثارة وجدان وضمير الأمة العربية وقادتها إلى مجازر الصهاينة ومايعانيه الإنسان العربي والمسلم، وكيف يذبح وكأنّه حَمَلٌ بيد الجزّار، وكيف تهدم المدن والبيوت على أهلها وكيف تجتث جذور الفلسطينيين ـ مسلمين ومسيحيين ـ من أرضهم تثبيتاً لاحتلاله الغاشم ووجوده اللاّشرعي فيقول:

المجد يخجل أن يجيلَ الطرفَ في ماهـدَّم الجبناء من أسواره
فكأنَّـه من نيله لفراته حَمَـلٌ تجاذبه يدا جـزّاره!
ماذنـبُ فتيته إذا شـبَّت ولـم تلمـح بتربته خُطى أحراره
تركـتْ لهـا آباؤهـا الإرثَ الـذي يبقـى مطوَّقها بلعنة عاره

هل في روابي القدس كهفُ عبادة تحنـو جوانبـه علـى أحبـاره
خشب الصليبِ على الرمال مخضَّبٌ بـدماء مـن نعمـوا بطيـب جـواره[1]

فالشاعر خاطب الضمائر الحية بأن لا تمنع الشباب عن الالتحاق بالأحرار والثوار لكي تغسل الذل والعار الذي لحق بها، إذ القدس أرث لأبنائها وليست للصهاينة ولأحبارهم كما يزعمون، وأن ماحدث ويحدث من حصد آلاف المدنيين الأبرياء وتواصل نزيف الدم العربي والإسلامي في فلسطين على أيدي العصابات الإرهابية الصهيونية جعل حسن البحيري يوجه نقده اللاذع بلهجة ثورية تعلوها الحدة والعتاب إلى بعض ملوك العرب في قصيدة (عُمْيُ الملوك ـ ١٩٤٨م) حين يقول:

أما فيكم ملوكَ العُرْبِ ذو هَدْيٍ ولا مُرْشَدْ
يَخِفُّ لِنُصْرة الإسلام لمَّا صاحَ واسْتَنْجَدْ
فلو أبصرتمو «صهيونَ» لما هَبَّ واستأسَدْ
وصَالَ على كريم العِرْضِ صَوْلَةَ غاشمٍ أنْكَدْ
وهل أبقى الخُنوعُ لهم من الغَيْرة ما يَحْتَدّ؟!
ولو بَعُدَتْ بهم دارٌ وراءَ الأمدِ الأَبْعَدْ
لقُلْنا هاض ريش جناحهم عَصْفُ النَّوى المُحْتَدّ
ولكنْ صَدَّعَ «الأقصى» وزَلْزَلَ رُكْنَه المُشْتَدّ[2]

فالبحيري لا يرى سبباً وجيهاً لعدم نصرة الشعب العربي والإسلامي في فلسطين الحبيبة، لا البعد الجغرافي ولا غيره من الأسباب، وذكر الشاعر أن علّة الطغيان الصهيوني وعنجهيته إلى هذا الحد من هتك الأعراض وسفك

١. عمر أبو ريشة، *ديوانه*: ١ / ٥٢.
٢. حسن البحيري، *حيفا في سواد العيون*: ص٧٦ و٧٧.

الدماء هو الخنوع وعدم وجود الغيرة العربية والإسلامية لدى البعض، وهذا الذي أودى بالأقصى وزلزل أركانه أسيراً بيد الدويلة العنصرية لا غير.

٢. الضمير العربي في الخمسينيات

استمر استصراخ الضمائر العربية في شعر القدس، والذي حاول الشعراء فيه استنهاض الضمائر الحية، واستثارتها، وحث وجدان الأمة العربية والإسلامية، لكي تكون بمستوى المسؤولية تجاه قضيّة القدس الشريف، إذ فلسطين قضيّة الأمة ورمز عزتها فلابد من العمل في سبيلها وتكريس كل الإمكانات المادية والمعنوية من أجلها، ولابد من شجب كل الأعمال التي تصدر على خلاف مصلحة الشعب الفلسطيني المنكوب، لأنّ ذلك خلاف الضمائر الحية وخلاف الوجدان اليقظ كما صرح به عمر أبو ريشة في قصيدته (هكذا ـ ١٩٥٤م) إذ استنكر ماصدر عن أحد الرعايا العرب في بريطانيا آنذاك، حينما أنفق ستين ألف دولار على عشيقته ولم يصرفها في الاتجاه الفلسطيني حين يقول:

قال.. ياحسناءُ ماشئتِ اطلبي   فكلانا بالغوالي مولع[1]

ثم يواصل قوله:

والبطولات، على غربتها   في مغانينا، جياعٌ خُشَّعُ
هكذا.. تُقْتحم القدس على   غاصبيها.. هكذا تُسْترجعُ!![2]

فالشاعر يعتقد بتسخير كل ما يمكن من خلاله خدمة فلسطين والقدس في سبيل تحريرها، يهزأ بالذين يبذلون الأموال في الأعمال المستهجنة والبعيدة عن الأخلاق الحميدة.

---

١. عمر أبو ريشة، *ديوانه*: ١ / ٥٨.
٢. *المصدر*: ١ / ٥٨.

وأمّا الشاعر حسن البحيري ذو الوجدان النابض فوجّه خطابه العتابي لضمير الأمة وقادتها سائلاً كيف يمكن للأمة العربية أن تقف متفرجة على هذه المأساة وتسمع نداء القدس وهي تستغيث بتلك الضمائر لنجدتها ولا تحرك ساكناً وتسرع لإنقاذها من براثن الاحتلال. وأخذ يتساءل الشاعر وكأنّه غلب عليه اليأس إذ يقول في قصيدة (الأنهر الظمأى ـ ١٩٥٨م):

وجراحُ «القدس» هَلْ يَبْقَى على الدَّهرِ جواها
وَقْدَ نارٍ ما خَبَا ـ مُذْ أُشعِلَتْ ـ حَرُّ لَظَاها
وَيَظَلُّ الدَّمُ يجري كالحَيَا فوق ثراها
وإذا نادَتْ فلا يُسْمَعُ في غَوْثٍ نداها[١]

من الصعب أن يرى البحيري ضمائر الأمة ووجدانها على هذه الحالة المأساوية، متجاهلة ما يعصف بها يومياً ويُحاك ضدها، ولذا أخذ يتساءل: إلى متى تبقى القدس مكبّلة والنّار تشتعل بأركانها منذ أن دلعها التيار الصهيوني المتطرف عام (١٩٤٨م).

٣. خطاب الضمائر في الستينيات

إن الضمير هو الصوت الباطني العادل والنور الذي يبزغ فجر الحرية من أبوابه، إذ هو دائماً يدعو إلى الخير وتجنّب الشر ويأمر بالمعروف وينهي عن المنكر، وماحلّ بالقدس من غضب واعتداء وسفك دماء هو المنكر نفسه والشر ذاته، ولذا حاول شعر القدس عرض القضية على الضمير العربي والإسلامي إثارة للحمية، وتصعيداً للغيرة، وللإمعان في عمق الجراح، وقد امتزج هذا العرض الشعري بالألم والحزن، وحرقة القلب، عند أكثر روّاده لاسيما شعراء الأرض المحتلة أمثال

---

١. حسن البحيري، *الأنهر الظمأى*: ص ٥٨.

الشاعر حنا جاسر في قصيدته (ململس الرشاش ـ ١٩٦٩م)

فيمَ التكلّمُ، لا مجدٌ ولا عِظَمُ تـوافر الشّعرُ فينا، وانطوى الشَمَمُ
مَنْ أرضُهُ، دنّستْ أقداسَها قدمٌ الصمت أجدى له، والموتُ والعدمُ
أو ينفث الشعر نيراناً مسعّرةً في كلّ قافيةٍ، حرّيةٌ، ودمُ
عارٌ نزيّن للذكرى منابرنا ومنبرُ الحق سادت فوقه الظُّلَمُ
عارٌ وفي القدس أعلامٌ مسدسةٌ يئن تحت لظاها القبرُ والحرمُ[1]

فأخذ الشاعر يهز الضمائر ويوقظ الوجدان ويقرع غيرة الأمة وزعماءها بتكرار كلمة عار أكثر من مرة، وكأنه يرى الموت أجدر بالإنسان من أن يبقى حيّاً وينظر إلى القدس يرفرف فوقها العلم الصهيوني والشعب يعيش المأساة والاضطهاد وأرضه مدنّسة.

أمّا قصيدة (المسجد الحريق ـ ١٩٦٩م) التي نظمها برهان الدين العبوشي بعد المبادرة الصهيونية لحرق المسجد الأقصى، فقد خاطب فيها الوجدان العربي من المسلمين والمسيحيين معلناً أن المساجد والكنائس لله سبحانه، وطلب أن تهبّ الأمة لحماية القدس والمقدسات فيها من الأعداء إذ هي مدينة إسلامية ومسيحية وقد انتهك العدو قداستها، ولابد من حمل السلاح بوجه البطش والجبروت الصهيوني لتكون النتيجة هي تحرير القدس وطلوع فجر الحرية والعدالة:

يامسلمون ويا نصارى يَعْرُبٍ لم يُلْهِني الأقصى بنار رثائِهِ
إن المساجد والكنائس كُلُّها لله فاحْمُوا القدسَ من أعدائِهِ
فإذا عَزَمْتُمْ فالسلاحُ سبيلُكم فاستشهدوا تَلْقَوا جزاءَ فدائِهِ[2]

١. حنا جاسر، *أمة وجراح*: ص٨٣ و ٨٤.

٢. برهان الدين العبّوشي، *ديوانه إلى متى*: ص٢٧.

٤. الضمير العربي في السبعينيات

القضية الفلسطينية كان لها النصيب الأوفر من نتاج الشاعر الفلسطيني محمود حامد، وليس هذا مستغرباً من شاعر مناضل وصاحب ضمير حيّ عانى فداحة المصاب وهوله، ورآه بأمّ عينه فهو يعيش لهب المأساة ويكتوي بلظاها، مفنّداً الذين تسببوا بها تارة والمتخاذلين الذين لا يحرك ضمائرهم أنين القدس ونحيبها تارة أخرى. فهو يهاجم باعة القدس ومقترفي الجريمة مرة ويتوسل بالنخوة العربية مرة ثانية، ينظم قصيدته (عودة الطّاعون ـ ١٩٧٨م) قائلاً:

وصوتك الداوي يمزقني
يمرُّ أمام باب المسجد الأقصى
ويركع باكياً ويظل يصرخ: يا تراب المسجد الأقصى..
أنا المغلول عبر جراح مصر، فمن يخلصني؟؟؟
أتيتك يا تراي المسجد الأقصى
فلا تنظر إليّ بحزنك المذبوح.. إنّ الحزنَ يقتلني
حملتك يا تراب المسجد الأقصى بذاكرتي سنين طوال،
كنت ملامح الأبطال، والشهداء، والأشعار،
أتيتك يا تراب المسجد الأقصى
وساعةَ قبّلَتْ شفتايَ وجهَكَ، كنتَ تسقطُ أنتَ..
قد باعوك ثانية، وثالثة، وعاشرة،
لقد باعوك ياوطني
بكيتك كيف تصبح في ثوان ملك إسرائيل،
كيف قبابك الخضراء
تنكسر البيارق فوقها؟؟؟ والريح تنعيها؟؟؟
وكيف القدس عارية، أمام مقابر الشهداء

تصرخ نخوة العرب الأباة،
وليس من رجل يلبّيها؟؟؟
هل الأرحام أضحت في زمان المحل خاوية؟؟؟
وهل ساح الأباة عفت على أشلاء ماضيها؟؟؟[1].

توجه محمود حامد بخطابه الحزين إلى نيل مصر قائلاً: هل يا نيل تعرفني؟؟؟ فالشاعر حكى قصة الماضي المجيد وذكّره بصحراء سيناء، والرابطة الأخوية، والعلاقة الودية التي كانت بينهم، متأسفاً على الحاضر الردي لأنه تغيّر فيه الكثير!، فالجواب: أصبح النيل مكبلاً بالسلاسل والأغلال (لعل الشاعر يشير إلى معاهدة كامب ديفيد)، ويريد التخلص منها، معيداً إلى ذاكرته بطولات الماضي، وملامح الأبطال والشهداء، استمر النيل ينادي كيف يمكن أن ترفرف أعلام العدو الصهيوني فوق المسجد الأقصى؟ أين الضمائر الحيّة؟ أين النخوة العربية؟ أين الأمة الإسلامية؟ أين..؟

٥. خطاب الضمائر في الثمانينيات

كلما مرّت السنون أخذت آمال شعراء القدس تذوب وتتبخّر يوماً بعد يوم لأن أبناء يعرب ساكتون على الضيم وهم يرون جرح القدس ونزيفه ويسمعون أنينه.

أمّا سليمان العيسى ففي قصيدة (الأرض ... والجسد ـ ١٩٨٩م) يرى الكيان الغاصب قد شيّد دويلته على أشلاء الشهداء وبيوت أبناء وطنه، وهذا لم يحدث إلاّ بعدما غاب الضمير العربي عن الساحة الفلسطينية وترك خنجر بني صهيون في خاصرة القدس الدامية، وبعدما اتصف بالخذلان بعض الأنظمة العربية الذين عمدوا لبعثرة الشعوب وتشتيتها بدلاً من

---

١. محمود حامد، *موت على ضفاف المطر*: ص ٤٠

توحيدها، مع هذا كلّه يبدو الشاعر بأنه متفائل إذ يقول:

فوق دمي تَرْتَصِفُ
«نَظَماً» تَرْتَصِفُ
«قِمَماً» تَرْتَصِفُ
عند قمعي وحده.. تأتَلِفُ
والخِلافاتُ
على وَأدِيَ لا تختلفُ
كانت الطَّعْنَةُ في القلبِ.. وشَقَّتْ جَسَدي
فأنا شطرانِ.. لا يَلْتَقيانْ
عربياً كان منذُ الطعنةِ الأولى الصّراعْ
عربيّاً.. سوف يَبْقى نتردَّى فيه.. نَشْقَى
لم نَزَلْ نَسْقيه غالي دَمِنا..
عِرْقاً فعِرْقاً
عربيّاً كان ميدانُ الصّراعْ
ومنَ القدس.. إلى أقصى الجراحاتِ الزّماع[١].

٦. التسعينيات وخطاب الضمائر العربية

الخطاب في هذه الفترة الزمنية يشبه الخطاب في المراحل السابقة، فاللهجة هي اللهجة، التقريع واللوم للضمائر الخامدة مرّةً، وإثارة الشعور والمروءة ثانية، أمّا الهدف فهو تحرير الإنسان الفلسطيني ووطنه من عبودية الاحتلال، ومن هذا القبيل أبيات الشاعر اللبناني عفيف النابلسي والتي نظمها في يوم القدس العالمي عام (١٩٩١م) إذ يقول فيها:

---

١. سليمان العيسى، *الأعمال الشعرية*: ٤ / ٤٥٠ و٤٥١.

ماضٍ إلى القدس في وتْرٍ من الزمنِ ياعاشقَ القدس خفّفْ ثورة الوسنِ
خمسون عاماً وقدسُ القدسِ منهتكٌ والقدسُ تصرُخُ بالشكوى وبالشجنِ
أين الذين أعزّوا القدس من زمنٍ وشيّدوا في حماها دارسَ السُّننِ
ما بالُهم قصَّروا عن صون حرمتها كأنها دمنةٌ من سائر الدِّمنِ[١]

فحاول الشاعر إثارة الضمير العربي والإسلامي تجاه ماحدث ويحدث في القدس وبأولى القبلتين مطالباً الضمائر بأن تبادر إلى وضع حدٍّ لانتهاك مقدساتها.

جدول أهم قصائد موضوع استصراخ الضمائر العربية والإسلامية حسب الترتيب الزماني

الشاعر	الجنسية	عنوان القصيدة	التاريخ	المصدر	الصفحة
عمر أبو ريشة	سوري	حماه الضيم	١٩٤٨	ديوان، ج١	١٤ـ ٢٠
حسن البحيري	فلسطيني	عمي الملوك	١٩٤٨	حيفا في سواد العيون	٧٥ـ ٧٩
عمر أبو ريشة	سوري	هكذا	١٩٥٤	ديوانه، ج١	٢٥ـ ٢٧
سليمان العيسى	سوري	لاجئة في النظارة	١٩٥٤	الأعمال الشعرية، ج١	٢١٥ـ ٢٢٠
حسن البحيري	فلسطيني	الأنهر الظمأى	١٩٥٨	ديوانه الأنهر الظمأى	٤٧ـ ٦٠
يوسف الخطيب	فلسطيني	دمشق والزمن الردي	١٩٦٢	واحة الجحيم	٥٩ـ ٧٥
حنّا جاسر	فلسطيني	ملمس الرشاش	١٩٦٩	أمة وجراح	٨٣ـ ٨٧
برهان الدين العبوشي	فلسطيني	المسجد الحريق	١٩٦٩	إلى متى	٢٤ـ ٢٨
محمود حامد	فلسطيني	عودة الطاعون	١٩٧٨	موت على ضفاف المطر	٣٧ـ ٤٨
ناصر الخوري	سوري	أقسمت باسمك	في السبعينات	ديوانه السنابل	٤٦ـ ٥١

١. عفيف النابلسي، *نفحات عاملية*: ص٥.

سليمان العيسى	سوري	الأرض.. الجسد	١٩٨٩	الأعمال الشعرية، ج٤	٤٤٧ـ ٤٥٣
عفيف النابلسي	لبناني	يوم القدس	١٩٩١	نفحات عاملية	٥ ـ ٨
عبد اللطيف محرز	سوري	واستفاق التاريخ	٢٠٠٠	حقائق وأوهام	١٣٢ـ ١٣٩

إرجاع العرب إلى ماضيهم المشرق

لعلّ من أهمّ الدواعي لشعراء القدس لإرجاع الأمة العربية إلى ماضيها المشرق هو تذكيرها بأمجادها والسالف من أيّامها، محاولة لربط حاضر خير أمّة أخرجت للناس بغابرها المنصرم لتواصل مسيرتها، ويقتدي بها الأحفاد متذكرين مئات السنين التي كانت فيها الأمة العربية والإسلامية زاهية عزيزة مزدهرة، لكي يؤمنوا بأنفسهم وقدرتهم، وأنه ليس من المحال إعادة الماضي وما يحمل في طياته من إشراق وثبات ومعنوية سجلت لهم عبر التاريخ، وهاهي الأمة العربية لم تمت وإنما غشيها ما غشي الغير من الغفلة والذوبان، ونسيان ما عندها وما تملك من قدرات مادية ومعنوية، ولم تقف الأمة في حاضرها على هذه الحدود بل تبعثرت وأخذها رعب العدو، وكَبُرَ في أعينها ما يمتلك، لذا أدرك الشعراء الملتزمون هذا الخطر الفادح الذي سرى في شرايين أمتهم حينما تناست بل نسيت عهدها ومجدها الماضي.

ومما دعا للإحساس بالخطر هو الشعور بالحاجة إلى التذكير بأمجاد السلف وكفاحهم المستمر عبر عددٍ من القصائد الهادفة لقضية فلسطين وتحرير قدسها الشريف، نتناولها في هذا الموضوع حسب تسلسلها الزماني إن شاء الله تعالى.

١. القدس وماضي العرب في الأربعينيات

ماضي الآباء والأجداد المشرق والتاريخ النيّر والمستند إلى البطولات، خَلَقَ في ذهن الشاعر حسن البحيري سيفاً بتّاراً حينما سمع بقدوم الجيوش العربية

إلى فلسطين إذ لاح له أفق النصر وهزيمة العدو ممّا جعله يتغنّى بقصيدته (لنا النصر ـ ١٩٤٨م) معبّراً عن فرحته الكبيرة قائلاً:

لنا النصرُ.. لا لِفُلول العِدى ضَمِنّا له يومَنا والغَدا
فنحن، بني العرب، من أمّةٍ مُؤَثّلَةٍ في العُلا مَحْتِدا
أرادَ الخُلُودُ بها غايةً تَعِزُّ على وَهْمِهِ مَقْصِدا
ونحن على ذِرْوةِ الخافقَيْن وَطِئْنا بأقدامنا الفَرْقَدَا
وفَوْق السَّماء، وراء النُّجوم تَخِذْنا لنا في العُلا مَقْعَدا
أخي قِبْلةُ «القُدْس» لو أنْصِفَتْ لَرُحْنا لها رُكَّعاً سُجَّدا[١]

ولكن عندما حدث ما حدث من التقهقر أضاعت بعض الأنظمة العربية ما حققه التاريخ عبر القرون، وهدمت ما بناه الأجداد من الأمجاد ومنعوا من أن يقتدي الابن بأبيه لكي يسجّل صفحة مشرقة في حاضره ويضمها إلى ماضيه.

٢. القدس في الخمسينيات والستينيات

من خلال تتبّعي لنصوص شعر القدس في سورية ولبنان وفلسطين لم أعثر على قصائد تتناول القدس في هاتين المرحلتين تهدف إلى تذكير الأمة العربية بماضيها وتاريخها الزاهر، ولعلّ السبب في ذلك هو أنه حينما شاهد الشعراء استعداد الجيوش العربية، والحماسة الشعبية، وفي الوقت نفسه ما لمسوه من تصميم قاطع لسحق العدو الصهيوني وتطهير وطنهم منه، لم ير الشاعر المقدسي ضرورة استحضار الماضي المشرق بكل دروسه وعبره.

---

١. حسن البحيري، ديوان «*حيفا في سواد العيون*»: ص ٧٠ و ٧١.

٣. السبعينيات والتذكير بالماضي

نكسة حزيران وتداعياتها جعلت الخُلَّص لعروبة مقدسهم وإسلاميته لاسيما الشعراء يلتفتون إلى التاريخ، تاريخ الأمة المليء بالبطولات والفتوحات، وإلى ماضي الآباء والأجداد ومحاولة منهم لاستلهام العِبَر بعدما فقدوا آمالهم في أمّة وأنظمة لم تتمكن من إعادة وطنها، وهي تتهاون بمقدساتها متناسية هويتها وجذورها العربية والإسلامية، هذا الذي جعل الشاعر هارون هاشم رشيد في قصيدة (جذور ـ في السبعينيات) يفخر بأنه عربي من فلسطين، من القدس، من أرض كنعان يمشي مرفوع الرأس اعتزازاً بتاريخه الشامخ وأمجاده فيقول:

أجل إني من القدس وفيها قد نما غرسي
جذوري في عروق الصخر في الصُلْد، وفي المُلْسْ
ومن كنعان بي نبض ومن عدنان، من قيس
من الماضي، من الحاضر من يومي، ومن أمس
عريق المجد والأنسا ب مشدود إلى الشمس
بها أختال في الدنيا وامشي رافع الرأس[١]

وأمّا الشاعر اللبناني نجيب جمال الدين في قصيدة (عُنْواني عَلَى بَرَدَى ـ ١٩٧٧) فإنّه يهاجم الذين حفظوا شيئاً وغابت عنهم أشياء إذ يهلّلون لماضيهم وغفلوا عما هم فيه قائلاً:

ومُسَلْسَلَ الفخرِ القديمِ
أما انتهى وَقْتُ الهُراء
وَذلِكَ الغَثَيانْ

---

١. هارون هاشم رشيد، *مفكرة عاشق*: ص١٤.

مَرْضى.. وقَبْرُ الأَمْسِ يُشْرِعُ بابَهُ
وَمنَ الجديدْ
تُهيّأُ الأكْفانْ
وَنصُوغُ مَعْرَكَةَ الكلام
فَجنَّةُ فُرْسانُنا
وَخُيُوْلُنَا عُقْبانْ
وتُداسُ أقداسُ البلادِ
وَقُدْسُها
والافتخار مُعَرِّشٌ نَشْوانْ.[١]

فهو يرى بعين البصيرة أن لا جدوى في الحديث عن الماضي ونبش القبور والفخر بأهلها وهم سبات يأسفون على الذين أضاعوا القدس من بعدهم ولم يرحموا صرخاتها تحت سنابك الإرهاب الصهيوني وحكومته العنصرية ولم يرحموا حتى أنفسهم إذ الموت يدبُّ فيهم وهم نائمون.

٤. عبر الماضي في الثمانينيات

يتوجه الشاعر عبد الكريم الحمصي بالخطاب إلى أمة العُربِ التي خرج منها الرسول محمد بن عبد الله ﷺ وقاد ثورة تحرير لأبناء البشر، وبعدما فتح القلوب والعقول قبل الحدود بنى تلك الحضارة الإنسانية السامية، بهذه العظمة، كيف تنسى؟، فخطاب الشاعر في قصيدته (ألحان من اليرموك - الثمانينيات) خطاب لاذع ونقد لحاضر أمته العربية التي لم تلتفت إلى ماضيها لتأخذ العبرة من تلك الفتوحات الكبرى التي سجّلها التاريخ على أيدي عظمائها، وأبطالها، ولكنه الآن يرى يروا القدس يعبث الجناة بها فساداً:

---

١. نجيب جمال الدين، *قصائد إلى عاصمة المدن الشرقية*: ص ٦٥ و٦٦.

لمّا ذكرتُ القدسَ هزَّ مشاعري
ألمْ يهزُّ بطبعِه الشعراءا
يا أمّةَ العُربِ التي أيّامُها
كانت هدىً وحضارةً وبناءا
يا أُمّةَ العُربِ التي أرحامُها
وَلَدَتْ بنيَّ الحقِّ والعظماء[1].

انطلاقاً من هذه الرؤية جاءت اهتمامات الشاعر كمال رشيد في قصيدة (سعد- في الثمانينيات) بالعزة والكرامة العربية والإسلامية التي كانت لسلف الأمة، ويراها الشاعر اليوم أصبحت هزيلة نتيجةً لعدم الشعور والإحساس بالمسؤولية بل الانخراط في منتجع اللهو، واللعب والمفاسد الأخلاقية - كشرب الخمور والملذّات الجنسيّة - مما زاد في الابتعاد عن الماضي المشرق للآباء والأجداد، الذي لم يحصلوا عليه إلاّ بالمجاهدة والجهاد المادي والمعنوي:

عبَثٌ يمزّق عزةً سلفت ... أيام كان الحزم والجدّ
زمن يمر بغير ما ثمن ... عمر يضيع ودونه الرشد
فنهارنا سعيٌ بلا هدف ... والليل منا الخمر والنرد
لهوٌ وأموال وأرصدة ... كأس وجنس ذاكم المجدُ
والمسجد الأقصى يؤرّقه ... هذا العقوق يسوؤه البعد
والصامدون هناك طال بهم ... ليل الأسى أضناهم الوجد[2]

لعلّ كمال رشيد أراد من توجيه الخطاب لسعد، كل من يقود جيش تحرير القدس ويعيدها إلى أهلها وأصحابها حينما يكون قلبه مطمئناً بالإيمان،

---

١. عبد الكريم الحمصي، ديوانه، ألحان من اليرموك: ص ١١٨.
٢. كمال رشيد، *القدس في العيون*: ص ٦٤.

ولم يجعل اليأس والقنوط ينفذ إليه، فهو يرى راية النصر برقت أمامه وحان موعد النصر وأن يحتفل الشعب الفلسطيني وراية التحرير تخفق على رأسه عالية شامخة.

٥. الإشادة بالأمجاد في التسعينيات

هناك أصل متفق عليه وهو: مَنْ لم يكن له ماضٍ فماله من حاضر ومن ليس له حاضر فماله مستقبل، نظراً إلى هذا الأصل، عالج كثير من الشعراء قضية القدس من هذه الزاوية، وأخذ يتغنّى بالماضي ويفاخر به، لعلّه يكون مجدياً في إنقاذ الحاضر العربي والإسلامي المأسوف عليه، نلمس هذا بوضوح عند الشاعر السوري عبد اللطيف محرز في قصيدته (النشيد الثالث ـ التسعينيات):

وتنادي قدسٌ ولا من مجيبٍ ليس إلاّ صدى أنينِ الوادي
يا إلهي هل أُطفئ الجمرُ فينا وغدونا مواقداً من رماد؟
كيف قدنا الدنيا ونرضى أخيراً حول أعناقنا حبال انقياد؟
هي بلوى وسوف نخرج منها بنموٍّ الأجداد في الأولاد
برجوعٍ لمنبع الوحي نوراً واقتناص الآفاق والأبعاد
يا عليُّ، ها حصن خيبر قد عاد وعادت جحافل الأوغاد
فتسلَّم من أحمد راية الفتح وشمّر عن همّة الآساد[١]

قارن الشاعر، الماضي بالحاضر وأخذ يتساءل عمّا حلّ بنا بعدما كنا ناراً تلظّى وجمراً يتوهّج، كيف أصبحنا موقداً من رماد؟! لكن الشاعر استطاع أن يقدّم الحلول لهذه الحالة المأساويّة حين قال إنها كارثة، وسوف نخرج منها حينما يحذو أولادنا حذو الأجداد ويسلكون مسلكهم، بأن يرجعوا إلى منبع

---

١. عبد اللطيف محرز، *أناشيد الحق في رحاب علي*ؑ: ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥.

الهدى ويتزودوا من العلم والتقوى، ﴿... فَإِنَّ خَيرَ الزَّادِ التَّقْوَى...﴾.[١] ثم التفت الشاعر إلى التاريخ وإلى أمجاد العرب والإسلام، فوجّه الخطاب إلى الإمام علي ﷺ قائلاً له: إنّ حصون خيبر قد عادت، ولعل عبد اللطيف محرز لجأ إلى استذكار هذه الشخصية العظيمة وقلعها باب خيبر، استنفاراً لأمة علّها تعيد الأيام تلك وتطرد الصهاينة الغزاة وتحرر القدس من غاصبيها، وفي ـ ظننا ـ إن الشاعر قد نجح بتقديمه هذه الحلول إذ انّها أثبتت مفعولها في عدة مواطن في الماضي والحاضر، وهاهي أمة القسام ونصر الله وياسين ولبنان دليل على ذلك.

جدول لأهم قصائد شعر ماضي العرب المشرق حسب الترتيب الزماني

الشاعر	الجنسية	عنوان القصيدة	التاريخ	المصدر	الصفحة
حسن البحيري	فلسطيني	لنا النصر	١٩٤٨	حيفا في سواد العيون	٧١
هارون هاشم رشيد	فلسطيني	جذور	في السبعينيات	مفكرة عاشق	١٥
ناصر الخوري	سوري	نشيد	في السبعينيات	ديوانه السنابل	٧٩
نجيب جمال الدين	لبناني	عنواني على بردى	١٩٧٧	قصائد إلى المدن	٦١
عبد الكريم الحمصي	سوري	ألحان اليرموك	في الثمانينيات	ديوانه ألحان اليرموك	١١٨
كمال رشيد	فلسطيني	سعد	في الثمانينيات	القدس في العيون	٦٤
هارون هاشم رشيد	فلسطيني	إلى عمر بن الخطاب	في الثمانينيات	قصائد فلسطينية	١٣١
عزران حجازي	سوري	القدس تنادي ياعرب	١٩٨١	القدس في القلب وفي الأسر	٥٦
هارون هاشم رشيد	فلسطيني	جذور	في السبعينيات	مفكرة عاشق	١٥

١. البقرة: ١٩٧.

عبد اللطيف محرز	سوري	النشيد الثالث	في السبعينيات	أناشيد الحق في رحاب علي عليه السلام	٢٢٤
خضر الحمصي	سوري	نداء الوثبة	نهاية التسعينات	الليل والطريق	١٢٦ـ ١٣١
محمد إياد عكاوي	سوري	قسماً سنبقى	٢٠٠٠	لبيك يا أقصى	٢١

الشجاعة وحجارة الغضب

أنين القدس المكبّلة بسلاسل الاحتلال هو الذي فجّر بركان حجارة الغضب المكتوم والذي تراكم لأكثر من ثلاثة عقود من سالف الزمن حين فشلت كل المحاولات العسكريّة والتطبيع والمساومات السياسية، بعد أن لفّها الشعب الفلسطيني الثائر بخرقة الذّل والخضوع لدفنها في مزبلة التاريخ ليبدأ مسلسل انتفاضته الباسلة لكي تتحول ـ بالفعل ـ إلى منهج حياة شعب سُلبت أرضه، وانتهك عرضه. هي انتفاضة تُدمي العدوَّ كما يُدمي هو، ويُقتَل كما يَقتُل، هذا أبرز حصادٍ بعد زمن طويل من تجرُّع مرارة الهزيمة المذلة والمخزية، هي انتفاضة قضت على عملية التخدير العربي الذي قام به زعماء التطبيع لتجرّع كأس الخنوع، والتكيّف مع الاحتلال الغاشم، هي انتفاضة أشعلها أطفال اتّسموا بالشجاعة العربية والسمات الإسلامية والإنسانية، ولقد ثبت للعالم أن سلاح الحجارة إذا اتصف بالحق أصبح أقوى وأشد من قصف الطائرات والدبابات، إذ هو السبيل الوحيد لاقتلاع الغدة الصهيونية القاتلة، وتبديد أوهام العدو حجارة الغضب هي التي جعلت الكيان الغاصب يشعر بالهزيمة والتراجع أمام إرادة الشعب الفلسطيني المضطهد، بل كل شعب تعرّض للعدوان وللاحتلال ليدافع عن نفسه وحقوقه. ولشعراء الشعر المقدسي دورٌ كبير في استمرار انتفاضته ليصبح حجر الغضب من دواعي شعرهم واتجاهاته العربية، وهذا ما سنلاحظه في هذا الموضوع إن شاء الله تعالى.

١. انتفاضة الثمانينيات وحجر الغضب

«إن الانتفاضة هي حرب التحرير التي يخوضها الشعب الفلسطيني، فالتاريخ يعلّمنا أنه لا توجد أمّة عندها استعداد أن تعيش تحت هيمنة شعب آخر، وأن حرب التحرير التي يخوضها شعب مضطهد ستنجح حتماً»، هذه من تصريحات مايكل ابن مائير[1]، الذي عرف حقيقة الانتفاضة وحتميّة انتصارها على شعب لقيط أراد أن يحل مكان شعب آخر زوراً وعدواناً لأول مرة في التاريخ، وهذا ليس من الممكن كما يقول (إبراهام يحموشع) متسائلاً «هل بإمكانكم أن تأتوا بمثال واحد في التاريخ نجح فيه شعب في السيطرة على شعب آخر لفترة طويلة؟»[2] بناء على هذا فمن الطبيعي أن ينتفض شعب حاملاً بيده حجارة الغضب، إذ هي السلاح الوحيد الذي يمتلكه جاعلاً منه حجارة سجّيل لتحوّل غطرسة الإرهاب وعنجهيته إلى عصف مأكول، وهذا الذي فجّر قرائح شعراء القدس بالقصائد الفريدة في نوعها مهلهلة لقذف حجارة الشبان والأطفال لكي يقلبوا كل معادلات الاحتلال وإرهاب الدولة على رأس كيانه، كما يصرّح الشاعر سليمان العيسى في قصيدة (نشيد الحجارة ـ ١٩٨٧م) مستبشراً بحصاد ثورة الحجارة:

يا لَحْمَنا العربيَّ..
يامَنْ هانَ حتى كاد يخرجُ
من رقيمِ الآدميينَ..
التقط حجراً كهذا الطفلِ، واضربْ
مَرَّةً.. زحزِحْ لجامَ القَهْرِ، واضربْ
مَرَّةً.. جَرِّبْ شموخَ الرأسِ، واضربْ

---

١. عبد الوهاب المسيري، *من الانتفاضة إلى حرب التحرير الفلسطينية*: ص١٢٦.
٢. *المصدر*: ص١٢٦، نقلاً عن جريدة (*يديعوت أحرونوت*)، ٢٢/ ١/ ٢٠٠٢م.

مَرَّةً.. قل أَنْتَمي للدمِ، لا للنفطِ، واضربْ
ربّما.. رَدَّتْكَ للأحياء
للبَشَرِ الحِجارةْ
أبطالنا المتشبثون بأرضهمْ وبشمسهمْ،
وبزهرة الرمانِ والزيتون في أيديهم،
لهُم تهيِّئُ ثوبَها القدسُ الجريحُ،
مُطَرَّزاً بالأرجوانِ..
وتستعِدُّ لِعُرْسها العربيِّ..
قالت لي الحجارَةْ..[1]

فيرى الشاعر أن الانتفاضة أخرجت قضية فلسطين من العدم إلى الوجود وجعلت الإنسان العربي والمسلم يعود مرفوع الرأس، يعيش في عالم الأحياء وصاحب رؤية واضحة بأن يوم النصر لاح في أفق سماء فلسطين، وتهيّأت القدس لتلبس ثيابها القشب، ثياب التحرير.

وأمّا الشاعر كمال عبد الرحيم رشيد في قصيدته (الله أكبر - في الثمانينيات) فإنه يستبشر بأخبار الانتفاضة وثورة الحجارة على يد الفتية الشجعان ويمجّدهم ويحيّيهم، فهو يرى فيهم بارقة أمل إذ لعل الخطأ الذي ارتكبه الآباء والأجداد يغسله الأبناء والأحفاد فيقول:

ماذا أقول لكم؟ في القدس أخبار   كأنها في عيون القوم أقدار
في القدس نار على الأعداء نازلة   وفي أيادي بنات الرّام[2] أحجار
وفي مخيم أطفال لهم هِمَمٌ   شمّاء قعساء فيها النور والنار

١. سليمان العيسى، *الأعمال الشعرية*: ٤ / ٣٨٥ و٣٨٦.
٢. الرّام: ضاحية من ضواحي القدس.

خَشْوُ البنادق لم يُرهب بني وطني ولا القنابل صدَّت من لهم ثار
شبوا على الطوق، ردوا الظلم وانتفضوا فهم على الظلم والعدوان ثوار[١]

وعندما اندلعت ثورة حجارة الغضب أشاد هارون هاشم رشيد في قصيدة (سفينة العودة ـ ١٩٨٨) بثوّارها، ووجد فيها مشعلاً من مشاعل الأمل لتحرير الأرض المحتلة وبارقة نصر على العدو المدجج بالدروع والأسلحة الفتّاكة، بعدما شاهد رعب وتراجع الصهاينة أمام حجارة الأطفال الذين كسروا شوكة العدو بشجاعتهم وإصرارهم على المواصلة حتى النصر الموعود.

بوركْتِ غزّة، يوم أشعلتِ اللظَى لهباً، تموجُ بهِ الديارُ وتنشرُ
بوركْتِ قاذفَةَ الحجارةِ هكذا تَثِبُ الشعوبُ، وهكذا تتحرَّرُ
حجرٌ إلى حجرٍ وألفُ قذيفةٍ ترتدُّ خاسرةً بهِ تتقهقرُ
تُمسِي الحشودُ الدارعاتُ أمامه ورقاً، يمزِّقُ خاسراً ويكسَّرُ
فإذا الجنود بكلِّ ماقد دجَّجُوا يتراجعون أمامَ طفلٍ يَزأرُ
في القدسِ في نابلس يهدرُ صوتها ويموجُ عاصفةً تمورُ وتنذرُ[٢]

فلقد بدّدت حجارة الغضب أوهام عصابة الإرهاب الصهيوني وجيشهم المسمّى بالجيش الذي لا يقهر، وزادت الشعب الفلسطيني الصامد عزماً وإصراراً على مواصلة الطريق.

٢. الشجاعة وحجارة الغضب في التسعينيات

تستمر ثورة الحجر ويحل عقد التسعينيات، تتفجر حجارة الغضب في كل ربوع القدس وفلسطين لتصبح انتفاضة شعبية عارمة، ولم تقتصر على الحجر فقط بل أخذ أبناء القدس، أصحاب الثأر السلاح لتكون لهم في جنوب لبنان

---

١. كمال رشيد، *القدس في العيون*: ص ٤٥.
٢. هارون هاشم رشيد، *ثورة الحجر*: ص ٦٣ و ٦٤.

أسوة حسنة، هذا ماأشار إليه الشاعر اللبناني عفيف النابلسي في أبياته التي نظمها بمناسبة يوم القدس العالمي ـ ١٩٩٠م إذ يقول مخاطباً القدس:

مُدّي ذراعك للجنوب وتمدّدي فوقَ الشُّهوب
فخذي الحجارةَ وارجمي عند الشروق أو الغروب
وخذي المقالع والزنودَ السمرَ مِنْ أهل الحروب
وخذي الرصاصَ وقطّعي كلَّ المسالكِ والدروب
وخذي السيوفَ وجزّي ياقدسُ في باغٍ غصيب[1]

فيرى الشاعر أن استمرار الانتفاضة والثورة المسلحة هو الطريق الوحيد لتحرير القدس من الجلاّدين. وأيضاً من زاوية ثورة حجارة الغضب.

٣. عام ٢٠٠٠ م وحجر الغضب

وينظّم الشاعر السوري خضر الحمصي قصيدته (إلى أبطال الحجارة ـ ٢٠٠٠) والتي يبدأها قائلاً:

صبُّوا الحجارةَ، واقْذفوْهم بالحِمَمْ فالمجدُ مجدُكُمُ، وأعْظِمْ بالقَسَمْ
فخذي الحجارةَ وارجمي عند الشروق أو الغروب

ثم يقول:

سَنَرُدُّ للنصر المُؤمَّلِ عِزَّهُ وَسَيُزْهِرُ الليمونُ من بَعْدِ العَدَم
حطّينُ دَقَّتْ والمآذِنُ كَبَّرتْ وتراجع الطُّغيانُ والظُّلمُ انْهَزَم
والمسجد الأقصى على شُرفاتِهِ رَفَّتْ رُؤى الأعلام والنَّصرُ ارتَسَمَ[2]

روح الإصرار على الثورة والتحدي والمقاومة اقترنت بالأمل القوي عند الحمصي فهو يرى أعلام النصر ترفرف على شرفات الأقصى، ولهذا إن كان

١. عفيف النابلسي، *نفحات عاملية*: ص ١٤ و١٥.
٢. خضر الحمصي، *ديوانه الليل والطريق*: ص ١٣٧.

من دلالة فإنما هي ثقة هذا الشاعر بالنصر كسائر الشعراء الذين تغنَّوا بقصائدهم لثورة حجارة الغضب المنطلقة من أكف أطفال فلسطين الأشاوس هادفة إلى تحرير الأرض والإنسان من أغلال الاحتلال الصهيوني.

جدول أهم قصائد الشجاعة وحجارة الغضب حسب الترتيب الزماني

الشاعر	الجنسية	عنوان القصيدة	التاريخ	المصدر	الصفحة
سليمان العيسى	سوري	نشيد الحجارة	١٩٨٧	الأعمال الشعرية ج٤	٣٨٠ـ ٣٨٦
كمال رشيد	فلسطيني	ثورة الحق	١٩٨٧	القدس في العيون	٢٧ ـ ٢٩
كمال رشيد	فلسطيني	دمعة وفاء للشهداء	١٩٨٧	القدس في العيون	٣٦ ـ ٣٧
كمال رشيد	فلسطيني	الله أكبر	في الثمانينات	القدس في العيون	٤٥ ـ ٤٦
هارون هاشم رشيد	فلسطيني	سفينة العودة	١٩٨٨	ثورة الحجارة	٦٠ ـ ٦٧
محمود درويش	فلسطيني	أعراس	في الثمانينات	ديوانه ـ أعراس	
عفيف النابلسي	لبناني	يوم القدس	١٩٩٠	نفحات عاملية	١٤ ـ ١٥
عفيفة الحصني	سورية	أمطار نيسان	في التسعينات	وطني	٣٦ ـ ٣٧
محمود إياد عكاوي	سوري	مجد الحجارة	٢٠٠٠	لبيك ياأقصى	
خضر الحمصي	سوري	إلى أبطال الحجارة	٢٠٠٠	الليل والطريق	١٣٥ـ ١٣٧
خضر الحمصي	سوري	المجد تكتبه الحجارة	٢٠٠٠	الليل والطريق	١٢٦ـ ١٣١

القدس ودور الشباب العربي والمسلم

أمر لا جدال بشأنه أن الشباب الفلسطيني والشباب العربي والمسلم شكّل قفزة كبيرة في التاريخ النضالي لقضية القدس وتحريرها، وكل من يطّلع على دور الشباب وكفاحهم المستمر يؤمن بأنهم درع الأمة وحصنها وحماة الثغور وأوطانها على مرّ الأزمنة والعصور ويستمد من روحهم الوثّابة والمتأججة، الصمود والكفاح، والمقاومة، والبطولة.

وهاهم شبيبة فلسطين يسطِّرون أروع ملاحم النضال والفداء ويقدِّمون الشهيد تلو الشهيد دفاعاً عن كرامة الأمة كلّها، من خلال مقاومتهم ومواقفهم

ضد الاحتلال وآلة العدوان العسكرية الصهيونية، ولقد انبعث نور الرجاء والأمل من أعينهم، هم شباب الانتفاضة التي أذهلت العالم بأسره طول الأعوام المنصرمة على الرغم من شراسة العدو وغطرسته وعلى الرغم من مشاريع العدو التآمرية الهادفة لتصفية الشعب الفلسطيني بأجمعه. هاهو المستقبل يرنو إلى سواعد الفتية التي آمنت بربّها وإصرارها القوي على مواصلة الكفاح والمقاومة حتى دحر الاحتلال وكنس المستوطنات العنصرية الصهيونية، ومن هذا المنطلق بادر شعراء القدس لتسجيل أروع القصائد الفذة للإشادة بدور الشباب العربي والمسلم والشّد على أيديهم والأخذ بنهجهم الثوري، إذ هم يدافعون بكل فخر واعتزاز عن شرف الأمة وكرامتها، إنّها لمقاومة وكفاح حتى النصر وتحرير القدس.

القدس وشباب الثمانينيات

مما تجدر الإشارة إليه قبل عرض ودراسة النصوص الشعرية في عقد الثمانينيات من هذا الموضوع، أننا لم نحصل على قصائد تركّز على دور الشباب في شعر القدس مابين فترتي الأربعينيات والثمانينيات سوى بعض القصائد التي لم يكن للشباب فيها دور مقصود بالذات وإنّما كان ذكر الشباب فيها ذكراً عابراً أمثال قصيدة (نشيد الجهاد ـ ١٩٤٨م) للشاعر عبد الله يوركي حلاق[١] وقصيدة (بعد خمس سنوات ـ ١٩٥٣م) للشاعر محيي الدين الحاج عيسى[٢]، وقصيدة (ياسائلي ـ ١٩٧٧م) للشاعر جميل علوش[٣]، فحاول الشاعر توعية الشباب الفلسطيني واستنهاضهم وإثارة الحماس في نفوسهم تجاه مايحاك ضدهم تحت عناوين برّاقة وجذّابة لكنها تحمل في طياتها السم القاتل.

---

١. عبد الله يوركي الحلاق، *حصاد الذكريات*: ص ٥٥.
٢. محيي الدين الحاج عيسى، من *فلسطين وإليها*: ص ٦٠ ـ ٦٥.
٣. جميل علوش، *صوت الشعر*: ص ١٠٢ ـ ١٠٣.

لذا شمّرت هذه الفتية التي آمنت بربها فزادها هدىً عن سواعدها لتهبّ هَبّةً واحدة متسابقةً إلى تلبية الواجب، مدافعةً عن أهلها وناموسها ووطنها وقدسها فانطلقت إلى اتّباع الحق وطلب العلى وخوض المعركة لاستئصال الصهاينة وقلع جذورهم من قلب فلسطين والقدس مدينة السلام.

هكذا سجّل لنا شعر القدس دور الشباب العربي والمسلم تجاه القدس الشريف، فالشعراء مابين داعٍ للشباب للتحلّي بالأخلاق الحميدة والارتفاع إلى مستوى المسؤولية، ومستبشر بفجر انتفاضتهم وبزوغ نور النصر والحرية ببركة سواعدهم وعلوّ همتهم وخالص نيتهم، وبين متشائم لما أصابهم من انصهار في الثقافة الغربية.

جدول أهم قصائد شعر القدس ودور الشباب العربي والمسلم حسب الترتيب الزماني

الشاعر	الجنسية	عنوان القصيدة	التاريخ	المصدر	الصفحة
عبد الله يوركي حلاق	سوري	نشيد الجهاد	١٩٤٨	حصاد الذكريات	٥٥
محي‌الدين الحاج عيسى	سوري	بعد خمس سنوات	١٩٥٣	من فلسطين وإليها	٦٠
جميل علّوش	فلسطيني	ياسائلي	١٩٧٧	صوت الشعر	١٠٢
عزران حجاري	سوري	إلى القدس هيا ياشباب	١٩٨٠	القدس في القلب وفي الأسر	١١٩
هارون هاشم رشيد	فلسطيني	وردة على جبين القدس	١٩٨٨	وردة على جبين القدس	١٧ ـ ٤٧
محمد إياد عكاوي	سوري	فجر الكرامة	٢٠٠٠	لبيك ياأقصى	٢٤ ـ ٢٥

القدس والمرأة العربية والمسلمة

الاهتمام بالمرأة والنهوض بدورها في قضية فلسطين، ماهو إلاّ تعزيزٌ لمساهمتها في انتصار الأمّة على عدوها وتحرير قدسها، وذلك إما من خلال

مشاركتها بشكل مباشر كحمل السلاح جنباً إلى جنب مع الرجل والدفاع عن الأرض والكرامة الإنسانية، أو غير مباشر كإرضاع لبن حب المقاومة والشهادة لأطفال العروبة والإسلام ورعاية الأبطال والثوار، بل وفي جميع المجالات، وتحمّل المسؤولية الكبيرة الملقاة على عاتقها في تربية جيل واع ومثقف ليكون عنصراً فعّالاً في الدفاع عن وطنه وعزته وكرامته، كما كانت المرأة في التاريخ المنصرم، إذ ضربت أصدق الأمثلة وأروعها في هذا الشأن من زوجة فرعون، إلى خديجة الكبرى عليها السلام، إلى فاطمة الزهراء عليها السلام، إلى زينب عليها السلام بطلة كربلاء، ومروراً بجنوب لبنان وفلسطين، الأمهات الشامخات اللواتي قارعن ويقارعن الاحتلال ويلعبن دوراً مهماً في الذّب عن الأرض والعرض، يشددن أزر الرجال ويلهبن حماستهم، وهذا لم يخفَ على الدنيا بأسرها حينما تشاهد المرأة العربية والمسلمة كيف تزيّن ولدها، تعطيه السلاح ثم تزفه نحو الشهادة، ترفع يدها إلى السماء طالبة من الله أن يرزق فلذة كبدها الشهادة في سبيل الله والوطن، وما أحوجنا اليوم إلى روح زينب عليها السلام والخنساء وهذا النمط من النساء في مواجهة الاحتلال والإرهاب العنصري الذي استهدف الإنسانية كلّها تحت الشعارات المزيفة والخداعة، من هذا المنطلق حاولنا أن نسلّط الضوء بقدر استطاعتنا على هذا الموضوع.

١. المرأة في السبعينيات

لم أعثر من خلال تتبعي لنصوص شعر القدس في سورية ولبنان وفلسطين على هذا الأمر إلاّ في عقود مابين السبعينيات والتسعينيات، وإن دلّ هذا على شيء فإنّما يدل على أنّ المرأة لاتزال بعيدة عن أذهان بعض شعراء القدس، عن مكانتها ودورها الفعّال في تربية الجيل النضالي، ولكن البعض الآخر ركّز

على هذا الدور الرئيس والمهم، ومن هؤلاء الشعراء تغنّى الشاعر السوري عبد الله يوركي حلاق في نشيده (نشيد مناضلة ـ ١٩٧٠م):

أنـــــا بنـــــتٌ عربيَّـــــةْ قـــــد حملـــــتُ البندقيّـــــةْ
وعلـــــى كفّـــــيَ روحـــــي ذَلَّ مَـــــنْ خـــــافَ المنيـــــةْ
أنـــــا مِـــــنْ صـــــلْبِ العروبـــــةْ مـــــن فلـــــسطين الحَبيبـــــةْ
كيـــــف يـــــصفو لـــــيَ عـــــيشٌ وأراضـــــينا ســـــليبَةْ
إنَّ لـــــي فـــــي القـــــدس دارا وعلـــــى صـــــهيونَ ثـــــارا
لا يُعيـــــدُ الحـــــقَّ إلاَّ مـــــدفعٌ يمطِـــــرُ نـــــارا
لـــــيس دربُ النـــــصر ســـــهْلا فابـــــذلوا الأرواح بـــــذلا
قَـــــدَمُ الثّـــــوارِ غـــــالِ وتُـــــرابُ القُـــــدسِ أغلـــــى[١]

فدور المرأة حسب ما يراه الشاعر ـ حلاق ـ لا يقل عن دور الرجل، إذ أنها تحمل السلاح وتدافع عن وطنها المحتل، ولا شك أن من الصعب أن ترى أخاها، أو أباها، أو زوجها، أو هم جميعاً صرعى، فيقيناً دمهم غالٍ ولكن تراب القدس أغلى، فهي لا يهدأ لها بال مادام وطنها في قيد الاحتلال.

٢. الثمانينيات ودور المرأة

كلّما مرّت الأيّام ومضت السنون تجلّى دور المرأة أكثر وأكبر، وعلى هذا الأساس تنطلق كلمة كمال عبد الرحيم رشيد في قصيدته (الحبيبة ـ في الثمانينيات) يمجّد المرأة العربية فيها مشيراً إلى بطولاتها وتضحياتها عَبْرَ التاريخ فهي لها أسوة في أسماء والخنساء حين يقول:

ونـــساء الأقـــصى نـــساء فـــداءٍ كُـــلُّ أنثـــى فـــي أرضـــنا الخنـــساء

---

١. عبد الله يوركي حلاق، عصير *الحرمان*: ص٣٦.

هـــــي أم الرجـــــال أم الأمـــــاني والتفـــــاني وأختهـــــا أســـــماء
أرضـــــعتهم لِبـــــانَ عِـــــزٍّ ومجـــــد وتبـــــارى الآبـــــاء والأبنـــــاء
أيُّهـــم يحـــرس الحبيبـــة يـــوفي بحقـــوق وللحقـــوق وفـــاء[1]

وللشاعر هارون هاشم رشيد قصيدة (وردة على جبين القدس ـ ١٩٨٨م) رسم لنا فيها صورة الزوجة التي تقدم زوجها قرباناً للقدس في سبيل تحريرها، كيف تودّعه وهو حبيبها إنه لموقف منبعث من إيمان صادق بالقضية وبالسبيل الوحيد المؤدي إلى التحرير والحريّة، سبيل الشهادة والصبر على الفراق حتى ولو كان زوجاً حبيباً.

هو في طريق القدس، .. وهي عروسُهُ عِنْدَ «النُّصيرات» المحاصر تَرقُدُ
مازالَ في أحشائها من نبضة أملٌ، من الحزنِ الكبير سيُولدُ
ماذا تُرى قالت له، لمّا مضى وبأي قلبٍ ودَّعتْ تَتَجَلَّدُ
هي مِثْلُ، كُلِّ الباسلاتِ نسائنا يَعرفنَ أن طريقَنا لا تُوصدُ
يعرفنَ أن الموتَ مِنْ غاياتِنا نرضى بلوعتِه، ولا نُستَعْبَدُ[2]

فالعروس الفلسطينية مَثَلُها كَمَثَل سائر النساء الصامدات والمضحّيات اللواتي قدَّمنَ أولادهن وأزواجهن وإخوانهن في سبيل الله وفي سبيل بزوغ فجر الحرّية وإثبات الذات الفلسطينية.

فأمنية شاعر القدس هي تربية الأولاد على حب الشهادة والثورة، والجهاد، وزرع بغض الصهاينة في قلوبهم وإبعادهم عن الخنوع والذّل بركاناً على الإرهاب الصهيوني وأعوانهم المتآمرين ضد القدس وفلسطين، فهذا هو دور المرأة الفعّال ليس إلا.

---

١. كمال عبد الرحيم رشيد، *القدس في العيون*: ص ٤٧.
٢. هارون هاشم رشيد، *وردة على جبين القدس*: ص ٢٧.

جدول أهم قصائد «القدس والمرأة العربية والمرأة المسلمة» حسب الترتيب الزماني

الشاعر	الجنسية	عنوان القصيدة	التاريخ	المصدر	الصفحة
عبد الله بوركي الحلاق	سوري	نشيد المناضلة	١٩٧٠	عصير الحرمان	٣٦
كمال رشيد	فلسطيني	الحبيبة	في الثمانينات	القدس في العيون	٤٧
كمال رشيد	فلسطيني	أختي	في الثمانينات	القدس في العيون	٥٣
هارون هاشم رشيد	فلسطيني	وردة على جبين القدس	١٩٨٨	وردة على جبين القدس	١٧

٢

الدواعي والاتجاهات الإسلامية

مدخل

لقد كان موقف الإسلام واضحاً من قضية الشعر والشعراء، إذ اتخذ منه وسيلة لخدمة مبادئه وقيمه الإسلامية، حيث كان لهذا الدين الجديد شعراء يدافعون عنه، أمثال حسان بن ثابت وغيره، وبقي للشعر هذا الدور المؤثر إلى ساعتنا هذه في وتيرة تشتد حيناً وتضعف أخرى.

أمّا في العصر الحديث فقد شهد المسلمون بشكل عام تبلوراً لصورة الإسلام الحقيقية التي تراكم عليها شيءٌ من الغبار والضباب، وذلك بجهود روّاد الاتجاه الإسلامي[١] الجبّارة، ومن ضمنهم شعراء هذا التيّار[٢] الواسع الذين

١. مرّت اليقظة الإسلامية في العصر الحديث بمراحل مختلفة وشائكة ابتداءً من السيد جمال الدين الأسد ابادى المعروف بالأفغاني، وعبد الرحمن الكواكبي في الشام وأحمد ياسين في فلسطين وثورة الإمام الخميني في إيران التي لعبت دوراً كبيراً في توعية المسلمين بل أتباع الديانات السماوية الأخرى ضد المؤامرات الاستعمارية المحاكة ضدهم، ولذا نرى في عصرنا الحاضر توجّه كل الاتجاهات: الإسلامية، والوطنية، نحو التقارب والوحدة للوقوف أمام الشر المتربص بهم، وهذا يبشر بالخير والنصر.

٢. أمثال: أبو سلمى، عبدالرحيم محمود، هارون هاشم رشيد، حسن البحيري، بدوي الجبل و..

دعوا الأمة أن تعود إلى إسلامها الذي مَنَّ الله تعالى به عليها، حيث انطلق الشاعر من تصور إسلامي وبدواعٍ ودوافع إسلامية إلى قضية فلسطين وقدسها، والمشكلات التي عصفت بالوطن الإسلامي والعربي. ويرى أصحاب هذا الاتجاه بأن قضية القدس وفلسطين هي قضية إسلامية في المقام الأول قبل أن تكون عربية، وأرض فلسطين حق لجميع المسلمين وليست لقوم أو قطر أو حزب خاص، وتحريرها لا يمكن إلاّ عن طريق الإسلام، إذ الإسلام هو القادر على إلحاق الهزيمة بالعدو وإعادة القدس السليبة للأمة لما فيه من قيم ترفض الاستكانة والهيمنة للعدو.

وحاول أصحاب هذا الاتجاه أن يلفتوا انتباه المسلمين جميعاً إلى ماضيهم المجيد والزّاهر وتراثهم الإسلامي الزاخر، يدعوهم إلى التمسك والاعتزاز بعقائدهم ودينهم القويم، فالشعورُ الإسلاميُّ هو أقوى البواعث والدوافع للتضحية من أجل التحرير، علاوة على هذا فإن الدين الإسلامي الحنيف هو دين الإخاء والديمقراطية والحرية، ويجسّد الوطنية[1] بكل صدق ويحترم الديانات[2] ولا يفرق بين نبي وآخر[3] مما يجعل الأمة، أمة إسلامية متماسكة مع بعضها البعض، وهذا هو الذي دعا شعراء هذا الاتجاه أن يبادروا لنظم شعرٍ تبلورت فيه أهداف شريفة سامية ومحاور مقصودة، أهمها: اليقظة الإسلامية، والثورة والجهاد، والصمود والمقاومة، والشهيد والشهادة، ويرون هذا هو

---

١. الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: حب الوطن من الإيمان.

٢. ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣].

٣. ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

المنهج السديد لإحراز النصر واسترجاع الأرض المحتلة وعلى رأسها القدس الشريف، ولذا سوف نسعى ونحاول بقدر ما نستطيع في هذا الفصل، التوقف عند كل محور منها وإلقاء الضوء على شعر القدس فيها ومدى مساهمته في دعم القضية من خلال تلك المحاور وكيف انتهى لها وانتصرت له وفجّرت قرائح أهله، وكيف جعل كل واحد منهما الآخر حيّاً وفعّالاً.

القدس واليقظة الإسلامية

لقد كان أهم أسباب التراخي والتراجع الذي عاشته الأمة الإسلامية، والذي كان أسدل بظلاله عليها عقوداً طويلة من الزمن، هو فصل الجيل عن تراثه المجيد والحيلولة دون معرفة حقيقة ذلك التراث ومافيه من قيم إنسانية وروحيّة، إسلامية عالية المضامين، وبات من الواضح أن هذه المؤامرة لم يكن للاستعمار الأجنبي وحده الذي نسج خيوطها بل شاركه في ذلك عالماً أو جاهلاً بعض أبناء الأمة، ولذا «تغيرت عقائد الإسلام الحرّة النقية في نفوس الكثرة من المسلمين كما يتغيّر الشراب الخالص في الإناء القذر!

انحلّت الأخلاق فلا تتماسك في قول ولا فعل، وتقطعت القلوب فلا تتواصل في دين ولا وطن»[1] وهيمنت أخطار هددت مستقبل الأمة بأسرها وكادت تمحو معالمها وقيمها وتراثها وتجعلها في متاحف التاريخ، وذلك بعد طمس قواعد الإسلام الفكريّة وأُسس بنيانه الاجتماعية والأخلاقية والسياسية والاقتصادية، التي ظهرت كالشمس في رابعة النهار لاسيما في القرن التاسع عشر للميلاد، ولكن لم يمض شطر من الليل وإذا «بيقظة الوعي الإسلامي التي بدت في تعاطف المسلمين على البُعد، تناصرهم في القرب وتحالفهم على الأحداث لأشعة من تباشير الصباح قبلها الليل المظلم وبعدها النهار

---

١. أحمد حسن الزيات، وحي *الرسالة*: ٤ / ٩٩.

المشرق»[١] فشهد عالمنا الإسلامي والعربي في العصر الحديث جملة من التحولات بعد ما استشعر خطورة مايدبُّ حوله فانطلق ليدافع عن كيانه، ووجوده، وذاته، داعياً للعودة إلى تراثه وروح إسلامه الأصلية، وفي ظل هذه اليقظة نشأ كثير من الشباب أو تأثروا بها فنظروا للإسلام نظرة لعلها تختلف عن النظرة السابقة، وهذا ماحدث عند حزب الله في لبنان وحماس والجهاد في فلسطين وبعض البلاد الإسلامية الأخرى، حيث رأت الإسلام سِلماً لمن أراد السلام ومقاومة لمن سولت له نفسه التطاول والعدوان.

هكذا نمت وترعرعت اليقظة الإسلامية وخرجت الأمة عن طوق غفلتها، وأخذت تستعيد حياتها، تنظر بعين اليقظة والالتفات لما يُحاك ضدها.

ملامح اليقظة الإسلامية في القدس

كانت المشاعر الإسلامية قبل ظهور المجلس الإسلامي الشرعي الأعلى برئاسة الحاج أمين الحسيني عام «١٩١٧» قوية جداً إلاّ أنها فردية غير منظمة ولم تكن ذات منهج واضح، ولكن مع ذلك تفجرت عنها ثورة موسم موسى النبي في القدس «أبريل ١٩٢٠» وثورة يافا «أيار ١٩٢١» وبعدها انتفاضة البراق «آب ١٩٢٩» ثم ظهرت هيئات شعبية منظمة أبرزها جمعية الشبان المسلمين التي كان لها دورٌ في الحفاظ على مبادئ الإسلام وبثّ الوعي الإسلامي، وهكذا ظهرت الحركات الإسلامية واحدة بعد الأخرى، أنشطها حركة عز الدين القسام عام (١٩٢٥ ـ ١٩٣٥) التي عُرفت بمنظمة الجهاد المقدس، وأخذت اليقظة الإسلامية تتسع نقطتها وتشارك في معارك تحرير القدس مثل معركة باب الخليل والقسطل، والحي القديم في القدس، والقطمون»[٢]، وفي

---

١. *المصدر*: ص ١٠١.

٢. عارف العارف، *النكبة*: ١ / ٣٢٦.

عام (١٩٥٧) نشأت حركة الفتح ولها جذورها الإسلامية، وبرز الوعي الإسلامي والوطني وتجلّى أكثر، بعد كارثة حزيران (١٩٦٧) حين تراجع التيار القومي شيئاً ما خصوصاً في فلسطين وعند ذاك أصبح الاتجاه الإسلامي من أقوى الاتجاهات على الساحة الفلسطينية. وفي عام (١٩٨٠) برزت الظاهرة الإسلامية بعد إنشاء حركة الجهاد الإسلامي برئاسة الشهيد فتحي الشقاقي «إذ جاءت لتعبّر عن الإسلام كمنطق، والجهاد كوسيلة، وفلسطين كهدف للتحرير»[١] واكتملت اليقظة الإسلامية عندما ظهرت بشكل رسمي حركة المقاومة الإسلامية «حماس» معتبرة الإسلام منهجاً منه تستمد أفكارها ومنه تسترشد خطاها[٢]، وهكذا انتشر الوعي الإسلامي حتى أصبحت الانتفاضة أحد الخيارات لحسم قضية القدس، ولم يغب شعر القدس في هذه المراحل «لأن الشعراء في كل أمة هم عنوان حياتها ومقياس رقيها، ومتى صرفوا مواهبهم في خدمة الأمة وتخليد مجدها، أصبحوا عنوان عزها ومطلع سعدها»[٣] ومن منطلق الإحساس بالمسؤولية حمل بعض شعراء شعر القدس في سورية ولبنان وفلسطين نداء اليقظة الإسلامية ليحققوا آمال شعوبهم وطموحها، ومن هنا جاء صوت الشاعر السوري بدوي الجبل في قصيدته (من وحي الهزيمة - أواخر الستينيات) وهو واحد من الأصوات المنكوبة هول ما رأى وعظيم ما جرى، عن زلزال النكسة الذي هزّ المشاعر ومزّق الخواطر، فبدأ القصيدة بتحليل الأسباب التي أدّت إلى هزيمة العرب والمسلمين ونكستهم المذلّة، حيث حمّل الشاعر المسؤولية بالدرجة الأولى لبعض القادة الذين تخاذلوا

---

١. مجلة *الوسط*، ٣٠ كانون الثاني، لندن، ١٩٩٥.

٢. المكتب الإعلامي، *سلسلة بيانات الحركة*: ص٦.

٣. علاء الدين وحيد، *شعراء اليقظة الإسلامية في بداية القرن العشرين*: ص٨٧، نقلاً عن علي الغاياتي، *وطنيتي*: ص ٢٠.

الذين تخاذلوا فأماتوا بذلك جيوشهم وشعورهم حين يقول:

جَبُنَ القادَةُ الكبارُ وفرُّوا وبكى للفرارِ جَيْشٌ جَسورُ[١]

وهو الأمر الذي عرّضهم لنقد الشعراء اللاذع، وبسبب مواقفهم البعيدة عن الحكمة والحنكة، يقول شاعرنا بدوي الجبل مخاطباً أبطال المعركة آنذاك:

هدَّكَ الذعرُ لا الحديدُ ولا النارُ وعِبءٌ على الوغى المذعورُ[٢]

وفي نظر الشاعر فإن هذا التخاذل هو الذي أدّى إلى ضياع قدسنا الإسلامي، وقد نال كرامة الإنسان المسلم ما نالها من خزي وعار. قصيدته هذه تشبه قصيدة نزار قباني «هوامش على دفتر النكسة» إلاّ أنّها أقل حدّة وذات طابع ديني وإسلامي أكثر، حين نرى أن الشاعر بدوي بعد ما بيّن بعض أسباب الهزيمة توجه للمسلمين لينعى لهم ضياع القدس، ولذا بدأ «بهل» التساؤلية ثم استعمل «أين» كذلك بهدف ايقاظ المسلمين لتدارك الأمر، مذكراً إيّاهم بماضيها العربي والإسلامي وتلاوة القرآن فيها إذ يقول:

هل دَرَت عدنُ أن مَسْجِدَها الأقـ ـصى مكانٌ من أهلِهِ مهجورُ

أينَ مسرى البُراقِ، والقدسُ والمهدُ وبيتٌ مقدّسٌ معمورُ؟

لم يُرتَّلْ قرآنُ أحمَدَ فيه ويُزارُ المبكى ويُتلى الزبورُ

طُويَ المصحفُ الكريمُ، وراحتْ تتشاكى آياتُهُ والسطورُ[٣]

بعد التساؤلات التي طرحها الشاعر أخبر المسلمين بما آل إليه قدسهم، استحضر تاريخ القدس وما كانت عليه، فعمد إلى بيان الواقع الذليل الذي حاق بالمقدسات الإسلامية، فقد ضيّع الفتح الإسلامي وما قُدّم في سبيله من تضحيات جسام، فالإسلام حريٌّ بعد تلك النكسة أن يناح عليه وأن يبكى،

١. بدوي الجبل، *الديوان*: ص١٩٣.
٢. *المصدر*: ص١٩٢.
٣. *المصدر*: ص١٩٥.

ولمَ لا تلبس مكة السواد حداداً على ما آلت إليه الأمور من ذلّة وانعدام كرامة، وفي كل هذا تقريع للأمة وللذين ورّطوها بهذه الورطة البغيضة.

يالــذُلّ الإســلامِ لا الجمعــةُ الزهـــ ـــراءُ نُعْمـــى، ولا الأذانُ جهيـــرُ
كـــلُّ دنيـــا للمـــسلمين مَناحـــاتٌ وويْـــــلٌ لأهْلِهـــــا وثُبـــــورُ
لبـــست مكّــــةُ الـــسوادَ، وأبكـــت مشهَدَالمرتــــضى ودُكَّ الطــــورُ[1]

وهكذا يستمر الشاعر في لومه وتقريعه ليعممه على كل مَنْ آمن بالله ربّاً فيرى الضياع شاملاً وعاماً والمصيبةَ طامة كبرى شملت المسلمين والمسيحيين على حدّ سواء، فهو يرى الصهيونية لا تفرّق بين مسلم وغيره لأنّهما سواء في هذا المصّاف، وفي هذا الأسرز والأسيرُ يتشاطر الأسير غصص الأسْر ويشدُّ كلٌّ منهما أزر الآخر، لقد راح الشاعر يستنهض القيم السماوية التي يؤمن بها كلّ منهما والتي ترفض لهما أن يغفلا عن نصرة القدس وتقديم العون لها، ومن هذه القيم الغيرة على الأوطان والمقدسات، قائلاً:

أيـن آي القـرآن تتلـى علـى الجمـع و أيـــــنَ التهليــــلُ والتكبيـــــرُ
أينَ آيُ الإنجيلِ؟ فـاحَ مـن الإنجيـل عطـــرٌ وضـــوَّأ الكــــونَ نـــورُ
أيـــنَ «رومـــا»؟ وجَـلَّ حَبْـرٌ برومـا مهـدُ عيـسى يـشكو ويـشكو البخـورُ
النـــصارى والمـــسلمون أســـارَى وحبيـــبٌ إلـــى الأســـيرِ الأســـيرُ
صَـلَبَ الـرُوحَ مـرّتينِ الطواغيـتُ! جـــراحٌ كمـــا يـــضوعُ العبيـــرُ
يالَــذُلّ الإســلامِ والقُــدسُ نهــبٌ هُتِكَـــتْ أرضُـــهُ فـــأينَ الغيـــورُ[2]

ثم يرى الشاعر بأن محنةَ القدس لا تعالج بالتأوّة والندب والعويل، بل لابد من معالجة الفكر وما تحويه صدور المسلمين وإصلاحها.

---

١. *المصدر*: ص١٩٥.
٢. *المصدر*: ص١٩٦.

لا تُشَقُّ الجيوبُ في محنةِ القدسِ ولكنَّها تُشَقُّ الصُدورُ[١]

ومن الحلول التي يقدمها بدوي الجبل بعد هزيمة عام (١٩٦٧م) لكي لا تتكرر المأساة، هو أن يكون للشعوب دور في القضايا المصيرية إذ هذا بحد ذاته يُقلل من طمع الطامعين في القدس وفلسطين، فيقول مخاطباً حكّام الدول الإسلامية آنذاك:

إرجعوا للشُعوب يا حاكميها لَنْ يُفيدَ التهويلُ والتغريرُ
صارحُوها.. فقد تبدّلَتِ الدنيا وجدَّتْ بعدالأمور أُمورُ[٢]

لقد حاول الشاعر من خلال قصيدته الطويلة هذه ـ ١٥٥ بيتاً ـ وباستخدامه أسلوب الإنشاء وكثرة استعمال صيغة الاستفهام «أين» ونبرة الحزن والتوجُّع أن يلفت الانتباه إلى أبعاد القضية المتعددة.

بُليت البشرية في تاريخها الممتد المتمادي بعدة نكبات، بالتتار والمغول تارة وبالصهيونية تارة أُخرى، حيث لم يرحم كلٌّ منها بشراً بل ولا شجراً، ولم يقف عند أي حدود، يسارعون في إبادة الحرث والنسل، متجاهلين المعالم الحضارية والدينية، كما فعل العدو الصهيوني عندما أحرق المسجد الأقصى عام (١٩٦٩)، لذلك نجد الشاعر الفلسطيني كمال عبد الرحيم رشيد يشير إلى فداحة ذلك الخطب في قصيدته (١٩٦٩) متعجباً من جرأة الصهاينة على الله وعلى عباده ومقدساتهم، محاولاً إيقاظ المسلمين والمتدينين، واستفزاز شعورهم الديني ضد المعتدين، الذين بادروا إلى تدمير وحرق المقدسات الإسلامية والمسيحية بل الإنسانية قائلاً:

جلَّ المصابُ وزادت الآلامُ وعدت على أرض الهدى الأقوامُ
يا ثالث الحرمين حرقُك نكبةٌ فيها يزيدُ الجرحُ والإيلامُ[٣]

---

١. *المصدر*: ص١٩٧.

٢. *المصدر*: ص٢٠٦.

٣. كمال عبد الرحيم رشيد، *ديوان شدو الغرباء*: ص ٣٢.

ثم يقول في القصيدة نفسها:

أسفي على الأقصى وقد عبثت به نارُ العدو وقد علاه قتامُ
أسفي على الإسلام تترف جرحُه والمسلمون عن الجهاد ينامُ
لم يغضبوا لله غضبة مؤمنٍ رأوا العدو بأرضهم وتعاموا
ما قيمة الدمع الهتونِ أصوغهُ شعراً وشعبي للهوان يسامُ؟
في كل أرضٍ من ديارِ محمدٍ ذلٌّ يرادُ وفرقةٌ وخِصامُ[1]

تعكس أبيات الشاعر هذه حالته النفسيّة، وألمه الشديد للوضع القائم في القدس والنيران الملتهبة فيه وفي قلبه، فالشاعر أعطى صورة واضحة، لا مغالاة فيها لوضع المسلمين والتقاعس الذي حل بهم، فالقصيدة مع بساطتها وسهولة مفرداتها عميقة وذات معنى كبير لما فيها من تصوير لأثر نكبة حريق المسجد الأقصى، وما تحمل من نداء لإيقاظ الوجدان الإسلامي وتجنب البكاء والعويل لأنه لا يُجدي.

ولمّا أعلن المؤتمر الإسلامي في قمته بأن هذا العام هو عام القدس، نظم هارون هاشم رشيد قصيدته الساخرة (هذا العام) وهو يتهكّم ويهزأ بالمؤتمرين، إذ يرى الشاعر أن استمرار احتلال القدس هو نتيجة لتقاعس الأمة الإسلامية عن القيام بواجبها ووظيفتها الإسلامية والإنسانية والاكتفاء بالمؤتمرات التي لا تتعدّى الإدانة والبيانات الجوفاء أحياناً، وسرعان ما تنسى القدس، ولعلّ هذه الحالة المزرية للمسلمين وبعض قادتهم هي التي جرّأت الصهاينة على الاستمرار بالتمادي في الأذيّة والعدوان، يقول هارون هاشم رشيد:

وقيل عام القدس
هذا العام..
اتخذ القرار في اجتماعه

---

١. *المصدر*: ص ٣٤.

مؤتمر الإسلام
وصفّق الحُجّاب والخُدّام
وعاد كل واحد،
لقصرهِ ونام
وتركت مدينة القدس
تغوص في الظلام
تغرق في القتام
تدوسها سنابك
الغزاة بالأقدام
وتستبى تاريخها
وتزرع الألغام
وتنشر الدمار في أنحائها
والموت والحطام
وقيل عام القدس
هذا العام[1]

ثم يلتفت هارون إلى الجانب الصهيوني الذي يغتنم الفرص للفتك بالشعب الفلسطيني والّذي يكشف عن نواياه المبيتة للعرب والمسلمين حين عمد إلى إعلان القدس عاصمته الأبدّية في نفس العام إمعاناً في غطرسته التي لا رادع لها من عربٍ ولا من مسلمين يقول:

والجانب الآخر،
من عدتنا الظلام
ماذا ترى حقق

---

١. هارون هاشم رشيد، *مفكرة عاشق*: ص ١٨ و١٩.

هذا العام
قد هدّم البيوت
شرّد النساء
طارد الأيتام
مدّ على سماء القدس
أحقر الأعلام
وقال:
هذه عاصمتي
على مدى الأيام[١].

ثم يعيد النظر للأمة الإسلامية ويوجه لها اللوم والعتاب قائلاً:

والأمة التي تجيد
في صلاتها، السجود والقيام
الأمة التي فضلها
الله على الأنام
ودان دينها الحنيف
الفصل والختام
مغرقة في صمتها
مشدودة اللجام
تكلّست قلوبها،
تحجّرت، أصابها الفصام[٢]

فيرى الشاعر أن التمسك بروح الإسلام هو الدواء لعلاج الألم.

---

١. *المصدر*: ص ١٩ و ٢٠.
٢. *المصدر*: ص ٢٢.

جدول أهم قصائد محور القدس واليقظة الإسلامية حسب الترتيب الزماني

الشاعر	الجنسية	عنوان القصيدة	التاريخ	المصدر	الصفحة
سليمان العيسى	سوري	نحن والعيد	١٩٥١	الأعمال الشعرية، ج١	١١٥ـ ١١١
نجيب جمال الدين	لبناني	معراج	١٩٦٨	الكتاب على أعمدة الشمس	١٧١ـ ١٨٣
حسن البحيري	فلسطيني	ريحانة العاصي	١٩٧٩	لفلسطين أغني	١٤ـ ١٦
هارون هاشم الرشيد	فلسطيني	سفينة العودة	١٩٨٨	ثورة الحجارة	٦٠-٦٧
بدوي الجبل	سوري	من وحي الهزيمة	في السبعينيات	الديوان	١٩٢ـ ٢٠٧
كمال رشيد	فلسطيني	يا رسول الله ﷺ	في الثمانينيات	القدس في العيون	٥٩ـ ٦٠
كمال رشيد	فلسطيني	من وحي النكبة	في الثمانينيات	القدس في العيون	٦٥ـ ٦٦
كمال رشيد	فلسطيني	أحوال وآمال	في الثمانينيات	القدس في العيون	٦٩ـ ٧٠
هارون هاشم رشيد	فلسطيني	الصوت والصدى	في السبعينيات	مفكرة عاشق	٨ـ ١٣
هارون هاشم رشيد	فلسطيني	هذا العام	في السبعينيات	مفكرة عاشق	١٨ـ ٢٢

القدس والوحدة الإسلامية

ربّما تختلف أساليب التآمر باختلاف الزمان والمكان، لكن يبقى الهدف واحداً وهو الهيمنة على الأمة وممتلكاتها، ففي الستينيات والسبعينيات كانت إرادة الاستعمار هي القضاء على القوميات، التي وقفت ضد التحديات، لكن مرّت الأيام والسنون وتطوّر التآمر ليصبح الهدف القضاء على الإسلام، وذلك من أجل استمرار الاحتلال وجعل إسرائيل تقوى وتنمو وتكون لها الهيمنة المطلقة، وهذا لا يمكن إلاّ عبر سياسة بث التفرقة والاختلاف بين الشعوب والدول ومختلف الطوائف الدينية والعرقية، وكان الأثر لهذه المحاولة ـ فرق تسد ـ مالا يخفى، إذ من بديهيات الإسلام أن يكون المسلمون أمة واحدة فإنه لا كرامة ولا عزة للأمة الإسلامية إلاّ بالوحدة، ولا قوّة للإسلام إلا بوجودها،

ولا يمكن أن تعود الأمة إلى ماضيها المجيد إلاّ إذا أخذت بالأسباب التي ترعرع عليها ذلك الماضي، وأبرزها وحدة الصف والكلمة وإذا كنّا قد غفلنا في الماضي فعلينا بالوحدة في الحاضر، ولكن على خلاف المتوقع غفل جلّ شعراء القدس لا سيما شعراء الشام عن نداء الإسلام في هذا المجال، فلم نعثر على شعر يركز أو يشير لموضوع الوحدة الإسلامية ودورها المحوري في تحرير القدس، مع ما لها من آفاق واسعة وآثار واضحة، ومازالت لم تفسّر أحلام الوحدة الإسلامية حتى على صعيد الكلام، وكل ما هناك جسّد شعراء القدس الوحدة العربية في مسيرة التحرير، وهذا ما ندرسه في الفصل الثالث من هذا الباب، لكن ممّا يجدر التنويه إليه أن بعض الشعراء أشار إلى الوحدة الدينية، وذلك لأن الخطر الصهيوني يهدد الديانات السماوية برمّتها، وبإمكان الثورة الوحدوية أن تفيق أمام هذا الخطر لأنه من خلال الوحدة يستطيع المظلوم مواصلة الثورة ضد العدو وتحقيق النصر عليه، ونلاحظ أيضاً أن اتحاد الشعوب أصبح سلاحاً بيد الإنسان التحرري، كما تبلور هذا الوعي الوحدوي لدى الشاعر عبد الله يوركي الحلاق في قصيدته، لأن المسلمين والمسيحيين وغيرهم تجمعهم الأديان السماوية والتراث الروحي المشترك:

في القدسِ شعبٌ أعزَل لكنّما ... امتازَت بسالتُه الجهاتِ الأربعا
إنّ الحجارةَ بين أيديه غدت ... مثل السّهامِ، وكم تحدّى مدفعا
إيمانُهُ بالنصرِ مقترنٌ فلم ... يخشَ الرصاصَ، ولا المهاجمُ رُوِّعا
مَن قالَ إنّ القدسَ أغلق بابها ... إنا سنفتحهُ وندخلُهُ معا
القدسُ يُرجعُها اتحادُ شعوبنا ... فلتتحد منّا القلوبُ لترجعا
وهناك في مهدِ المسيح سنلتقي ... وأمام هيكلهِ نصلّي خُشّعا[1]

---

١. عبد الله يوركي الحلاق، *ديوانه الأسديات*: ص ١٥٢ و١٥٣.

نأمُلُ أن تبرز قضية الوحدة الإسلامية في شعر القدس من التزام الشعراء بقضايا أمتهم الإسلامية، فالشاعر الملتزم أكثر الناس قدرة على توحيد الصف العربي والإسلامي، وهذه دعوة لتحرير الأرض والإنسان من الصهيونية العالمية.

جدول أهم قصائد محور الوحدة العربية والإسلامية حسب الترتيب الزماني

الشاعر	الجنسية	عنوان القصيدة	التاريخ	المصدر	الصفحة
سليمان العيسى	سوري	في عيد الوحدة	١٩٥٨	الأعمال الشعرية، ج١	٤٣٢ـ٤٣٦
هند هارون	سورية	من وحي الوحدة	١٩٥٩	مسار المعبد	٧٩ ـ ٨٣
عبد الله يوركي	سوري	في هيكل الذكرى	١٩٦٩	عصير الحرمان	٢٠٩ـ ٢١٤
عبد اللطيف محرز	سوري	التاريخ	٢٠٠٠	حقائق وأوهام	١٣٢ـ ١٣٩

القدس ـ الثورة والجهاد

اشتعلت الثورات وتعددت المواقف الثورية والجهادية منذ رفع وعد بلفور النقاب عن وجه الصهيونية ونواياها الدنيئة تجاه فلسطين وقدسها الشريف، حيث وعد اليهود بإقامة وطن قومي لهم، وذلك على جماجم الشعب الفلسطيني وأرضه، ومن منطلق الدفاع عن الوطن والذات[1]، صمم الإنسان الفلسطيني وبكل ما يمتلك[2] ـ مادّياً ومعنويّاًـ أن يقف بوجه المخططات الرامية لإبادته وغصب أرضه، ابتداءً من ثورته موسم النبي موسى عليه السلام في القدس (٤ـ١٠ نيسان ١٩٢٠م)[3] ومروراً بثورة يافا (١ ـ ١٥ من أيار ١٩٢١م)[4] وثورة البراق (١٥ ـ ٣٠ من آب ١٩٢٩)[5] وثورة عز الدين القسام

١. ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩].

٢. ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

٣. حدثت أثناء احتفالات المسلمين بهذا الموسم الديني عندما لوّث أحد الصهاينة علماً إسلامياً فتحوّل الاحتفال إلى ثورة عارمة ضد الاحتلال البريطاني والغزو الصهيوني.

٤. حدثت عندما قام الصهاينة بالاستفزاز ضد العرب والمسلمين.

٥. اندلعت دفاعاً عن الحائط الغربي للمسجد الأقصى الذي حاول الصهاينة امتلاكه بعدما أطلقوا عليه اسم حائط المبكى.

التي أعلن فيها الجهاد ضد المحتلين في (تشرين الثاني ١٩٣٥)[١] وهكذا استمرت الثورات إلى انتفاضة عام ١٩٨٧م.[٢]

ومن الواضح أن الشعر لم يقف موقف المتفرّج مكتوف الأيدي تجاه الأحداث فكان اللّسان المعبّر عنها وعدسة التصوير الرّاصدة لها حيث رافق الثورة ومدّها بالقوة والحيويّة، وشدّ على أيدي المجاهدين والثوار، رافضاً الاحتلال والاستيطان الأجنبي لأرضه العربية والإسلامية، مؤكداً على منهج الكفاح والنضال، حينما «تعانقت شخصية المقاتل والشاعر بسبب اعتماد نفسية كل منهما على شدّة الحساسية، وسرعة الانتقال، وصدق الإقدام، وعمق التنبؤ بالظروف المستقبلية، ولهذا حاز الشاعر منذ القديم على منزلة عالية بين قومه، فكان كالنبي أو كالفارس لما يقدمه لقومه من خدمات اجتماعية جمالية، أوقات الحرب والسلم. وفي عصرنا الحديث نظر المجتمع إلى الأدباء نظرته إلى الثوار المناضلين فرأى أنّ الكلمة الواعية هي جزء من العملية الثورية»[٣] التي تُرجمت في أرض الواقع عندما برزت أسماء في شعر القدس لم تكتف في رصد الحدث فقط، بل رفضت العدوان الصهيوني بالكلمة وحمل السلاح معاً متحدّية السجون، والاعتقالات، والموت مصرّةً على الثورة والجهاد، أمثال عبد الكريم الكرمي، حسن البحيري، محمود درويش، محمود مفلح، هارون هاشم رشيد، برهان الدين العبوشي، وعبد الرحيم محمود الذي لمس بُعد الحقد الصهيوني داعياً لنبذ التخاذل، والضعف، وتحمّل المشاق في سبيل رفع الظلم والمحنة وعدم الاكتفاء بإلقاء الخطب التي تتهدد وتتوعّد من دون حركة على الأرض تصدّق الكلمة الراعدة. فهو صورة لضمير شعبه بكل

---

١. من أسبابها ازدياد الهجرة والاستيطان اليهودي وتهريب السلاح لهم.

٢. اندلعت حينما استشهد أربعة فلسطينيين عند حاجز «إيرز» بشاحنة صهيونية.

٣. عبد الرضا الطعان، *مفهوم الثورة*: ص ٦٨.

صنوفه، الذي آمن بالثورة والجهاد والحرية قائلاً:

ودماؤنا الحمراء للحرية العليا روافدْ
إنّ اسمنا العمال لا نلهو بلغو عندنا مقاصدْ
نقضي على حد الأسنة لا النمارق والوسائدْ
ونقابل الظلم الفري بهمّة تفري الجلامد
ونذيب في نار الجهاد وحرها عنا الصفائدْ
لسنا كمن يهذي على الأعواد بالخطب الرواعدْ[١]

قد هيّأ المستعمرالبريطاني مقدمات تشكيل الدولة اليهودية بإعلانه الانسحاب من فلسطين بذريعة عدم القدرة على إدارتها، لينقل الملفّ إلى عصبة الأمم المتحدة في ليكسكسس، لتقر قرار التقسيم في «٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧م» الذي نص على تأسيس كيان صهيوني في فلسطين، ولتكون القدس حسب هذا القرار منطقة دولية[٢]، وهو يدل دلالة واضحة جداً على النية الاستعمارية المبيّتة، كان هذا الإعلان باعث وعي لدى الشاعر الثوري إذ أدرك حسن البحيري حجم المؤامرة على أمته العربية والإسلامية، ولذا أخذ بالوعيد بثورة ليس لها مثيل قائلاً في قصيدته «مولد ثورة»:

يا «صَخرةَ الأقصى» ومعراجَ الهدى   أغْرَتْ بأهلِكِ الخطوبُ سفيهها
قُولي «لِصهْيَوْنيَّةٍ» مأفونَةٍ   سَحَبَتْ عل ذيلِ التَّغَطْرُس تيهَها:
اليوم قد وُلِدَتْ بأرضي ثورةٌ   ماأبصرَتْ عَينُ الزَّمان شبيهَهَا[٣]

قرار التقسيم يلزم اليهود باحترام الأديان السماوية وحفظ الأماكن المقدسة ورعاية حرمتها، إلا أنّ الصهاينة ـ كما هو ديدنهم ـ يرون أنهم فوق

---

١. عبد الرحيم محمود، *الديوان*: ص١٨.
٢. *الموسوعة الفلسطينية*: ٥ / ٢٧.
٣. حسن البحيري، *لفلسطين أغني*: ص٦٢.

كل المعاهدات والقوانين الإلهية والدولية، ولذا نراهم يبادرون لانتهاك المقدسات الإسلامية والمسيحية، فإحراق المسجد الأقصى في (٢١ من آب عام ١٩٦٩) يُظهر الحقد الصهيوني في نفوسهم، فهذه الصهيونية وهذه أفعالها الإجرامية، تشيع الموت والخراب، ولا ترحم الحجر ولا الشجر ولا البشر، ومن هنا يأتي صوت شاعرنا اللبناني نجيب جمال الدين، وهو أحد الأصوات المتعجبة لجرأة الصهيونية ولما حلّ بأقصانا، فلم يجد ما يطفئ نار قلبه المتأججة إلاّ بأن يستحضر تاريخ المسلمين ويوجه الخطاب لبطل القدس صلاح الدين في قصيدته (منبرك أحترق ـ ١٩٦٩م) قائلاً:

انْهَضْ صلاحَ الدينِ
انْهَضْ يا أبا الثّارات
منبرك أحترقْ
وادعُ الرجالَ إلى الفلاحِ
إلى السلاحِ
فما سِواه المنطلقْ
ودعِ السيوفَ تقول،
للدرَقَ: الحديد
خِسئتَ يا دَرَقَ الوَرَقْ
وعلى جوانبِ قُدسِنا
وتلاها
عِزَريلُ يُدركُهُ القلق..
يَخْتارُ
مِن أيِّ المنابع يستقي
فيكادُ يعروهُ الزَّهَقْ

وإذا متاريسُ الرِّجالِ تناثرت
جعلوا المتاريسَ
المُؤَقْ
ماتوا..
أليس سواكَ في الأيّام سيفٌ
ردَّ للناس العَتَقْ؟[1]

الألم والحزن يعصران قلب الشاعر ونيران المصيبة تحرق مشاعره، حين يرى تقاعس الأمة الإسلامية بشكل مخزٍ، فالأمة ضلّت الطريق حينما عجزت عن إنقاذ قدسها، اليوم أقصاها تعلوه ألسنة النيران، والأمة تتفرّج من دون حراكٍ، وهذا حال من استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، فقادة المسلمين استبدلوا الجهاد بالأوراق والبيانات، وكأنّ الشاعر يشير إلى كلام الإمام علي عليه السلام: «فَمَنْ تركَهُ ـ الجهاد ـ رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ الله ثَوبَ الذلّ، وشَمَلَهُ الْبَلاءُ..»[2] فالشاعر يرى أنّ الأسباب التي أدت إلى هتك المقدسات وتدنيس بيوت الله تكمن في ابتعاد الأمة الإسلامية عن قيمها، ومبادئها، والتخاذل عن الدفاع والذّب عن الوطن، والذود عن الحياض.

ألفاظ القصيدة تكشف عن رؤى الشاعر الداخلية ومشاعره الجيّاشة المتأججّة، فهو تارة يستخدم ألفاظاً قوية وصلبة عنيفة ـ درق ـ حديد ـ سيوف ـ حريق بأنه لا يرى خلاصاً لأمته إلاّ عن طريق الثورة والقوة، والحق، إذ ما أُخذ بالقوة لا يستردّ إلاّ بها، فوجه النقد اللاذع والسخرية من تقاعس أمته وذلك حين يستخدم ألفاظاً أمثال ـ ماتوا ـ أليس سواك.. تارةً أُخرى.

ثم وجّه الشاعر خطابه لصلاح الدين وأفعمه بالدليل للإقناع والتأثير، ولاذ

---

١. نجيب جمال الدين، *الكتابة على أعمدة الشمس*: ص ٢٣٥.
٢. الإمام علي عليه السلام، *شرح نهج البلاغة*: ٢ / ٧٤، خطبة ٢٧.

بالقبور من باب «إيّاك أعْني واسمعي يا جارة»، ولذا نراه عمد إلى الاستفهام الإنكاري - أليس سواك - حتى يستفز الأحياء ويوقظ الأمة. وقريب من هذا المضمون قصيدة الشاعر حسن البحيري (منائر الهدى - ١٩٧٦م) إذ يقول:

أيُّ رَكبٍ في مَنْهَجِ الحَقِّ سائرْ
مَشرقِ المَجدِ.. مسْتنيرِ المآثِرْ
من ذُرَى «مَوْتَةَ» الطهُور إلى «القُد
س» تجلَّى به وضَاءُ المَفَاخر
نَثَرَتْ عِزّةً وزَهْوَ جلال
سِدْرَةُ المُنتهَى عَلَيْهِ الأزاهِرْ
وحداهُ الروُّحُ الأمينُ بآيا
تِ جهادٍ مُنزَّهات الشّعائر[١]

فقد قام الشاعر في (٢٠ شباط ١٩٧٦) بزيارة الأضرحة لأمراء[٢] سرية مؤتة الذين أمرهم رسول الإسلام بصيانة الإسلام وإعزازه فأخذ الشاعر يستعيد الماضيَ المجيد ويستعرض مفاخر أمته ذات التاريخ العريق والتراث المجيد ويقارنها مع الحاضر البائس المتعثّر، نكبة، ونكسة، وقتل، وتشريد، وإبادة، فيستسلم لليأس إذ يرى أُفق الأمة الإسلامية لا يبشّر بالخير، ولكنّه سرعان ما يتذكر الآية الشريفة ﴿... إِنَّهُ لَا ييأَسُ مِنْ رَوْحِ اللّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[٣] فيتفاءل بالنّصر بعد دفع الثمن قائلاً:

ياثَرَى «القُدس» لن يَقرَّ بكَ البَا

---

١. حسن البحيري، *لفلسطين أغني*: ص٤٧ و٤٨.
٢. أمراء السرية هم: زيد بن حارثة، جعفر بن أبي طالب، عبد الله بن رواحة، وهم مدفونون في مدينة الكرك، قرية مؤتة.
٣. يوسف: ٨٧.

غنِّي ولن تَقْشَعِرَّ منكَ الدَّوائر
قد بَذَلْنا لكَ النّفوسَ رخاصاً
وفدَيناكَ ثائراً بَعدَ ثائر
وسَنَمْضي إليكَ والليلُ داجٍ
وسَنَمْضي إليكَ والصُّبحُ سافِر[1]

نص القصيدة يترجم لنا عن نفس الشاعر الجيّاشة تجاه القدس وشعوره الإسلامي والوطني النبيل، فعمد الشاعر إلى استعمال بعض المفردات اللفظية ـ قد بذلنا ـ وسنمضي ـ ليدلّ على مواصلة نهج الثورة مع مافيه من صعوبات، إذ يرى النصر حليفه بعد بذل النفوس والتضحية، وتحدّي المخاطر، ودرء خيوط المؤامرات، وخوض المغامرة في سبيل تحرير القدس. أيضاً عمد الشاعر لأداة النداء في خطابه «ياثرى القدس» لإشعارنا بمأساة نفسه وحنينه العميق إلى وطنه وما تعانيه القدس المكبلة، إذ كان «الشعر الثوري هو الشعر الذي يتخذ من الكلمة الصادقة الموحية قوة ثورية تساند السلاح في مواجهة أعداء الأمة وأعداء الشعب داخل البلاد وخارجها، وفي أوقات الحرب وأوقات السلم، وهو الشعر الذي يبني الإنسان الواعي لوجوده الإنساني في خضم الحياة»[2] حينما يعيش نكباته، ونكساته، وفظائعه وانهياراته، في خير أمة أخرجت للناس[3]، من هنا يأتي صوت هارون هاشم رشيد يندب الأمة العربية والإسلامية لعلاج قضيتهم المصيرية عن طريق الثورة والجهاد في قصيدته (الأقصى ـ ١٩٨٠) قائلاً:

المسجد الأقصى أبيح يقولها ... شعب يقاتل، لا يمل ويهجم
هو ثالث الحرمين في باحاته ... حشد البغاةُ جموعهم، وتقدموا

١. حسن البحيري، *لفلسطين أغني*: ص٥٣.
٢. عكو بكري، *الثورة وقضاياها في الشعر العربي المعاصر في سورية*: ص٢١.
٣. ﴿كُنْتُمْ خَيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَتْ لِلنَّاسِ ...﴾ [آل عمران: ١١٠].

داســوا طهارتــه، وشــجّوا كبــرهُ وتجــرءوا، وتجبــروا، وتحكمــوا
غلــوا الأذان بــه، وشــدوا قيــده وغلــوا علــى محرابــه وتــسنموا
وهــو الأســير يظــلُّ رجــع ندائــه يــدعو ألا غــوث يجــيء، ويقــدم
هــل تــسمعون تقــول فيــه حجــاره هــل تــسمعون، تقولهــا.. تــستفهم
هــل تــسمعون، وهــل رأيــتم أهلنــا فــي القــدس عُــزلا بالحجــارة أقــدموا[١]

صورة صاغها الشاعر لقدسنا وأقصاها في ألم صادق وتوجّع واضح لما تعانيه من وطأة الاحتلال الغاشم، رسمت صورة ثورة الحجارة وهي السّلاح البسيط المتوفر لدى شعب فلسطين وأطفاله وما يحملون من شجاعة على صغر أعمارهم، حاول الشاعر في قصيدته هذه، تقريع واستنهاض المسلمين لكي يلبّوا صرخة القدس المستغيثة، وهم يواجهون عدوهم الشرس بالصدور والنحور والأيدي الخالية إلاّ من حجارة اتخذوها سلاحاً يواجهون به العدو المدجّج بالسلاح الفتاك.

نلاحظ أنّ الشاعر عمد إلى تكرار «هل» الاستفهامية لعلّه إشعاراً منه بيأسه شيئاً ما، ولكن يبدو أن خيوط الأمل عنده مازالت متصلة، إذ يعود ليرفع صوته عالياً مرّةً ثانية ليستنجد بأمته العربية والإسلامية لأخذ الثأر والانتقام من العدو، فأهل القدس قد أعدّوا واستعدوا وقدموا ويقدمون التضحيات فداءً للأقصى، والتكاتف الاستعماري أكبر من إمكاناتهم المتواضعة لذا فهم بحاجة إلى تكاتف إخوانهم العرب والمسلمين للوقوف في وجه الأعداء. ثم يصوّر حالة الشعب في مواجهة هذا العدو الغاشم، ويصوّر صموده وتصدّيه وجهاده الذي لا يعرف التراخي قائلاً:

ياأهلنــا فــي كــل أرض إنّــه الأقــصى ألا هبّــوا إليــه أقــدموا
أهلــوكمُ حملــوا الأمانــة أشــرعوا رأي الجهــاد مثــابرين ويمّمــوا

---

١. هارون هاشم رشيد، *مفكرة عاشق*: ص٨٥ و٨٦.

أهلوكمُ في القدس وقع خطاهم لا خائف فيهم ولا متبرّم
النار في أثوابهم، وعيونهم بالمسجد الأقصى تهيم وتحلم
الموت مفروش على طرقاتهم والراجمات القاصفات تدمدم
مرفوعة راياتهم لا تنطوي أبداً وليست تستذل وتهزم
أحبابنا في سجنهم، وإسارهم ضربوا لنا المثل العظيم وقدموا
فعسى لعل هديرهم ونذيرهم يصحو عليه السادرون النوّم
وعسى أذان الصارخين يجيؤنا ليثير فينا، مايهزّ، ويضرم
وعسى إلى الأقصى تهبّ جموعنا وعسى لعل.. وربما نتعلم[1]

نضال الشعب الفلسطيني المتواصل يتبدل إلى ثورة وانتفاضة عارمة ابتداءً من حاجز «أيزر» في عام (١٩٨٧) وتظهر أكثر عزماً حينما قام أرييل شارون بزيارة استفزازية للمسجد الأقصى في (٢٠٠٠/٩/٢٨م) حيث ارتفع نداء القدس عالياً، وهو الذي تغنّى له الشاعر مطالباً بالثورة والجهاد.

قطعاً الشاعر يدرك مأساة الحرب وما تحمل من كوابيس، وويلات، وقتل، وتدمير، علاوة على هذا فإنّ طبيعة الإنسان السليم الذات مهما كانت ديانته وانتماؤه، لا يحب الحرب ولا يرغب بها، ولعلّ دعوة الشاعر أن ينضم المسلمون إلى نداء الجهاد ضد الصهاينة، يعود إلى معرفته لماهية العدو وفلسفة وجوده ـ أن يكون خنجراً في جسد الأمة وقاعدة انطلاق استعمارية ـ ولا يخفى أن الشاعر هارون هاشم رشيد في مقطوعته هذه، عندما كرر «عسى» أربع مرات وأردفها بالأدوات «لعلّ» و«ربّما»، يشعر بآماله الكبيرة بأمّته العربية والإسلامية علّها تسمع صوته، وتساعده بأنواع السبل المتاحة لديها، إذ يصعب عليه أن يسمع صوت «اذهب أنت وربك فقاتلا.. إنّا هاهنا قاعدون»

١. هارون هاشم رشيد، *مفكرة عاشق*: ص ٩٠ و٩١.

وربّما كرر الشاعر (عسى) بناءً على جمودها ليدل على الجمود المخزي لعالمنا الإسلامي، وعالمنا الإنساني في الوقت الحاضر.

جدول أهم قصائد محور القدس ـ الثورة والجهاد حسب الترتيب الزماني

الشاعر	الجنسية	عنوان القصيدة	التاريخ	المصدر	الصفحة
حسن البحيري	فلسطيني	مولد الثورة	١٩٤٨	لفلسطين أغني	١٨
عبد الرحيم محمود	فلسطيني			الديوان	١٨
ناجي علوش	فلسطيني	ياطريق الجراح	١٩٥٧	المجموعة الشعرية	
نجيب جمال الدين	لبناني	إحترق	١٩٦٩	الكتابة على أعمدة الشمس	٢٢٩ـ٢٣٦
حسن البحيري	فلسطيني	منائر الهدى	١٩٧٦	لفلسطين أغني	٤٧ ـ ٥٧
هارون هاشم رشيد	فلسطيني	الأقصى	١٩٨٠	مفكرة عاشق	٨٥ ـ ٨٦

القدس ـ الصمود والمقاومة

منذ عَقْد المؤتمر الصهيوني الأول بزعامة هرتزل عام (١٨٩٧م) توجّس العرب والمسلمون عامة، والأدباء والشعراء خاصة خيفة ممّا خلْف الستار، ولعلّ الشاعر النشاشيبي كان أوّل من نظم قصيدة تناولت التهديد الصهيوني لفلسطين تحت عنوان «فلسطين والاستعمار الجديد»[١] في «تشرين الأول ١٩١٠» يقول:

إنّ الاستعمار قد جاز المدى   دون أن يعدوه عن سير عداء
إنّ هذا الداء قد أمسى عياءً   فتلافوه سريعاً بالدواء
إنها أوطانكم فاستيقظوا   لاتبيعوها لقوم دخلاء[٢]

---

١. *الموسوعة الفلسطينية*: ٥ / ٨ و٩.

٢. *المصدر*: ص٩.

ولذا أخذت المقاومة تظهر ملامحها في الوطن العربي والإسلامي في فلسطين، وبدأت تشتدُّ بعد وعد بلفور عام (١٩١٧م) فتنوَّعت صورها فيما بعدُ، فكل إنسان في مجاله يحاول أن يقدم أقصى ما عنده، وما يستطيع أن يقوم به من أجل خدمة قضية بلده وبالتالي تعددت صور المقاومة، فالفنّان قد وقف ريشته خدمةً لقضيته والشاعر قصائِدهُ والأديب قِصَصَه وهكذا ... وكل هذه الصور من المقاومة لا تقل أهميتها أبداً عن رصاصة المقاوم في ساحة المعركة لأنَّ المعركة لا تكون دائماً في ساحة القتال، وبالتأكيد يمكن القول بأن استعمال الشعر وسيلة إعلام وتثقيف ونقد ذاتي، ويرجع الفضل في إطلاق هذه التسمية ـ شعر المقاومة ـ إلى ما جاء من هذا الموضوع في شعر سميح القاسم كقوله في قصيدة (خطاب من سوق البطالة):

ربما أخمد.. عريانا.. جائع..
يا عدو الشمس.. لكن.. لن أساوم
وإلى آخر نبضٍ في عروقي..
سأقاوم..!![1]

فبرز شعر المقاومة فجر الثورة ضد الاحتلال ثم ظهرت حركة شعرية أصلية تعبّر عن النكبة ومرارتها في سبيل استرداد الحق المغتصب، لذا ألَفت حركة شعر المقاومة برهة تاريخية في حركة الشعر الحديث، وقد جاءت على أثر ـ النكبة ـ ونكسة الخامس من حزيران (١٩٦٧) فقد نهضت المقاومة إثر الهزيمة لتلقّي الصدمة العنيفة التي أحدثها الغزو في النفوس، وهكذا أصبحت طريق تمهيد لظهور صوت جديد جسّده شعراء المقاومة، حاملين نغمة حزن شفافة تعبّر عن الروح الثورية المقاومة[2] والصمود الشامخ ناظرة

---

١. سميح القاسم، *الأعمال الكاملة*: ١ / ٩١.
٢. *الموسوعة الفلسطينية*: ٤ / ٢٧٠.

إلى الآفاق المستقبلية لأمة الإسلام نظرة آمالٍ وترقّبٍ لنصر الله تعالى بعد صمود وصبر وتضحية ومقاومة، كما يصوّر هذا المشهد الشاعر محمود مفلح في قصيدته (نشيد للقدس) قائلاً:

ويعود للأقصى «بلال» يملأ الآفاق سحرا
والمؤمنون الصادقون.. يرتلون.. الفتح.. شكراً
صبراً على ليل الطغاة
فإن بعد العسر يسرا
فجنود ربك يا أخي.. حق
لمن أولاه نصرا..[١]

تبقى قضية القدس هي الشغل الشاغل لدى الشعراء كما هي عند الشاعر محمود مفلح إذ يشعر بألمها ويسمع أنينها، ويرى في الوقت نفسه، الواقع الإسلامي المرير والذي يسدُّ نوافذ الخلاص، ولذلك نراه لا يجدُ ملجأ إلاّ الصبر وحمل النفس على الأمل والتفاؤل والثقة بجنود الله الصابرين، فلهذا نلاحظ أن الشاعر هنا حَرَصَ على توظيف أكبر مصدر في تراثنا العربي والإسلامي ودستورنا السامي، أي: القرآن الكريم، في مثل هذه الأبيات لما فيها من معانٍ تلائم الموضوع الذي يعالجه الشاعر فقوله: «المؤمنون الصادقون» إشارة لقوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ...﴾[٢] قوله: إن بعد العسر يسراً، إشارة لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[٣]، وقوله لمن أولاه نصرا... لعله إشارة لقوله تعالى:

---

١. محمود مفلح، *المرايا*: ص ٦٠.
٢. الأحزاب: ٢٣.
٣. الانشراح: ٥ و٦.

تعالى: ﴿يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[1] فقد جاءت لتحث الأمة الإسلامية على المقاومة والصمود متوكلين على الله تعالى، وهذه صورة أمل وتفاؤل عند الشاعر.

من أبرز الأحداث الفلسطينية التي قام بها الصهاينة هي مجزرة مخيّمي صبرا وشاتيلا في جنوب لبنان (١٦ أيلول ١٩٨٢م) والتي راح ضحيتها نحو سبعة آلاف من الفلسطينيين، وهذا الحقد الصهيوني فجّر المشاعر الإسلامية والعربية لاسيما عند شعراء القدس كما نرى ردّة الفعل عند هارون هاشم رشيد وهو يحرّضُ الشعوب الإسلامية على استمرار الثورة والصمود والمقاومة في قصيدته (ياوحدنا):

ماذا أقولُ لكم وأخبرُكم — واليوم لا لهوٌ ولا لَعِبُ
حربٌ تُهدّدُنا، تُهدّدُكم — وتطالكم والدَّورُ يقتربُ
ماذا أقولُ لكم لأمتِكُم — ماذا يقولُ أحبّة عَتَبُوا
إنا نقولُ بأن ثورتَنا — لو دُمّرت وأصابها العطَبُ
من بعدِها سَتُداسُ أمّتكُم — من بعدِها لن يُذكَرَ العربُ[2]

نبرة الألم واضحة في شعر هارون ودعوة صريحة لمقاومة الاحتلال، ودعوته هذه لم تكن في إطار الضيق للشعب الفلسطيني وحده، بل للعالم العربي والإسلامي كله، إذ يرى أنه إن لم يوقف العدو عند حدوده، فستكون البلية عامة وطامة، وتساءل الشاعر أكثر من مرة ـ ماذا أقول ـ تساؤلاتُهُ هذه تكشف عن ما يتردّد في أعماقه من خوف على مستقبل أمته، وهكذا يبرز مفهوم المقاومة والصمود، معبراً عن الدعوة الدائمة لمواصلة النضال، وعدم الركون إلى الخنوع

---

١. محمد: ٧.

٢. هارون هاشم رشيد، *الصمود والحزن*: ص ٢١.

والاستسلام فالصمود سيصنع المجد حتماً، يقول الشاعر السوري جابر خير بك وهو يتابع بأحاسيسه مقاومة الشعب الفلسطيني والمقاتل المسلم في قصيدة:

يافارس الساح يامن زاده شرفاً أن يحفر القدس في أحداقه وشما
من غيره وهب الأوطان مهجته وصافح الموت مزهواً ومحترما
فهو الذي جعل الجلى مطيّته وداس وجه عتاة الكفر واحترما
وهو الذي قال للتاريخ مبتسماً أنا هنا لن أملَّ البرد والخيما
أنا هنا حربةٌ في صدر من ذبحوا أهلي وشعبي، وشقوا القلب والرحما[١]

وهكذا كان صوت فلسطين في ضمير الإنسان العربي والمسلم، دعوة الصمود والمقاومة ورفض الاحتلال، أحسها الشاعر الفلسطيني واللبناني كما أحسها الشاعر السوري لأنها قضية تحرير واستقلال، قضية نضال وكفاح ومقاومة قضية الحق والعدل.. ولا يرضى بأدنى من إنجاز هذا. ومن هذا المنطلق انعكس الرفض لمعاهدة (أوسلو ١٩٩٤) في شعر القدس، وذلك لأن قاطبة الشعراء كغيرهم اعتبرها معاهدة استسلام وتنازل بل تخاذل عن أدنى حقوق الشعب الفلسطيني المضطهد، لهذا نرى الأصوات الشعرية قد علت وركزت على الصمود والمقاومة تعالج القضية شعرياً، ومن هنا جاءت قصيدة الشاعر علي عقلة عرسان (أورسلام ـ ١٩٩٦) الرافضة للسلام المزيف، في مقطع منها يقول: أنا وخطاي نقول:

سلاماً أور سلاماً،
لم نُهزَم ياأور سلاماً،
لم نُهزَم ياقدس الفاروق، وقدس صلاح الدين، وقدس
يبوس الأول،

---

١. جابر خير بك، *شوارد النغم*: ص١٥٨ ـ ١٥٩.

لم.. لن،
لن.. لم،
لم نُهزَم،
في الأرحام حداءٌ،
أكبر من هرولة الذلّ،
وأكبر من كلّ المأزومين المهزومين المأجورين،
في الأرحام رجاءٌ أكبر،
نورٌ أكبر،
حلم أكبر.
لا سلم بهذي الأرض وأنا مقهورٌ ياأور،
لا سلم بهذي الأرض وسيفُ القرصان يحزُّ وريدَ القلب،
ويفري كلَّ جذور الحب،
ويمسخُ كلَّ نداء الربّ،
ويقتلُ.. يقتلُ.. يقتلُ،
لا سلم بهذي الأرضِ على أنقاضِ السلمِ الحق،
سلمٌ فيها.. يوم يسود العُربُ،
يسود العدلُ،
ويفنى الرعبُ الصهيونيُّ،
ويفرحُ قلبي،
سلامٌ فيها يوم يسود الحق.[١]

من الواضح أن الشاعر يطالب بسلام الحق، سلام العدل. واستعماله للأدوات ـ لم ـ لن ـ يدل على عمق اعتقاده بالمقاومة والصمود، عقيدة راسخة

١. علي عقلة عرسان، *الأعمال الشعرية*: ص ٣٢٠.

ممتدة في جذور الأرض وشرايين أبناء الأمة الإسلامية، يستبشر بالمستقبل القريب، وبين صراع اليأس والأمل، فالأمل هو المنتصر.

الشاعر	الجنسية	عنوان القصيدة	التاريخ	المصدر	الصفحة
هارون هاشم رشيد	فلسطيني	ياأخوتي	في الخمسينيات	عودة الغرباء	١٤٩ـ ١٥٢
سميح القاسم	فلسطيني	الشعلة	١٩٦٩	الأعمال الشعرية	
هارون هاشم رشيد	فلسطيني	إلى يافا	١٩٧٥	طيور الجنة	١٤
جميل علوش	فلسطيني	بين اليأس والعمل	١٩٩٠	صوت الشعر	٦ـ ١١
محمود مفلح	فلسطيني	ياقدس	في التسعينيات	نقوش إسلامية	٩ـ ١١
محمود مفلح	فلسطيني	حماس	في التسعينيات	نقوش إسلامية	١٢ـ ١٥
محمود حامد	فلسطيني	في حضرة الغياب	١٩٩٧	بيسان	١٤٩ـ ١٦٢
عبد اللطيف محرز	سوري	من وحي قطاف الزيتون	٢٠٠٠	حقائق وأوهام	١٩ـ ٢٥
جابر خير بك	سوري	المقاومة	٢٠٠٠	شوارد النغم	١٥٨-١٩٩

القدس ـ الشهادة والشهيد

إن كلمة الشهيد تحيط بها هالة من القدسية، والعلو والسمو، وإنما تطلق كلمة الشهيد على ذلك الفرد الذي ضحّى بحياته في سبيل هدف مقدّس، أو الذي قضى وهو سائر على طريق المسيرة المقدّسة، والشهيد يكتسب حالة الخلود، ويخلق جواً من الصفاء والطُهر في المجتمع المحيط به، ولا بُدَّ للهدف من أن يكون مقدّساً وعظيماً، والذي يضحّي بحياته من أجل أهداف غير سامية، أو يقتل في سبيلها، فإنّه لن ينال حالة القُدسيّة، واحترام التقديس في عيون البشر[1]. فمن يضع فكره وآثاره العلميّة في خدمة البشرية، فإنه يُعطي لفكره مفهوم الخلود، وهكذا من يُربّي

١. هناك فرق بين الهدف المقدس، وبين الهدف الكبير، فأمثال «الاسكندر» و«نابليون» و«هولاكو» و«هيتلر» كانوا يأملون بتحقيق أهداف كبرى، لكنهم لم تكن لديهم أهداف مقدسة. فمثلوا دور الأبطال وكبار حبّ الجاه والسلطة، ولم يمثلوا رمزاً للأحرار وطلاب الحقيقة.

ابنه أو يُربي الآخرين، فإنه يُعطي الخلود لأعماله، وإن كلّ واحد من هؤلاء يُضحي بكل مايملك عن عشق ووفاء للمبدأ السامي، فيُعطي لدمه قيمة الأبدية والخلود، وهذا هو الفرق بين الشهيد وغيره[١]، والهدف المنشود لدى الشهيد هو نصرة الحقيقة وإعادة الحق إلى أهله، ولذلك تراه يُضحي بالمصلحة الشخصية وبكل ما يملك حتى نفسه الطاهرة، في سبيل انتصار الحقيقة والوصول إلى الحق والعدل في سبيل الله والأمة والوطن والإسلام؛ ولذا أصبح مفهوم الموت عند الشهيد هو الحياة بذاتها بل يكاد يفوقها وذلك لتحقيق الحياة السعيدة السرمدية في الآخرة أو الحياة الحقيقية في الدنيا، وهذا ما يؤكده سيد الشهداء الإمام الحسين بن علي عليه السلام في طريقه إلى أرض المعركة حينما أنشد أبيات أخي الأوس قائلاً:

سأمضي فما في الموت عار على الفتى إذا ما نوى خيراً وجاهد مغرما
وآسى الرجال الصالحين بنفسه وفارق مثبوراً وخالف مجرما
فإن عشت لم أُذمم، وإن مت لم أُلم كفى بك ذلاً أن تعيش وترغما[٢]

لقد سجل الشعر في سورية لبنان وفلسطين أرض الشهادة والشهداء، قضية القدس، تسجيلاً صادقاً وعميقاً تجاوز فيه الخطابة إلى غور أعماق الإنسانية في الاستشهاد والفداء والتعبير عن الالتزام بالقضية وإحقاق الحق عن طريق الشهادة، فالشهادة هي الحياة[٣]، ولهذا برز مفهوم الشهادة والموت في سبيل الله والحرّية والتحرر كأعلى قيمة ثورية في طريق المناضلين والمجاهدين في شعرهم فكانت القصيدة عندهم رصاصة بوجه الصهيونية وقد تفاعل الشاعر في تحرير القدس مرتبطاً بأمنيته بالاستشهاد كما نلاحظ

---

١. مرتضى مطهري، *الملحمة الحسينية*: ٣ / ٢٧ ـ ٢٩.
٢. *تذكرة الخواص* لسبط ابن الجوزي: ص٢١٧.
٣. ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

ذلك في قصيدة الشاعر نزار قباني (طريق واحد):

إلى فلسطين خذوني مَعكُم، يا أيُّها الرجال
أُريدُ أن أعيشَ أو أموتَ كالرجالْ
أُريدُ أن أنبتَ في ترابها.. زيتونةً أو حَقلَ برتُقَال
أو زهرَةً شَذِيَّة..
قولوا لمن يسأل عن قضيتي..
بارُودتي.. صارت هي القضيّة..
أصبح عندي الآن بُندُقيَة
أصبحتُ في قائمة الثُوّارْ
أفتَرشُ الأشواكَ والغُبار
وألبسُ المنيَّةْ..
مشيئةُ الأقدار لا تردُّني
أنا الذي أُغيِّرُ الأقدارْ..
يا أيُّها الثُوارْ..
في القدسِ، في الخليلِ، في بيسانَ، في الأغوارْ
في بيت لَحم..
حيثُ كنتُم أيُّها الأحرارْ..
تقدَّموا.. تقدَّموا..[١]

نكسة حزيران عام (١٩٦٧) قد ألهبت حماس قباني وأجّجتها، كأنه ينتظر الفرصة الذهبية لحمل السلاح والتوجه إلى القدس السليب، الحدث يدعو إلى الخطابة أكثر منه إلى التأمل الهادئ، فالموقف مصيري إمّا حياة كالرجال الأحرار وإمّا ممات كالأبطال والمناضلين الذين كرعوا كؤوس الموت في

---

١. نزار قباني، *الأعمال السياسية*: ٣ / ٣٢٩ و ٣٣٠.

سبيل الله تعالى وصافحوا أيدي الردى في ساحات القتال، فالشاعر يستمد عاطفته الإنسانية من جذورها الإسلامية ويسلط أنوار الحقيقة على السبل المثلى التي يجب على الأمة أن تسلكها للتحرر وسعياً وراء ما ضاع من عزتها ومجدها، ويرى نزار قباني أن هذا هو النهج السديد لإحراز النصر وتخليص الأرض، فالشهادة أعلى مرحلة من مراحل النضال التحريري، والشهداء هم روّاد الحرّية الذين يقطعون غياهب الليل الداجي بدمائهم، ويوقظون النيام من سباتهم، ويبشرون بالخلاص من قيود الاحتلال.

وعندما استشهد القائد خليل الوزير أبو جهاد يوم (١٦ نيسان ١٩٨٨) نظم الشاعر هارون هاشم رشيد قصيدته (لن نقبل العزاء) قائلاً:

نَحْنُ لَن نَقْبَلَهُ فيكَ العَزَاءَ ... قَبْلَ أنْ تَبْلُغَ بالثأرِ، الرّجاءَ
أنْتَ مَنْ علَّمَنا، لَقَّنَنَا ... ثورةَ النَّصرِ التزاماً وانْتِمَاءَ
أنْتَ مَنْ عَلّمنا، كيفَ إذا ... فَجَرَ الباغي، دَعياً وأساءَ
نُرجِعُ الضربةَ، كرّاتٍ ولا ... نَتَراخى في المُلمَّاتِ انحناءَ
أنتَ كَم مِنْ مرَّةٍ لَقّنتَهم ... رائعَ الدَّرسِ، وفَجَّرتَ الفَضَاءَ
أنتَ يا سيفاً، تَنَاسَى غِمْدَه ... مشرَعاً، يَستَبقُ الموتَ اجتِراءَ[١]

ثم يواصل الشاعر في المقطع السادس من قصيدته قائلاً:

أيُّها الراقِدُ في الشّام وفي ... «الرَّملةِ البَيضاء» يَرتادُ الفَضَاءَ
روحُكَ الطاهرُ رَفرافٌ على ... وطنٍ، يَنتَظِرُ الفَجرَ المَضاءَ
روحُكَ الطاهرُ في القُدْسِ على ... قُبَّةِ الأقصى يُنادي البُسَلاءَ
يُوقِظُ الكامِنُ مِنْ غَضبَتِها ... يُشعِلُ الثورةَ، يُهدي البُسطاءَ[٢]

---

١. هارون هاشم رشيد، *طيور الجنة (قصائد للشهداء)*: ص ٧٧ ـ ٧٩.
٢. *المصدر*: ص ٧٩ و ٨٠.

يقدّم لنا الشاعر هارون صورة لنفس هذا الشهيد المضحّي بنفسه، الذي لم يتخاذل أمام غطرسة العدو، ولم يُؤْثر الحياة والسلامة، وإنما هبّ مدافعاً عن عرضه وأرضه، فالشاعر لا يذرف الدموع على الشهيد لأنه حيّ يرزق في جنّات العُلى، التي طالما كان يحلم بها، وهي الغاية التي يجاهد المقاتلون للوصول إليها، فيصبح الشهيد نبراساً ومناراً يُهتدى به، معبّراً كل التعبير عن المجاهدين الأحرار، ومجسّماً لآمال سائر الشهداء الأبرار الذين يصوغون بدمائهم الزكية سطور أعظم قضية للإنسانية واستمرار حياتها، ولتكون كلمة الحق هي العليا، فيرى الشاعر أن الشهداء هم أساتذة الثوار والأحرار يعلّمونهم كيف يكون الموت حياة لا موت فيها، وذلك لأن الأمّة التي لا يكثر فيها المستشهدون دفاعاً عن كيانها وعقيدتها وحفظ هويتها وحريتها، هي أمّة مرشحة للزوال والموت، يتخطفها الأعداء من كل حدب، ويطمع بها ذئاب البشرية بل كل قوي وضعيف. ومتى ما أصبحت أرواح الشهداء تطوف حول قبة الأقصى وقدسها فالأمل بالحياة كبير ونسيج عنكبوت الصهاينة لا محالة زائل. وفي هذا المضمون أيضاً جاءت قصيدة الشاعر كمال رشيد التي قال فيها:

يا حبيبَ الله قد نلتَ الذي كنتَ ترجو وجنانَ الخلد نلتا
رأيت دربَ النصر وعراً شائكاً دمُك الطاهرُ في الأرض سكبتا
أنت فينا قبسٌ يرشدنا وإذا اخترت مثالاً كنت أنتا
وإذا القدس غدت قنديلنا فلقد أصبحت للقنديل زيتا[١]

فالشهادة أعطت القدس بُعداً عقائدياً وثقافياً عميق الجذور تتجمع فيه الأرواح لتصبح ذلك الزيت الطاهر ليُضيء طريق القدس نحو التحرير.

أخذ الشعراء يعبرون عن معان الشهادة ويقدمون التحية والتقدير لشهداء القدس وفلسطين، فالشعر «الفلسطيني أشبه بشعر المناسبات، ولكن ليس على

---

١. كمال رشيد، *القدس في العيون*: ص ٥٧.

طريقة الشعر العربي القديم، فالمناسبات التي يسجلها الشعر هنا مناسبات الدم والبطولة والتآمر ومئات الأحداث التي تتّخلل مسيرة الثورة، ذلك أن الشعر بتماسه اليومي والحار مع الأحداث على تنوعها يكاد يصبح تعليقاً مباشراً على هذه الأحداث، يسجلها ويحدد موقفه منها ورؤيته لها»[1].

فيقدم الشاعر صورة مشرقة في غياهب الدجى مبدّدةً سحب الخوف والضياع، ومنيرة مصابيح الأمل والتحرير. وهذا ما نلاحظه عند الشاعر «علي عقله عرسان» في قصيدته (ياراغبُ قمْ ـ الثمانينيات):

ياراغبُ قم.
ياراغبُ قم.
واهتفْ بالركبِ وقل لَهُمُ،
بسحرِ بيان جهادِهِمُ:
«للقدسِ طريقٌ من أرنون..»
تكسوها أوراقُ الطيُّون،
يشعّ بها فجرٌ فتّانٌ أو مفتون..
يصنعه اليوم جنوبيون جهاديون..
جهاديون جنوبيون..
للقدس طريقٌ من «أرنون»
للقدس طريقٌ من «أرنون»
مشاعلها نورُ النورينْ،
وزينتُها فخرُ الدّارين:
جحافل أحفاد الحسنين..[2]

---

١. نزيه أبو نضال، *الشعر الفلسطيني المقاتل*: ص ٩٥.
٢. علي عقلة عرسان، *الأعمال الشعرية*: ص ٣٧٣.

بعد اجتياح العدو الصهيوني للجنوب اللبناني في «السادس من حزيران ١٩٨٢م» واجهت الأمة العربية والإسلامية حلقة جديدة من التآمر على وجودها ووحدة أراضيها وذلك لنهب خيراتها والتسلط عليها عن طريق التجزئة والاحتلال، وبعد ماتلقى العدو الضربات تلو الضربات على يد المقاومة اللبنانية راح يبحث عن وسيلة عسكرية جديدة تؤمّن له أمنياته الغاشمة فتشبث وكما هو ديدنه باغتيال رموز المقاومين ظناً منه إزالة هذه العقبة أمام نواياه التوسعية فبادر لاغتيال الشيخ راغب حرب في عام (١٩٨٥م).

وقد هز مصرع الشهيد شاعر الأمة الإسلامية فكان لموته رنة ألم وأسى تجاوزت حدود لبنان فحدثت ردود فعل على الصعيد الشعري كان أبرزها موقف الشاعر السوري «عرسان» حيث ينادي الشهيد بأن يسير بركب المجاهدين فإنّ طريق القدس يمر من بحر تلك الدماء الزكية التي سكبت في سبيل الله تعالى، وأن سبيل الشهادة الذي سلكه أبناء الجنوب سوف ينته إلى التحرير وستنتج تلك الدماء براكين مبدؤها الجهاد والنصر على العدو. ثم بيّن الشاعر بأن هذه الدماء الثائرة متصلة بكربلاء لأن كربلاء لا تختص بمكان أو زمان وشهادة الحسينؑ هي المقاومة الواعية الزكية على طريق الهدف المقدس ولا أقدس من الدفاع عن الذات والوطن.

لِلقدس طريق من «أرنون»
تكسوها أوراق الطيّون
للقدس طريق من أرنون
والزحف بداه جنوبيون
غداً تلقاه: شاميّون.. عروبيون،
لِلقدس طريق من «أرنون»[١]

---

١. علي عقلة عرسان، *الأعمال الشعرية*: ص ٣٧٤.

وهكذا تفاءل الشاعر بتحرير القدس، وساهم في تعبئة الأمة الإسلامية لمواصلة نهج الشهادة، لأن الشهيد حينما يقف بوجه العدوّ، فإما أن يصرعه وإمّا أن يُصرع، لكن عمل الشهيد لا ينحصر في هذا الموقف! فلو كان عمله منحصراً بهذا لذهب دمه هدراً حينما يخرُّ صريعاً في ساحة المعركة. وهذا ما لا يحدث، فدم الشهيد لايذهب هدراً.. دم الشهيد لا يُراق على الأرض. كل قطرة من دم الشهيد تتحوّل إلى آلاف القطرات.. بل إلى بحر من الدماء يدخل جسد المجتمع.[١] ولذا واصل الشاعر قائلاً:

تشقُّ طريقَ القدس قلوبٌ، بعد قلوب، بعد عيون..
أسراب جراحٍ تهطلُ فوق الناس ضياءً..
تهمي نصراً .. تنقذ طفلاً .. تصنع أمناً.
كبّر في الناس
ينتعشون .. وينتشرون بكل الأرض
وقل لهم..
لمجد القدس صهيل قلوب الناس اليوم،
ومجدُ القدس هزيمةُ وكرِ الشّرّ: بني صهيون.
جنوبيون مشوا في الدرب إلى العلياء، جنوبيون..
أرواحٌ تنسج صبح النصر،
بلون العندم والزيتون،
جنوبيون.. جنوبيون،
ضياء اليائس والمحزون..[٢]

١. مرتضى مطهري، *الشهيد يتحدث عن الشهيد*: ص ٣٠.
٢. علي عقلة عرسان، *الأعمال الشعرية*: ص ٣٧٧.

الشعر الثوري الذي يعيش في معترك الحياة ووسط هموم الناس وصراعاتهم لا يلبث أن يصبح شهادة على العصر، والشهادة هنا لا تعني نقل الأحداث وتسجيلها على طريقة التصوير الفوتوغرافي، بل تعني أن تنقل الأحداث من خلال فهم حركتها الحقيقية، ذلك أن كل حدث مرتبط بجملة متشابكة من المؤثرات والعلاقات التاريخية والمعاصرة، ومن هنا فإن شهادة الشعر الثوري، تمتلك دائماً إلى جانب القدرة على نقل الصورة بسياقها الظاهري إلى جوهر الحدث.[1] فعبّر الشاعر بقصيدته هذه عن عمق إيمانه بالنصر الذي سوف تسجله دماء الشهداء وتنقذ الأمة بعد أن أضاءت طريقها وأزاحت جبل اليأس من أمامها، فإن كل قطرة من دماء الشهداء حينما تراق على الأرض وتسقي أديمها تفجّر مشاعر البشر وأفكارهم، ووجدانهم غضباً عاصفاً وأمواجاً مطاطة تنصبّ فوق رؤوس من سوّلت لهم أنفسهم الاعتداء على الآخرين، وتورق الحياة خضراء بلون الزيتون.

جدول أهم قصائد القدس محور القدس «الشهادة والشهيد» حسب الترتيب الزماني

الشاعر	الجنسية	عنوان القصيدة	التاريخ	المصدر	الصفحة
عبد المنعم الرفاعي	لبناني	اللاجئ	١٩٤٩	المسافر	٩٢ـ ٩٦
حسن البحيري	فلسطيني	عرس الشهيد	١٩٥٥	لفلسطين أغني	١٤٧ـ ١٥٦
سليمان العيسى	سوري	عدنان المالكي	١٩٥٦	الأعمال الشعرية، ج ١	٣١٤ـ ٣١٩
يوسف الخطيب	فلسطيني	عرس الفداء	١٩٥٣	العيون الظمأى للنور	٧٦ـ ٧٩
هارون هاشم رشيد	فلسطيني	رسالة الشهيد	١٩٦٩	طيور الجنة	١٩ـ ٢٢
هند هارون	سوري	الشهيد	١٩٦٩	مسار المعبد	٧٦ـ ٧٨
عبد المنعم الرفاعي	لبناي	موطن الوحي	١٩٧٣	المسافر	١٤٨ـ ١٥٣
هارون هاشم رشيد	فلسطيني	لن نقبل العزاء	١٩٨٨	طيور الجنة	٧٧ـ ٨٠

---

١. نزيه أبو نضال، *الشعر الفلسطيني المقاتل*: ص ٩٠.

هارون هاشم رشيد	فلسطيني	الشهيد المجهول	١٩٨٩	قصائد فلسطينية	٥٥ـ ٥٨
خليل الخلايلي	فلسطيني	جرح كربلاء	١٩٩٧	بانتظار الريح الشرقية	
علي عقلة عرسان	سوري	يا راغب قم	التسعينيات	الأعمال الشعرية	٣٧٣
عبد المنعم الرفاعي	لبناني	نشيد الفداء	=	المسافر	١٠٩ـ ١١٠
نزار قباني	سوري	طريق واحد	-		
هارون هاشم رشيد	فلسطيني	محمد الدرّة	٢٠٠٠	قصائد فلسطينية	٥٧ ـ ٧٢

بعض ما توصل إليه البحث في هذا الفصل

لقد كانت هذه المحاور الخمسة في الفصل الثاني ـ الدواعي والاتجاهات الإسلامية ـ هي أهم ما دار حول شعر القدس في الفترة (١٩٤٨ ـ ٢٠٠٠م) وقد تبيّن لنا أولاً:

أن المحاور حسب كميّة القصائد الواردة فيها هي كالترتيب التالي:

القدس ـ الشهادة والشهيد.

القدس ـ الصمود والمقاومة.

القدس ـ واليقظة الإسلامية.

القدس ـ الثورة والجهاد.

القدس والوحدة الإسلامية.

وفي معظم تلك القصائد لاحظنا أيضاً، العلاقة القوية بين شاعر القدس والواقع الذي صوّره في تلك المحاور التي كانت نابعة من أعماق النفس الإنسانية والأحاسيس الوجدانية في كلمات تشعر بالمشاعر الحماسية المتأججة والمتفجّرة. فقد انطلقوا بدورهم في تعبئة الأمة العربية والإسلامية للوقوف في وجه العدوان ومقاومة الاحتلال حتى الشهادة في سبيل الله تعالى أو تحرير القدس الشريف، فكانت النتيجة واضحة حيث اندلعت الثورات والانتفاضات وهذا بعض ثمارها. إلا أن قاطبة أولئك الشعراء غفلوا عن محور

القدس والوحدة الإسلامية ـ مع ما فيه من الأهمية الخطيرة إذ أنّ القدس تتعلق بالمسلمين جميعاً، لكنّهم لم يغفلوا عن موضوع الوحدة العربية والذي سنعرض له في الفصل الآتي.

ثانياً: قد تفاوتت القصائد ـ في هذه المحاور ـ فيما بينها شكلاً واقتربت مضموناً ـ وهي تعرض لنا صورة القدس ـ ولا يبدو المكان في هذه القصائد ظل ساكناً وإنّما كانت الحركة فيه تدبّ وتبعث الحياة في القصيدة؛ إذ استطاعت أن تجعل منه قضية للإنسان الفلسطيني بل للإنسان العربي والمسلم، «ويكون المكان أحد العوامل التي تقوم عليها الأحداث، وهو لا ينعزل عن عناصر السرد الأخرى، وإنما هو يتضمنها بالضرورة، ويؤثر فيها وتؤثر فيه، ولذلك لا يصلح المكان وحده لأي عمل فنّي، كما أن الشخصيات لا تعيش ضمن فراغ، ومن هنا يتداخل هذا العنصر والعناصر الفنيّة الأخرى في علاقات مختلفة لتشكيل العمل الفني، سواء أكان رواية أم مسرحية أم قصيدة، ويكون المكان عنصراً ضرورياً، بل هو من أهم العناصر الفنية لما يتركه من بصمات واضحة في الشخوص والأحداث.[1] فلذا جعل القدس والشعر الذي اشتمل عليها معنىً وقيمة خاصة.

ثالثاً: كانت الصفة الغالبة في قصائد القدس في هذه المحاور هي الخطابة المباشرة.

رابعاً: إن شعر القدس في هذه المحاور لم يكن رد فعل للأحداث وحسب وإنّما كان فعلاً مقاوماً لبعضها محرضاً للبعض الآخر، فتعامل الشعراء مع الحدث منذ عام (١٩٤٨) حتى (٢٠٠٠م) وكانوا حريصين على متابعة يوميات القدس، يرصدون أحداثها بدقة كالشاعر هارون هاشم رشيد، حسن البحيري، علي عقلة عرسان، نزار قباني و... .

---

١. خليل الموسى، *جريدة تشرين*: ٢٧ كانون الثاني، ٢٠٠٥، العدد ٩١٥٧، ص٨.

٣

الدواعي والاتجاهات السياسية

القدس والضمير السياسي

إن التجربةً الفلسطينية الحديثة لا ترحم، ولا تترك ناحية من نواحي الحياة دون التدخل في أعمق أعماقها، وليس هناك من يفلت من قبضاتها، فالكاتب أو الشاعر الذي يفكر في التوجه توجهاً منفصلاً عن السياسة فهو يتنكر للواقع والتجربة، إذ وجد الشعراء الفلسطينيون وغيرهم بعد عام (١٩٤٨م) أنهم لم يكونوا ورثة لتاريخ شعري عربي طويل وحسب، بل وجدوا أنفسهم كذلك ورثة لوضع سياسي جديد ومعقد، شعروا أنه لا فكاك لهم منه.

وقد مال الشعر قبل عقد الخمسينيات إلى الاستجابة العفوية للأحداث، فخضع لمتطلبات المعنى في القصيدة[١] عندما رفض الشعراء قاطبة رفضاً باتاً مقولة الفن للفن ودافعوا بقوة عن مقولة الفن للحياة وللقضايا القومية والوطنية ومن هنا جاء رد إلياس قنصل قائلاً:

قالوا لنا خلوا السياسة أنها أفعى يرافقها غرابٌ ناعبُ

---

١. سلمى خضراء الجيوسي، *موسوعة الأدب الفلسطيني المعاصر*: ١ / ٣٢ - ٣٧.

غنّوا على وتر الجمال فلحنه تهفو إليه عواطف ورغائب
وتغزّلوا بنساء موطنكم ففي تلك الديار من السّماء مواهب
كيف التغنّي بالجمال وقيدنا رَكِبتْه من صدأ الزمان مصائب؟
فإذا أردتم أن يكون نشيدنا عذباً عليه من السّلام سواكب
فاسعوا إلى استقلالكم وتَرشّفوا قطر العُلى وإلى الفخار تواثبوا![1]

يقول إلياس قنصل في مقدمة ديوانه «السهام» لا حرية للشعر مع عبودية الوطن وعليه «فإن من تقيدت بلاده ليس حراً وهو بعض منها. من لم يكن حراً فلن تتفتق نفسه عن شعر حر. فسعينا لاستقلال بلادنا سعياً لحرية شعرنا، وأن الأدب من أسلحة الكفاح في الأمة.[2]

ويثير الشعر السياسي عند نزار قباني، التزامه في الموقف، والالتزام في الموقف يستتبع إدراك قيم إنسانية واجتماعية؛ بها يتجاوز المرء موقعه لتغييره إلى ما هو خير.

ولا يتوافر الوعي بهذه القيم إلا إذا اشترك بهذا الوعي مع طبقته أو أمّته؛ أو فئته؛ فيكون ثائراً في جهوده الإنسانية المتآزرة مع جهود نظرائه. أما إذا انطوى على نفسه، وقصد تحقيق غايته الذاتية التي لا يشترك فيها مع بني قيمه أو طبقته، فإنه يكون متمرداً.

وهناك فرق بين الثورة المشروعة والتمرّد الذي هو غير إنساني، ويتنافى مع القيم الإنسانية[3] فبعدما فجّرت نكسة حزيران (١٩٦٧م) مشاعر نزار قباني السياسية قال معلقاً على قصيدته «هوامش على دفتر النكسة»: «لا قيمة لفن لا يحدث ارتجاجاً في قشرة الكرة الأرضية.. ولا قيمة لقصيدة لا تشعل الحرائق في الوجدان العام.. في المرحلة التاريخية التي نعيشها، لا قيمة لشعر يحترف

---

١. إلياس قنصل، *ديوانه «السهام»*: ص ٤٨ ـ ٤٩.
٢. *المصدر*: ص ١٠.
٣. محمد غنيمي هلال، *الأدب المقارن*: ص ٤٠٧.

التبخير والتستر والتقية.. لم يبق بعد حزيران للشاعر سوى حصان واحد يمتطيه هو الغضب.. ولكن أين يبدأ حدود هذا الغضب وأين ينتهي؟ صعب عليّ كثيراً أن أرسم حدود غضبي فطالما أن هناك سنتمتراً واحداً من أرضي تحتله إسرائيل، وتذلّه وتقيم عليه مستعمراتها، فإن غضبي بحر لا ساحل له، أنا لا أستطيع أن أتحدث على طريقة عمرو بن كلثوم:

إذا بلغ الفطامَ لنا صبيّ   تخرّ له الجبابر ساجدينا

إن الأطفال في عصر عمرو بن كلثوم كانوا بخير، وكان لهم وطن وقبيلة. أما أطفال القدس، وحيفا ويافا، ونابلس، والناصرة، فلا زالوا يبحثون عن وطن»[١]، فالتحول ـ بعد الخامس من حزيران (١٩٦٧م) ـ ليست بمعجزة نزلت على نزار بل ردّ فعل ضميره السياسي الحيّ الذي أمطر العالم بقصائده السياسية واضعاً يده على داء أمّته بعدما حدّد موقفه من مسائل عصره، وهكذا استمر نزار حتى وافاه الأجل في عام (١٩٩٨م) أليس هو القائل في قصيدة «إفادةٌ في محكمة الشعر» والتي ألقاها في المهرجان الشعري التاسع ببغداد في نيسان عام (١٩٦٩م):

مالنا.. مالنا.. نلومُ حُزَيْرا   نَ وفي الإثم كلُّنا شُركاءُ
مَنْ هُمُ الأبرياءُ؟؟ نحنُ جميعاً   حاملُو عارِهِ.. ولا استثناءُ
وَحُدَوِيُّونَ!! والبلادُ شَظَايا   كلُّ جزءٍ من لحمها أجزاءُ
ماركسيُّونَ!! والجماهيرُ تَشْقَى   فلماذا لا يشبعُ الفقراءُ
قُرَشيُّونَ!! لو رأتهُمْ قُرَيشٌ   لاستجارتْ مِنْ رملها البَيْداءُ
لا يَمينٌ يُجيرُنا أو يسارٌ   تحتَ حدِّ السكّين نحنُ سَوَاءُ
لو قرأنا التاريخَ.. ماضاعتِ القُدسُ   وضاعتْ من قبلها (الحَمْراءُ)[٢]

١. نزار قباني، *الأعمال الكاملة*: ٣ / ٤٠٤.
٢. نزار قباني، *الأعمال السياسية*: ٣ / ٤٠٢ ـ ٤٠٤.

«ليس الشاعر واعظاً يعظ بالبينة ولا حكيماً يعلّم بالعبر ولا عالماً يخلص إلى المادي والمجرّدات والتعاميم وليس مقلّداً يعرّف ويصف، وإنما هو راءٍ - كما يقول رامبو - يشاهد الحقيقة ويتّصل بها ويحلُّ فيها ويمثلها بالرؤى والرموز والاستعارات والأطياف التي تحدس في خياله وانفعاله المدهشين.

فالحقيقة الشعرية هي حقيقة انفعاليّة دون شك، ولكنّها لا تصدر عن الانفعال المهووس، الفاقد البصيرة، وإنما هو انفعال عاقل، رزين، يستمدُّ من العقل جدّيته ومن العاطفة يقينها وحرارتها وحياتها وحيويتها».[1] وما أبيات نزار قباني إلاّ توضيحاً لصورة عاشتها أمته وحقيقة عكستها رؤيته، فقد جعلت الشاعر يلمس بحسه وبصيرته وضميره أبعاد الهزيمة وعمقها، فألقى أعباءها على الجميع، فالناس في الإثم شركاء وكل حسب حاله. ثم بيّن الشاعر التذبذب عند أمته وأنظمتها آنذاك، وزيف الظاهر والشعارات المغرية ويصرّح بأن التشبث بالشرق والغرب لايسمن ولا يغني من جوع وهذه الاتكالية هي أحد أسباب الهزيمة والتخلف. ثم يتابع ويذكر السبب لهزيمة حزيران وهو الانفصال عن التاريخ والقيم الإنسانية والتراث العربي والإسلامي. إذ لو فهمنا التاريخ لما ضاعت القدس ومن قبلها الأندلس. ثم يواصل نزار قصيدته قائلاً في مقطع ثان :

يا فلسطينُ.. لا تزالينَ عَطشى وعلى النفط نامت الصَحْراءُ
العباءاتُ كلُّها من حريرٍ.. والليالي رخيصةٌ حمراءُ..
يا فلسطينُ.. لا تُنادي عليهمْ قد تساوى الأمواتُ والأحياءُ
قَتَلَ النفطُ مابهم من سجايا ولقد يقتُلُ الثريَّ الثراءُ[2]

١. إيليا الحاوي، *نزار قباني شاعر قضية والتزام*: ٢ / ٦.
٢. نزار قباني، *الأعمال السياسية*: ٣ / ٤٠٥.

يرى الشاعر أنه «ليس من وظيفة الشعر أن يتحوَّل إلى ذئب.. ولكن حين يدخل رمح إسرائيل إلى هذا المدى من كبريائنا.. وحين يسافر في أنسجتنا وأعصابنا، ولا أحد يسأله إلى أين.. يصبح الشعر هجمة انتحارية.. على الطريقة اليابانية تدمر الأرض والسماء جميعاً».[1] ومن هذا المنطلق يصب نزار، جام غضب ضميره السياسي ويوجه هجومه الشديد وهجاءه اللاذع إلى أولئك الأحياء الأموات الذين أضاعوا الثروات ولم يستخدموها بالشكل المناسب لتحرير القدس الضائعة، إذ انشغلوا بأنفسهم وأمات النفط ما بهم من سجايا عربية وإسلامية أصيلة، وهذا الهجوم ليس أوّل وآخر هجوم للشاعر نزار قباني يعالج من خلاله آلام أمته وجراحاتها في قصائده السياسية والوطنية والتي تضمنها الجزء الثالث من أعماله الكاملة مثل: خبز وحشيش وقمر؛ رسالة جندي في السويس - جميلة بوحيرد الحب والبترول - هوامش على دفتر النكسة - الممثلون - الاستجواب - فتح - شعراء الأرض المحتلة - القدس - منشورات فدائية - عرس الخيول الفلسطينية - دعوة اصطياف من حزيران - حوار مع أعرابي أضاع فرسه - الحاكم والعصفور - الخطاب - حوار مع ملك الفول - إلى الجندي العربي المجهول - تعريف غير كلاسيكي للوطن - خطاب إلى شخص شهر حزيران - جمال عبد الناصر - الهرم الرابع - من مفكرة عاشق دمشقي - ملاحظات في زمن الحب والحرب - إفادة في محكمة الشعر - يا ست الدنيا يا بيروت - أنا ياصديقة متعب بعروبتي - حوار ثوري مع طه حسين - أريد بندقية - السيمفونيةُ الجنوبية وغيرها.

وهكذا تدفّق شعر الضمير السياسي، بجمال تعبيره وطلاوة ورشاقة لفظه عند القباني، فتراه يُغرّد كالبلبل حيناً ويجرح كالسيف حيناً آخر، «قد أخرج المعجم السياسي من غربته وأزال عنه وحشته فالآن الصلة بينه وبين الذوق

---

١. نزار قباني، *الأعمال السياسية*: ٧ / ٤٣٢، (من تعليقاته على «هوامش دفتر النكسة»).

العربي. كأنه بدّل التصور الذي استوطن في الذهنيّة العربية والإسلامية حيال السياسية إلى ألفة حميمة، والذي زاد توفيقه أنه يستخدم قاموس الفعل السياسي لهجاء السياسة والسياسيين»[١] بكلّ جرأة وشجاعة فيضع أصابعه على الداء وفي حينها يصف الدواء كما نلاحظ في رسالته لجمال عبد الناصر قائلاً: «أودعتها ـ هوامش على دفتر النكسة ـ خلاصة ألمي وتمزقي، وكشفت فيها عن مناطق الوجع في جسد أمتي العربية، لاقتناعي أن ما انتهينا إليه لا يعالج بالتواري والهروب، وإنما بالمواجهة الكاملة لعيوبنا وسيئاتنا. وإذا كانت صرختي حادة وجارحة، وأنا أعترف سلفاً بأنها كذلك، فلأن الصرخة تكون بحجم الطعنة، ولأن النزيف يكون بمساحة الجرح».[٢]

ولقد جاءت «القدس» في معظم قصائد شاعرنا نزار، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل علو منزلة القدس ومكانتها وما تحمل من رموز في قلبه وعقله، موكلاً تحريرها للأجيال القادمة. وهكذا نجد الضمير السياسي حيّاً عند الشاعر بدوي الجبل يحرّك القدس ويهتف بتحريرها فعند ما هدد «أحد الملوك في يوم من الأيّام بأنه سيحتل حوران، فهو يريد أن يكون ملكاً على سورية أيضاً.. انفعل البدوي وألقى قصيدة من الإذاعة السورية، يقال أن ذلك الملك قد ضرب الراديو فحطمه عندما سمع البدوي يقرأ هذين البيتين:

يهدد بالسلاح ويدّعيه   وما ملك الجنود ولا السلاحا
بطاح القدس دنّسها مغير   فهل حميت كتائبه البطاحا؟![٣]

أشار البدوي في هذين البيتين إلى الفكر البائد الذي يتمتع به بعض قادة الأمّة فيرى البدوي أن حالهم حال الإنسان الأحول، فهم بدل أن يهبوا

---

١. نزار قباني، *شاعر لكل الأجيال*: ص٦٢.
٢. نزار قباني، *الأعمال الكاملة*: ٧ / ٤٣٥.
٣. جريدة *تشرين*: ١، شباط، ٢٠٠٥، العدد (٩١٦٢)، ص٨ .

لاستخلاص القدس من الاحتلال تسوّل لهم أنفسهم بالاعتداء على جيرانهم وإخوتهم! وفي قصيدة «سرحان يشرب القهوة في الكفاتيريا ـ السبعينيات» سخر محمود درويش من أولئك الذين حولوا القدس إلى عرش السلطة محاولين خدمة شعوبهم بإظهار الولاء لقضية القدس، موجها نقده اللاذع أيضاً للذين يتاجرون بها على المنابر حتى أصبح الحديث عنها تملّه الآذان ويكتئب منه الإنسان لأنه لم يقترن بالعمل الصادق. قائلاً:

وما القدس والمدن الضائعة
سوى ناقة تمتطيها البداوة
إلى السلطة الجائعة.
وما القدس والمدن الضائعة
سوى منبر للخطابة.
ومستودع للكآبة.
وما القدس إلاّ زجاجة خمر وصندوق تبغ..
.. ولكنها وطني
من الصعب أن تعزلوا
عصير الفواكه عن كريات دمي..
ولكنها وطني.[1]

فالقدس هي الدم الذي يجري في عروق الشاعر وهي الهواء الذي يستنشق منه، محال عزلها يوماً ما كما أن عزل عصير الفواكه عن كريات الدم محال، فيرسم صورتين للقدس، صورة لموتى الضمائر والمتاجرين بها، وصورة صادقة لدى أصحاب الضمائر الحيّة الذين آلوا على أنفسهم رسمها في قلوبهم. وقريب من هذا المضمون قصيدة هارون هاشم رشيد (في الزّمَن

---

١. محمود درويش، *الديوان*: ١ / ٤٥٦ و٤٥٧.

المُهان ـ السبعينيات) لكن يظهر أنها أشد قسوة إذ هي تؤنّب الضمير السياسي لدى الجميع، حينما يطاف يومياً حول القدس وبمختلف الوسائل، لكنها تبقى مكبلة في السلاسل تئنُّ من وطأة الاحتلال الصهيوني فيقول:

القدس في هذا الزمان
في زمن الطرشان.. والعميان
في زمن المُهان
القدس، صارت منتدى،
وملتقى، ومهرجان..
القدس صارت مطعماً، ومشرباً
وملصقاً على الجدران..
القدس في كل مكان
في صف الصباح، والمساء
في موجز النشرة، في تفصيلها،
في أول الأنباء
القدس في العنوان
في خطبة الجمعة،
في محادثات القمم الشمّاء
القدس دائماً في البال،
في الضمير؛ في الأذهان
تبقى مكانها،
مكتومة الصدر،
لا تجاوز اللسان.[١]

---

١. هارون هاشم رشيد، *مفكرة عاشق*: ص ٢٤ و٢٥.

إن اللغة الشعرية عند الشاعر هارون تمتاز بالوضوح وبالحدة والشدة والعنف أحياناً إلاّ أنه يمتلك ضميراً حياً وواعياً فهو يناضل بأحاسيسه ومشاعره من أجل قضيته، فالقدس لن تغب عن ذهن الشاعر ولا عن ضميره ولو للحظة واحدة، ولكنه يرى أن الجماهير بعيدة عن التأثير الحقيقي بالأحداث السياسية، ولذا أصبحت القدس لقلقة لسان فقط. وعلى الرغم مما نلاحظ في قصيدته من اليأس والتقريع المباشر إلاّ أن القدس عنده مازالت تحرّك الزمان وتؤثر فيه فهي تتصدر كل شيء لتهز الضمائر الخامدة ولتدين صمت هذا العالم الذي بات وكأنما تخلّى عن ضميره السياسي والإنساني، إذ لا يسمع ولا يفقه الصوت الضارع لفلسطين والقدس وهو يصرخ صباحاً ومساءً لنجدته واستغاثته من قيد الاحتلال.

وهكذا نجد نزار قباني في قصيدة (القدس ـ أواخر الستينيات) يبكي على أعتاب القدس، المدينة المكبلة ويتساءل نزار عن ما سيعيد السنابل والغصون وضحكة الشفاه والعيون..

بكيتُ.. حتى انتهت الدُمُوعْ
صلَّيتُ.. حتى ذابت الشُمُوعْ
ركعتُ.. حتى ملني الرُكوعْ
سألتُ عن مُحَمَّد..
فيك، وعن يَسُوعْ
يا قدس. يا مدينة تفوح أنبياء
يا أقصر الدروب بين الأرض والسماء
يا قُدْسُ.. يا مدينتي
يا قُدْسُ.. يا حبيبتي
غداً.. غداً.. سيُزْهِرُ الليمونْ

وتفرحُ السنابلُ والغُصُونْ

وتضحك العُيُونْ.[١]

فالشاعر يستنجد بالضمائر الإسلامية والمسيحية لنصرة القدس وتحريرها من الاحتلال الصهيوني.

جدول أهم قصائد محور «القدس والضمير السياسي العالمي» حسب الترتيب الزماني

الشاعر	الجنسية	عنوان القصيدة	التاريخ	المصدر	الصفحة
هارون هاشم رشيد	فلسطيني	صوت لاجئ	١٩٥٥	عودة الغرباء	٨٠
نزار قباني	سوري	الحب والبترول	١٩٥٨	الأعمال السياسية	٥٩
سميح القاسم	فلسطيني	مزمورا لفلسطين	١٩٦٧	الأعمال الكاملة	٢٧٢
سميح القاسم	فلسطيني	سقوط الأقنعة	١٩٦٧	الأعمال الكاملة	٣٥٨
فدوى طوقان	فلسطينية	إلى السيد المسيح	١٩٦٧	الليل والفرسان	٣٢
نزار قباني	سوري	شعراء الأرض المحتلة		الأعمال السياسية	١٤٩
نزار قباني	سوري	إفادة في محكمة الشعر		الأعمال السياسية	١٩١
نزار قباني	سوري	فتح		الأعمال السياسية	١٣٧
نزار قباني	سوري	القدس		الأعمال السياسية	١٦١
نزار قباني	سوري	الخطاب		الأعمال السياسية	٢٦١
نزار قباني	سوري	من مفكرة عاشق		الأعمال السياسية	٤١٧
نزار قباني	سوري	حوار مع عربي		الأعمال السياسية	٢١٥
هند هارون	سورية	نداء طفل لاجئ		سارقة المعبد	٨٤
محمود درويش	فلسطيني	سرحان يشرب القهوة		الديوان ج١	٤٥٦
هارون هاشم رشيد	فلسطيني	في الزمن المهان		مفكرة عاشق	٢٤
هارون هاشم رشيد	فلسطيني	وردة على جبين القدس		وردة على جبين القدس	٣٨، ٤٢

١. نزار قباني، *الأعمال السياسية*: ٣ / ١٦١.

هارون هاشم رشيد	فلسطيني	الانتفاضة	١٩٨٨	وردة على جبين القدس	١١٩ـ ١٢٠
نجيب جمال الدين	لبناني	غابوا مع الشمس	الثمانينيات	الكتابة على أعمدة الشمس	١٢٥ـ١٢٦

القدس والوحدة العربية والإسلامية

لقد كانت الوحدة العربية في كثير من الأحيان تعني «الوحدة الإسلامية» لا غير لكن بعض تصرفات الحكم العثماني (١٩١٧ م ـ ١٥١٦هـ) البعيدة عن المنطق والحكمة، جعل حركة الوحدة العربية تتبلور بشكلها القومي العربي ويراد منها الوحدة السياسية للبلاد العربية والأمة العربية آنذاك ومن خلالها يستطيع أبناؤها مواصلة الطريق وعلى مختلف الأصعدة لاسيما طريق النضال والكفاح لحل القضية الفلسطينية وتحرير قدسها من دنس العدو الغاصب.

فالوحدة العربية والإسلامية أمل العرب والمسلمين في عصرنا الحاضر، إليها تتوق النفوس، وتهفو الأرواح، لاسيما وأن الظروف العامة تدعو العرب والمسلمين إلى التمسك بفكرة الوحدة والعمل على تحقيقها بكل ما أُوتوا من قوة وعزم وإيمان.

لقد مضت على الأمة العربية والإسلامية أيام مظلمة حقّاً، لاقَت فيها من صنوف التفرقة ما أضعفها ونكّل بها وجعل بلادها وأرضهم مطمعاً للغزاة الصهاينة. ولكن الأمل يدفعهم إلى الخلاص من هذه الفُرقة بأي ثمن لينتهوا إلى تحقيق الوحدة التي تجمع بينهم وتوحدهم وتؤلف بين قلوبهم وتفرض إرادتهم، المشتركة ووجودهم[1]، ولاشك أن هذا قد حصل في القرون الثلاثة الأولى وذلك أيام الدولة الإسلامية والعربية وصدر الإسلام حيث توحدت الرايات تحت راية الإسلام.

١. نور الدين حاطوم، *نحو الوحدة العربية*: ص ٤٣.

وتبرز حقيقة الوحدة من خلال الكفاح ضد الاحتلال والاستعمار الغربي، فقد أكدت الظروف التي مر بها الوطن العربي والإسلامي بعد الحرب العالمية الثانية لاسيما في فلسطين أهمية الوحدة وضرورتها فلهذا قد وجدَ شعراء القدس أنفسهم أمام أحداث كبيرة أبرزها زرع الكيان الصهيوني في قلب الأمة واحتلال قدسها، لذا تحول البعض إلى دعاة قوميين منادين بالوحدة العربية، فالتجزئة لم تعد مجرد حدود سياسة تفصل وطناً عن آخر فحسب إنّما صارت جزءاً من مشروع استعماري هادف لابتلاع الشعوب وثرواتها.

ومن هنا نجد أن الشعراء ركّزوا على هذا الجانب الأهم، حيث يرون بعض أسباب الهزائم التي منيت الأمة بها كان منشؤها تلك المشاريع والخطط الخبيثة التي سببت التمزق والفرقة وقطعت جسد الأمة إلى أشلاء مبعثرة وأوطان متناحرة أدّت إلى ضياع القدس بكل بساطة.

لاشك أن القضية حينما تكون على هذا المستوى من الخطورة، كما هو الشأن بالنسبة إلى قضية القدس، فإن المسؤولية تكون على عاتق الجميع وعليهم تحملها ولا يجوز لأيّ واحد أن يفرّط بها ويتخلف عن تحمل مسؤوليته منها.

ومن هنا جاءت تساؤلات الشاعر المتالية فالأمة قد أعرضت عن الوحدة وقبول المسؤولية وراحت تركض خلف السراب لتزداد عطشاً، حين واجهت سفينتها العواصف المهلكة مما جعل صوت الشاعر يعلو بالنحيب وقلبه يقطّعه الأسى حين يرى شعبه انسحب من تحت أرجله البساط، وتوالت هزائمه ونكساته فنظر بعمق ثم تحسّر قائلاً: ما أكثر العبر وقلة المعتبر، فالصهاينة ـ مع ذلّتهم وتفرّقهم وتشتّتهم ـ أخذوا بأسباب القدرة والقوة وتوحدوا مع الباطل في كل شؤونهم، وأصحاب الحق يُبكى لهم! مع وضوح الحق ومسلكه وكثرة منارات الهدى فيه.

ولذا نرى كيف يستبشر الشاعر حسن البحيري في القصيدة (أفراح الوحدة ـ ١٩٥٨) عندما أعلنت الوحدة بين «مصر» و«سورية» في شباط عام (١٩٥٨) فراح يعزف ألحان الفرح وهلل له حيث أن أمله وأمل أمته العربية والإسلامية قد لاح بالأفق ومن خلاله سوف تعود القدس إلى حضن أهلها قائلاً:

وَطَنٌ حُرٌ روينْا أرضَهُ ... بدَمٍ يَقْطُرُ منْ كُلّ جنانِ
ورَفَعْنا في ذُراهُ رايةً ... تتهادَى فوقَ هاماتِ العَنانِ
نحنُ فيه أمَّةٌ واحدةٌ ... لم تُفَرِّقْ بفؤادٍ أو لِسانِ
وعلى جرحٍ عَميقٍ في الأسى ... ليسَ للطِّبِّ بدُنياهُ يَدانِ
هاجَ قلبُ المَسْجدِ الأقصَى هوىً ... أنطَقَ الجُرحَ بآياتِ البَيانِ[1]

برزت الحاجة الملحة إلى مفهوم الوحدة العربية وكما سبقت الإشارة إليه ـ في بداية هذا المحور ـ إثر تفكك البلاد العربية أثناء الاحتلال الغربي واقتسام الدولة العثمانية والتي تركت بصماتها آنذاك على نفسيّة المواطن العربي، واشتدت المقاومة للحفاظ على الهوية القومية العربية لاسيما بعد زرع الغدة السرطانية ـ الكيان الصهيوني ـ في قلب الأمة والتي أكدت على أن بلورة الوحدة هو الرد الحازم والحل الوحيد للقضايا الراهنة لاسيما قضية القدس، وكان من أبرز نتائج هذه الفكرة في أرض الواقع هو: وحدة مصر وسورية عام (١٩٥٨م) حتى أيلول عام (١٩٦١م) وكذلك اتحاد جمهوريات كل من مصر وسورية وليبيا عام (١٩٨١) واتحاد المغرب العربي عام (١٩٨٩) ومجلس التعاون العربي عام (١٩٨٩) واتحاد شطري اليمن عام (١٩٩٠) ومن هنا صّور البحيري أن الوحدة العربية ستقضي على كل أشكال التخلف والتمزق والفرقة وتجعل للأمة قلباً ولساناً واحداً تنطلق من خلاله نحو القدس والمسجد

---

١. حسن البحيري، *لفلسطين أغني*: ص ٧١ ـ ٧٣.

الأقصى لتحقق الآمال والأحلام وتعيد البسمة الضائعة لأمتها وشعبها.

وفي هذا المضمون جاءت قصيدة (في عيد الوحدة) للشاعر سليمان العيسى والتي ألقاها في حلب احتفالاً بمولد الجمهورية العربية المتحدة في شباط من عام (١٩٥٨):

نحن باقون وَحْدةً لن تزولا وليالي الضَّياعِ، والقيدِ، زولي
ها وتمشي في القفرِ ظلاً ظليلاً وحدةً.. تُلْهِمُ الكواكبَ مسرا
لَهَبٌ يغسِلُ الأذى والدخيلا[١] وحدةً.. في السماء والأرضِ منها

فالشاعر يعبّر عن إحساسه الصادق تجاه الوحدة العربية فيرى نفسه لابساً ثيابه القشب، راقصاً في عيد ميلاد الجمهورية العربية المتحدة، إذ زمان الضياع والتشتت لم يَعُد يذكر! ثم يواصل قصيدته قائلاً في مقطع ثانٍ منها:

لبنان؟.. تحلو في العيد كأسُ التلاقي أينَ أهلي على الذُّرى الشمّ في
الخُضْر، ضَجَّت في صدرِهم أشواقي أينَ أهلي.. في القُدْسِ، فوقَ الضِّفافِ
من عقالٍ في زَنْدها ووَثاقِ لَكَأني أجُرّ خلفي حطاماً
أنا أدْرَى بصاعقاتِ العراقِ العراقُ الحبيبُ.. طال دُجاه
زَغْرداتٌ تضيء في الآفاقِ[٢] أينَ أهلي.. فالعيدُ في كلِ صدرٍ

فنضال الأمة يتوقف على وحدة كلمتها وصفها، لأن التمزق موت والوحدة حياة، وتحرير القدس لا يتم إلّا عبر الحياة إذ هي التي تحمل في طياتها التضامن والجهاد، ومن أجلها ضحّى الكثير بأنفسهم وأموالهم للوصول إلى أهدافهم السامية، فندبَ سليمان العيسى العرب في لبنان وبغداد وغيرهم معلناً تضامنه معهم يطرب للوحدة حين لاحت في الآفاق والأنفس.

١. سليمان العيسى، *الأعمال الشعرية*: ١ / ٤٣٣.
٢. *المصدر*: ٤٣٤ ـ ٤٣٥.

وراحت الشاعرة هند هارون في قصيدة (من وحي الوحدة ـ ١٩٥٩م) ومن هذا المنطلق تصورّ لنا بأن الوحدة الكبرى ستكون كالمظلة والخيمة تضم تحت جناحها أمتها العربية والإسلامية وستكون المنطلق لتحرير القدس وعودة أهلها قائلة:

الوحدة الكبرى.. تبارك من يهلل للعروبة..!!
وتضم تحت جناحها.. أبناء أُمّتنا الحبيبة..
سيعود شعبُ القدس.. جباراً.. إلى الأرض السليبة
سيعود.. رغم الغاصبين.. إلى مرابعه الخصيبة!![1]

وهكذا تغنّى شعراء القدس في عقد الخمسينيات والستينيات مستبشرين بالوحدة العربية متفائلين باستخلاص القدس من براثن الاحتلال، ولكن يا ترى هل تحققت آمالهم وأمنياتهم؟ وبأي نسبة وماهي الأسباب؟ هل الأسباب أنفسهم؟ أم أن الجميع مشترك في ذلك؟ ولمَ لم يستمر شعراء القدس بعد الستينيات بالطرب للوحدة والتغنّي لها؟ هل خابت آمالهم؟ وهل سيبقى حلم الوحدة الذي طال انتظاره غير قابل للتحقق وغير قابل للتفسير؟ أرى من المناسب أن نحيل الإجابة لمستقبل القدس وتاريخها المستقبلي إذْ الشعر سكت عن ذلك حيث تتّبعنا مظان شعر القدس فلم نحصل على شيء ولكن خارج إطار الشعر كتبت عشرات بل مئات الكتب والمقالات وعقدت الندوات والمؤتمرات بما لايقل عن ذلك، لدراسة هذا الموضوع ـ الوحدة ـ أمثال: نحو الوحدة العربية لصابر فلحوط، والوحدة العربية لعلي بدور، والوحدة العربية لعبد العزيز الدوري والوحدة العربية لناصيف غالب ونحو الوحدة العربية لنور الدين خاطوم و.. ونوقشت المعوقات والتبعات وقدمت الحلول والمقترحات.. ونحن نأمل أن تتوحد الأمة الإسلامية بما فيها العربية

---

١. هند هارون، *سارقة المعبد*: ص٨٢.

ومن خلال هذه الوحدة يبزغ الفجر حين نرى راية النصر ترفرف في ربوع القدس وفلسطين، إذ الوحدة الإسلامية والتي دعا إليها الإمام الخميني (قدس الله سره) هي الدواء لكل داء.

جدول أهم قصائد محور «القدس والوحدة الإسلامية» حسب الترتيب الزماني

الشاعر	الجنسية	عنوان القصيدة	التاريخ	المصدر	الصفحة
حسن البحيري	فلسطيني	الفرحة بالوحدة	١٩٥٨	لفلسطين أغني	٢٠٤
حيدر محمود	فلسطيني	اعتذار الأقصى	١٩٨٦	الأعمال الكاملة	١٢٨ـ١٣٦
عبد اللطيف حوز	سوري	يا بني الإسلام	١٩٨٧	شجرات الدماء	١١ـ ١٨
عبد الله يوركي حلاق	سوري	كوكب العروبة	١٩٨٨	حصاد	١٩٦
عفيف النابلسي	لبناني	دون عنوان	١٩٩٠	نفحات عاملية	١٦ـ ٢٣
هارون هاشم رشيد	فلسطيني	شهداءنا الأبرار	١٩٩١	طيور الجنة	٨٣ـ ٨٦

القدس وقضية السّلام

إن السّلام من القيم السامية المتفق عليها عند البشرية جمعاء، لاسيما عند الشعوب الإسلامية حيث يرددون تحية السّلام صباحاً ومساءً، وذلك تطبيقاً لتعاليم دينهم ومنهج إسلامهم ـ السّلام عليكم.. عليكم السّلام ـ وهل يتصور للدين الحنيف غير هذا؟ بل أكثر من ذلك إذ أمر الله عز وجل المسلمين أن يجنحوا للسلم حتى مع خصمهم، أليس هو القائل (وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ)[1] وهذا حسب الأسس والقواعد المنطقية العقلية لدى جميع الأمم والأقوام «إلاّ اليهود الصهاينة يصرون على أن تكون لهم مفاهيمهم الخاصة لجميع القيم بما فيها السّلام، فوراء شعارات السّلام التي يرفعونها يخفون حقيقة نفوسهم الميالة نحو الحرب والعدوان، وهذا طبع متأصل فيهم، وعادة متحكمة في شخصيتهم، تظهر في أعمالهم وتصرفاتهم وتعبر عن

١. الأنفال: ٦١.

مفهومهم للسلام كخيار تكتيكي، على عكس ما هو عند غيرهم».[١]

هاهو القرآن الكريم يخبرنا عن بعض أفعالهم على طول التاريخ ويحذّرنا من مكائدهم المتوالية ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٢] وفي آية أخرى قوله سبحانه: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُواْ عَهْداً نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾[٣] وفي العصر الحديث وتحديداً توقيع معاهدة كامب ديفيد في تاريخ (١٩٧٨/٩/١٨) التي تعتبر أول معاهدة سلام تخص قضية القدس ومروراً بمعاهدة مدريد (١٩٩١) وأوسلو (١٩٩٣) تبلور تاريخ الصهيونية وأصبح أكثر وضوحاً، ولذا تبددت أوهام السّلام حينما رأى الجميع أن إسرائيل غير راغبة في السّلام العادل، وما تريده من معزوفة السّلام هو أن لا يكون سلام لأنها تدرك جيداً بأن معنى السّلام هو إخلاء سبيل القدس وإرجاع الحق إلى أهله وهذا خلاف فلسفة وجودها في قلب الوطن العربي والإسلامي فلسطين؛ حيث إن الكيان الصهيوني فرض على الأمة فرضاً بقوة الاستعمار والخطط المدروسة مسبقاً، ولذا حينما يدور الكلام حول قضية السّلام ترى الصهاينة لايريدون السّلام بالمعنى الحقيقي له ويضعون دائماً خيار الاستسلام أو الموت للشعب الفلسطيني، ولا شك أن هذا أخطر من الاحتلال على الشعب والأرض والعرض.

ثم «ما قيمة السّلام إذا كان المطلوب منا أن نتنازل عن حقوقنا في وطننا ليظل شعبنا مطروداً من أرضه وأرض آبائه وأجداده ويعيش مشرّداً بلا وطن يُؤويه وبلد يحميه؟ وما قيمة السّلام إذا كانت إسرائيل تصادر المزيد من

---

١. محمد علي عمر الفراء، *السّلام الخادع*: ص ٣٤٩.

٢. البقرة: ٧٥.

٣. البقرة: ١٠٠.

الأراضي الفلسطينية وتقيم عليها مستعمرات جديدة أو توسع القائم منها؟».[١]

ونجد الكثير ـ مع الأسف الشديد ـ قد صدّق هذه الخدعة ـ السّلام ـ بشيء من السذاجة، وآمنوا بأنه من الواجب عليهم فعلاً أن يسلّموا بأن إسرائيل حقيقة واقعة لا يمكن أن تزول، نسجوا من صلب مأساتهم أحلام المستقبل القائم على تحقيق السلام، وراحوا يترقبون ساعة إحلال هذا السلام.. كلٌّ ظنهم كان أن السّلام سيحلُّ بين ليلة وضحاها[٢]، ونسوا العزة الإنسانية والإسلامية والعربية وكأنه لم يمر عليهم قول المتنبي حين يقول:

عِشْ عزيزاً أوْ مُتْ وأنْتَ كريمٌ   بين طَعْنِ القَنَا وخفقِ البنودِ[٣]

بل راح البعض أبعد من هذا حين أخذ يتغنى لإسرائيل وشغفها لشعوب العالم الثالث ونيتها الخالصة لهم!، علّق آمال انتعاش البلاد والأوطان العربية وازدهارها إلى مابعد السلام!!، إذ سوف يصب ميزان الكيان الصهيوني ـ عفواً إسرائيل الشقيقة ـ بالمعونات المختلفة وتتدفق التكنولوجيا الحديثة لبلاده، لتصبح جنة الدنيا وأمنيتها.

ولكن تاريخ السّلام العربي ـ الإسرائيلي قد أثبت خلاف هذا التصور «فقد كشفت الوثائق أن تاريخ العلاقات الاقتصادية بين مصر وإسرائيل ـ أيام الرئيس السادات ـ هو تاريخ نشر مخدرات ونشر الإيدز، ونشر الفساد الإداري، وأغذية فاسدة، أو مجرثمة، أو مؤدية إلى العقم أو مهيجة جنسياً، أو مثبطة جنسياً.. وهلم جرّا، وأمّا المكاسب التي حققتها موريتانيا فهي دفن النفايات النووية الإسرائيلية في أراضيها».[٤] وكما قيل مَنْ جَرَّبَ المُجَرَّبَ

---

١. محمد علي عمر الفراء، *السّلام الخادع*: ص ٣٥٥ و٣٥٦.

٢. عزت السيد أحمد، *انهيار أسطورة السلام*: ص ٨.

٣. أبو الطيب المتنبي، *الديوان*: ٢ / ٤٥.

٤. عزت السيد أحمد، *انهيار إسطورة السلام*: ص ١٨٧ و١٨٨.

حَلَّتْ به النَّدامةُ إذن لَم هذه الهرولة نحو شرب السم القاتل؟ لـم هـذا التسابق نحو الفناء المحتَّم!؟.

مضت السنون وتصرّمت الأيام على بدء مفاوضات السّلام منذ عام (١٩٧٨م) من دون الحصول على أيّ شيءٍ يستحق الذكر!، اللهم إلاّ عدم استخدام لفظ الكيان الصهيوني والعدو الصهيوني عند الحديث عن إسرائيل، واستخدام لفظ حائط المبكى بدلاً من حائط البراق، واستخدام لفظ قتيل بدلاً عن شهيد حينما يسقط الفلسطيني برصاص الاحتلال وهو مضرّج بدمه، واستخدام المستوطنات بدلاً من المستعمرات، والاعتراف بإسرائيل دولة يمكن العيش إلى جانبها لدى البعض!!!

هذا أدمى قلوب شعراء القدس وفجّر قرائحهم شعراً لونه أشد اسوداداً من غياهب الدجى، يسوده الألم والحزن، مما جعل القدس صامدة شامخة، ولكنها تئنّ وتصرخ لما تعانيه من وطأة الاحتلال، واستغرابها من آخر الزمان، وفوضى المواقف، كيف اتفق أهل الباطل على باطلهم وتفرّق أهل الحق عن حقهم، بل عن أرضهم، ولا أقول هذا جزافاً ولا مبالغة إلاّ بعدما تتبعت مظان شعر هذا المحور ـ القدس وأوهام السلام ـ فلم أعثر على شاعر من شعراء القدس قد تفاءل لقضية السّلام على الرواية الصهيونية، ولا بارقة أمل لمستقبل واضح المعالم يسوده العدل والمساواة وهكذا جثم على قضية القدس عهد جديد وهو مأساة الضياع.

ولهذا المصاب يفجع شاعر القدس ويمزقه الجزع والأسى معبّراً كل التعبير عن ضياع شعبه ووطنه وقدسه، وهذا ما نجده عند الشاعر السوري زكي قنصل وذلك حينما خُدع العرب في عام (١٩٤٨م) بالحديث عن الهدنة والسّلام وكان إنقاذ الكيان الصهيوني بعدما أوشك على الانهيار في بداية الحرب، وبالفعل كانت نتيجة خدعة السّلام نكبة الجيوش العربية وضياع فلسطين والقدس الجديدة، يقول قنصل في قصيدته (خرافة السلام ـ ١٩٥٥م):

لَهْفي على القُدْس انطوت أعلامُه وَكَبَتْ بأشبال النضال خيُولُ
يمشي الأصيلُ ابنُ الأصيل مُطَأطئاً فيه ويَشْمَخُ واغلٌ مَرْذُولُ
الهُدنةُ النكراءُ أصْلُ بلائنا في عُنق عاقدها الدَّمُ المَطْلُولُ
لولا حبائلُها لحطَّم سَيْفُنا وَكْرَ الرذيلة وانتهت إسريلُ
لَيْتَ الذين استبشروا بَسرابها زَلَّتْ بهم قَدَمٌ وضلَّ دليلُ
مليونُ لاجٍ في العراء تَشَرَّدُوا لم يَخْتَلجْ لَهوانهم مَسْؤُولُ
يا خائفينَ على السّلام ألاَ اخجلُوا ودعوا السّلام خُرافةٌ وفُضولُ[١]

سلّط الشاعر الضوء في هذه الأبيات على خدعة السّلام آنذاك حين روّجها حماة الصهيونية واستسلم لها البسطاء، وهي لم تكن إلاّ خرافة باطلة، إذ كيف الحديث عن السّلام وأكثر من مليون لاجئ فلسطيني تحت العراء يقلّبهم حر الصيف وبرد الشتاء، فالشاعر يرى أسباب الهزيمة هي الهدنة وخدعة السلام.

ومن هنا يمكن الاستنباط أنّه متى أصبح الكيان الغاصب في مأزق من أمره كثر الحديث حول السلام! ولم تمض فترة طويلة على مقولة السّلام أيام النكبة حتى فسَّر قادة السّلام السّلام وذلك في عدوانهم الثلاثي على مصر عام (١٩٥٦م) وعلى رأسهم الكيان الصهيوني، فواصل الشاعر زكي قنصل حديثه عن السّلام في قصيدة (كنانة الله ـ ١٩٥٦) كاشفاً القناع عنه، قائلاً:

أينَ السّلام أين الهاتفون له بل أينَ زَمْرٌ وزُمَّار وسُعْدانْ؟
ما في الكنانة للطُغيان مُرْتَبعٌ إلاّ إذا احتل عرشَ الحق شيطانْ
تلك الوعودُ التي انقادت لها انفضحت فبان تحت إهاب الشاة سَرْحانْ
أبخْتُمُ القدسَ للشذاذ فاقتسمتْ عارَ الجريمة إصلال وذؤبانْ[٢]

---

١. زكي قنصل، *الأعمال الشعرية الكاملة*: ١ / ٤٣ و ٤٤.

٢. زكي قنصل، *الأعمال الشعرية الكاملة*: ص ٥٥ و ٥٦.

عكست أبيات الشاعر حدّة الرفض، وكشفت الانفعالية في قرارات السّلام المتخذة. وهذا الأمر واضح في قصيدة قنصل هذه وهجومه على دعاة السّلام الكاذب حيث تساءل عن السّلام وأصحابه أكثر من مرة، وقد اتسمت القصيدة بمباشرة الصياغة إذ جاءت ألفاظها سهلة الفهم تكاد تقرب من لغة الشارع.

الكل يعلم أن القاعدة التي تقوم عليها الصهيونية، هي قاعدة العنف، القتل، الإرهاب.. ولهذا فإننا نرى أنه لا يوجد في القاموس الصهيوني سلامٌ بالمعنى الحقيقي والمفهوم عند أرباب العقول، لذا تجد إسرائيل تعربد في شرق العالم وغربه وشماله وجنوبه تارة، وتبكي للسلام مع أقمارها تارة أُخرى، وقد أربكت مواقفها هذه البعض وأرعبت البعض الأخر حيث سقط الكثير قبل الطلقة كما يقول المثل العربي «رغم أن حرب تشرين عام (١٩٧٣) قد بددت كثيراً من هذه الأوهام، إلاّ أن فكر بعض القادة والزعماء بوعي أو بغير وعي مازال يدق على وتر حتمية التعامل مع إسرائيل على أساس أن التكافؤ العربي معها مستحيل، وأن مقومات استمرار التفوق لصالحها سوف تستمر إلى ما لا نهاية!؟».[١]

ولعله من هذا المنطلق جاءت معاهدة كامب ديفيد للسلام عام(١٩٧٨م)، التي وقّعها الرئيس المصري «أنور السادات» ورئيس الوزراء الإسرائيلي «مناحيم بيغن» ولقد كان لها الصدى الكبير على الساحة العربية والإسلامية لخرقها الإجماع العربي والإسلامي تجاه العدو الصهيوني، والأثر الأكبر على قضية القدس بل القضية الفلسطينية والشرق الأوسط باعتبارها الحدث الأكبر تأثيراً، وقد عبر شعر القدس عن هذه الأحداث المروعة لأنها الأخطر على الشعب والوطن.

---

١. موسى عطاء الله، *نقاط على حروف السلام*. ص ٨.

ومن هنا جاءت قصيدة الشاعر عبد الله يوركي حلاق «بنت الفرات - ١٩٧٨م» ولعلها أول قصائد هذا الصنف التي نقف عندها، إذ يقول:

يا مصر لمّي ما نثرتِ منَ المُنى	الوردُ أمسى في يديك قَتادا
لا تسألي الأعداءَ سلماً أنهُمْ	مكروا وزادوا خسَّةً وعنادا
ذرّوا الأماني والوعودَ وأخلَفوا	فكأنّهم ريح تذرُّ رمادا
أو ما عددتِ، وفيكِ فطنةُ حاذقٍ	للقدس كم ذهبَ الرَّسولُ وعادا
يا مصر هل ينسى الشقيقُ شقيقَهُ؟	كلّاً، ولو طال العتابَ وزادا[1]

فأبيات الشاعر جاءت عتابية من شقيق إلى شقيقه، يقدّم له النصائح المخلصة ويكشف التمويه المتلبس به عدوه، وما يكنّ له من شراسة وخسّة وعناد وخلف وعد، كأنّ الشاعر يشير للآية الكريمة كُلَّمَا عَاهَدُواْ عَهْداً نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ[2] التي تؤكّد بعض خصال الصهاينة الذاتية، فالشاعر انتزع هذه الطباع الخطيرة وصوّر السّلام الخادع الذي يتصف به. ففي هذه الأبيات من الشفقة والأنين مالا يخفى، ولعلّ هذا النوع من الشعر وما فيه من همس أوقع أثراً من شعر الصخب والصياح حيث يستمد الشاعر يوركي حلاق عاطفته الإنسانية من إطلالته العميقة على ثقافة أمّته وأصله العربي والإسلامي.

ولذا يرى كثير من شعراء القدس أن معاهدة كامب ديفيد للسّلام كانت بمثابة شرب السم للعرب والمسلمين لما فيها من الخطورة والضياع، وفي هذا المضمار جاءت أبيات قصيدة الشاعر اللبناني جمال الدين (بَسْمَةُ اللَّوْز - ١٩٧٩م) قائلاً فيها:

لو لاكَ هل «كمب داودٍ»،

---

١. عبد الله يوركي حلاق، عصير *الحرمان*: ص ٢٦٢.

٢. البقرة: ١٠٠.

سوى طَبَقٍ حَاموا عَلَى شَهْده الْمَسموم
واحْتَشدوا..
يَا رَمْلَ سيناءَ
هل تدري بما اتخذوا من القرارات
أو تدري بما عقدوا
مَشَوا إلى القُدْس
ساروا في جَنَازَتهم
والنَّعشُ لو نَظَرُوا مَنْ فيه ما وَفَدوا
فيه الضَّحَايَا عَلَى الكُثْبان نائمَةٌ
فيه الرَّمادُ
وفيه طَيْفُ مَن رَمَدُوا
مَشَوا إلى القُدس؟
لَيسَ الشَّتْمُ من شيمَي
لَكنْ أراهُمْ عَلى شَتْم الوفا اجْتَهدوا
شَدُّوا لَدَى الزَّحْف مَطَّاطاً عَلَى رُكَبٍ
وفي الرِّقاب مناديلَ الخزَا عَقَدُوا.[1]

كامب ديفيد عند نجيب جمال الدين هي أساس المصائب التي التصقت بالوطن العربي والإسلامي بل الإبادة الجماعية للعرب والمسلمين، لهذا تصاعدت نقمة الشاعر على الذين زحفوا لأوهام السّلام - على الرواية الصهيونية - مسرعين فأضاعوا حيثيتهم وكرامتهم وحيثية وكرامة الأمة برمّتها، لاسيما أبناء القدس وفلسطين، الأمر الذي دفعه للتأنيب والتقريع بمطرقة من الفولاذ والحديد، فالصورة التي يقدمها شاعرنا نجيب تحمل الحزن والألم وتظهر وجدانه المعذب،

---

١. نجيب جمال الدين، *قصائد إلى عاصمة المدن*: ص ١٤٣ - ١٥٨.

تبيّن عمق المأساة التي قصمت ظهر كل إنسان حرّ ذي تاريخ عميق، فالتوجّع المكرر في القصيدة نابع من واقع شدة الألم حيث يسارع الإنسان لقتل نفسه ويشيّعها للدفن وهو يظنُّ أنه يُحسن صنعاً، نعم هكذا ضاعت القدس!!

لم تكن أوّل قصيدة تشاءم فيها الشاعر نجيب لقضية السّلام وكشف الأقنعة عن وجوه الصهاينة المختبئة خلف سور السّلام ـ هذا اللفظ المحبب لدى الجميع ـ ففي قصيدة (الرَّحلَتَان ـ أواخر السبعينيات) يواصل الحديث عن تداعيات معاهدة كامب ديفيد قائلاً:

فَدَارَةُ السلم.. أدري
سُوْرُهَا لَهَبٌ كَجَنَّةِ الله
إنْ تُعْبَرْ.. فَباللَّهَب
من يُبْغِضُ السِّلْمَ؟
لَكنْ.. وَيْحَ طالبه
إنْ راحَ يَحْملُ مَعْنى ذِلَّةِ الطَّلَب
فإن تَكُنْ..
رِحْلَةٌ للْقُدْس قَدْ جلَبَتْ خزْياً عَلَى القَدْمِ
يبقى آخرَ الحقْب.[1]

لقد حمل الشاعر «نجيب» جراحات القدس العميقة في قلبه وفي وجدانه، فعندما يقول المخرج السويدي «بياهو المكست»: «الفلسطينيون لهم حقوق، ككل حقوق الشعوب، وإذا لم تنجز هذه الحقوق، أعتقد أنه لن يكون هناك نوع من السّلام لأن من المضحك القبول بتوزيعهم في (٢١) دولة عربية كأنك تقول للسويديين: «اذهبوا وعيشوا في ألمانيا[2]» فكيف بابن الوطن لا يصرخ

١. نجيب جمال الدين، *قصائد إلى عاصمة المدن الشرقية*: ص ٩٥ و٩٦.
٢. منية سمارة، *فلسطين في ذاكرة العالم*: ص٧٨.

وهو الذي يرى ضياع أرضه بما فيها القدس الشريف، فالشاعر استلهم التشبيه من الآية الكريمة ﴿... فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾[1] فالوطن جنّة وخلف سور السّلام الذي يؤدّي إلى فقدان الجنة التي هي الأرض والوطن، لهم جهنّم ونارها، وخزي الدنيا عارها، اللهم إلاّ أن يحقق السّلام العدلَ والسّلام المشروع إذ ليس هناك من يبغض السّلام بهذا المعنى. ولقد استمرت إدانة ومهاجمة السّلام عند شعراء القدس، بعد معاهدات مدريد عام (١٩٩١م) أُوسلو عام (١٩٩٣م) ووادي ـ عربة عام (١٩٩٤م) وطابا عام (١٩٩٥م) و«وادي بلانيتش» عام (١٩٩٨م) وشرم الشيخ عام (١٩٩٨م) ومن هنا جاءت قصيدة الشاعر «هارون هاشم رشيد» (هذا سلامهم ـ ١٩٩٤م).

وَطَنٌ تكونُ القدسُ عاصمةً لَه ... يَعْلو بِه صوتُ الأذان ويَصْعَدُ
«الله أكبر»، لا سواها رفْدُنا ... في ظلّها، ولأجلها نَتَوَحَّدُ
هي للسَّلام الحَق، للْعَدْل الَّذي ... مافيه مُحْتَمل، ولا مُسْتَعْبدُ
عَرَبيَّةٌ، قَرَشيَّةٌ، مُضَرِيَّةٌ ... أعلامُها، تعلو السَّماء، وَتَخْلُدُ[2]

فالشاعر يرفض معاهدات السّلام ما لم تعيد الأرض والحرية لأهلها وتكون القدس هي العاصمة العربية الإسلامية وراية فلسطين فوقها خفّاقة.

وفي هذا المضمون ـ بل أكثر بسطاً ـ قصيدة الشاعر «علي عقلة عرسان» (أورسالم ـ ١٩٩٦م)[3] الذي عالج فيه قضية السّلام بشكل مبسّط فأسهب الحديث حوله. وهلم جرّا، مادام السّلام العادل بعيداً عن القدس، فشعر الرفض مستمر لتبقى القدس رمزاً لحياة أهلها حتى يتحقق السّلام العادل في مدينة السّلام.

---

١. الحديد: ١٣.

٢. هارون هاشم رشيد، *طيور الجنة*: ص ١٤٤.

٣. علي عقلة عرسان، *الأعمال الشعرية*: ص ٢٩٩.

جدول أهم قصائد محور «القدس وقضية السلام» حسب الترتيب الزماني

الشاعر	الجنسية	عنوان القصيدة	التاريخ	المصدر	الصفحة
هارون هاشم رشيد	فلسطيني	قولوا لهم	١٩٥٥	عودة الغرباء	٤٨ ـ ٥١
زكي قنصل	سوري	في شبل مصر	١٩٥٦	الأعمال الكاملة	٥٠ـ٥٢
سميح القاسم	فلسطيني	مزمور أطفال العالم	١٩٦٧	الأعمال الكاملة	٢٧٥
جميل علوش	فلسطيني	جراح فلسطين	١٩٦٩	صوت الشعر	١١٨ـ١٢٦
هارون هاشم رشيد	فلسطيني	هذا سلامهم	١٩٩٤	طيور الجنة	١٤٣ـ١٤٨
علي عقلة عرسان	سوري	أورسالم صباح الخير	١٩٩٦	الأعمال الشعرية	٣٠٥
علي عقلة عرسان	سوري	أورسالم صباح الخير	١٩٩٦	الأعمال الشعرية	٣٢٣
هارون هاشم رشيد	فلسطيني	الخريف	تسعينيات	مفكرة عاشق	٥٢ـ٥٦
عبد اللطيف محرز	سوري	يا أمة	٢٠٠٠	حقائق وأوهام	٨١ ـ ٩١
عبد اللطيف محرز	سوري	خرافة السلام	٢٠٠٠	حقائق وأوهام	١٤٠ـ١٤٣

القدس والانتفاضة المقدسة

إنّ معاناة الشعب الفلسطيني المضطهد منذ نكبته بقيام الدولة الصهيونية ومنذ وعد بلفور عام (١٩١٧م) الذي أعطى مالا يملك مَنْ لا يستحق، فتكأكأ شذاذ العالم ـ المسمّون أنفسهم باليهود ـ لتشييد دويلتهم على أنقاض أرض العرب والإسلام فلسطين الجريحة، فكانوا جرثومة سرطانية بكل معنى الكلمة، ولم يحسن العالم الإسلامي والعربي معالجتها في الوقت المناسب، فاستمرت الأمة تتخبط في حروب يُرثى لها حيناً، وتشرذم عبّر صراعات حيناً آخر، وهكذا حتى سقوطها في فخ ما يسمى بعملية السّلام في الشرق الأوسط!

وأما الشعب الفلسطيني المنكوب فقد غسل يديه إلى أعلى من المرفق كما يقول المثل الإيراني، ولم يعد أمامه أيّ سبيل لرفع المعاناة وبعد إخفاق اتفاقيات السّلام سوى الانتفاضات الشعبية والمقاومة الإسلامية والوطنية،

«فنهض الشعب الفلسطيني وبادر من جديد ومن فوق تراب وطنه المحتل، بانتفاضة ثورية جديدة، مستوعباً لكل دروس التجارب النضالية السابقة وعِبَر ها، عربياً وفلسطينياً، ومدركاً كل ما أفرزته تجارب الصراع ضد إسرائيل من وقائع، وما كشفته من حقائق.

لقد تمكنت الانتفاضة، منذ بداياتها عام (١٩٨٧م) بما حددته من أهداف واضحة، وبما أبدعته من أساليب نضالية لتحقيق هذه الأهداف، من تأكيد قدرتها على الاستمرار والنمو كحقيقة ثورية ميدانية تستطيع فرض واقع جديد على سيرة الصراع[١]» جاءت الانتفاضة على شكل فيضان من الفداء والتضحية والاستبسال. فكان لها وقعها المدوّي في كل مكان، وصورتها المشرقة المتميزة في لوحة الغليان الشعبي المسلح بالصدور والزنود، والحجارة[٢]، وأدرك الشعب الفلسطيني أنه ليس وحده في مواجهة الاحتلال والصهيونية ولذا هتف في مسيرته الثورية للتضامن الإسلامي والعربي: خيبر خيبر يايهود/ جيش محمد سوف يعود.

في ظل هذه الظروف برز شعر القدس بشكل أقوى وأصلب من السابق ليؤدي دوره في انتفاضة القدس، لقد ساهم الشاعر بل الأديب بالمعنى الأعم في معركة الانتفاضة، ومن منطق الإحساس بالمسؤولية إذ هو أقرب من غيره لضمير الشعب والأمة، فرصد أحداثها اليومية من جانب، وأعطاها حيوية رامقة من جانب آخر.

لقد هبّ شعراء القدس ـ في سورية ولبنان وفلسطين ـ ولما عانوا من وطأة الاحتلال يضمّنون قصائدهم روح الجهاد، والمقاومة، والتحدي، وبعبارة أشمل: روح الانتفاضة، فتغنّوا بها وبأهدافها وبوسائلها، شابحة أعينهم نحو

---

١. *الموسوعة الفلسطينية*: ٦ / ٩٧٧.

٢. طلعت سقيرق، *الانتفاضة في شعر الوطن المحتل*: ص ٢١.

القدس، فالشاعر هارون هاشم رشيد يصور أبطال الحجارة في قصيدة (ثورة الحجارة ـ ١٩٨٨م) فيقول:

لَـمْ يَبْـقَ غَيْـرُكَ أَيُّهـا الحَجَـرُ ... فَقَـدْ تَخَلَّـت جُمُـوعٌ أَحْجَمَـتْ زُمَـرُ
عِشْرونَ عاماً.. وإنّي في انتظارِهُمُوْ ... تجـذرا فـي ترابـي يَـشْمَخُ العُمـرُ
والقـدسُ صـاخبةٌ، تعلـو بـصرختِها ... اللهُ أكبـرُ: فيهـا هاتفـاً عُمَـرُ
وفـي القيامـة، و الأقـصى.. مواكبنـا ... لمـا تـزلْ، بنـداء الحـقّ تـأتمرُ
أسطورةُ المجدِ أطفالُ الحجارة فـي ... هـذا الزمـان الـذي يهـوي وَيَنْكَسِرُ
أسطورةُ المجد، ما جَادَ الزمانُ بما ... جـادت بـهِ طفلـةٌ فـي كفّهـا حجـرُ
وإنّـه النـصرُ آتٍ تلـك قولتنـا ... فالليـل، لابـدّ هـذا الليـلُ ينحـسِرُ
قـد قالهـا، الـشاعرُ الـشّابي مـن زمـن ... لابـد.. لابـد أن القيـدَ ينكـسرُ[١]

فيرى الشاعر هارون والذي سمّى أحد دواوينه الشعرية باسم «ثورة الحجارة» أنّ أبواب تحرير القدس مغلقة إلاّ باب الانتفاضة، فإنه مفتوح على مصراعيه، فبعد أن لم ير جدوىً لحلّ قضيته على يد أنظمة أمته الإسلامية والعربية، يبتهج لانتفاضة شعبه وأبطالها، لاسيما أطفال الحجارة الصغار سنّاً، الكبار فكراً ونضالاً. فصوّر الشاعر «ملامح الطفل الفلسطيني بأنها معجزة، حين انبثقت بشكل مثير ومدهش لتكون صورة الصور بدون منازع. فمن الطبيعي أن تحتل الانتفاضة مكانة خاصة في وجدان شعراء أبناء تراب فلسطين، إذ الظلم الذي تجرعه الشعب الفلسطيني جعل شاعر القدس يتغنى لحجر يقذفه أبابيل القدس ليحرق قيود الاحتلال، ويحطّم أُبّهة الجيش الذي لا يقهر، فيتركه كعصف مأكول، فيصوِّر الشاعر الانتفاضة التي اتخذت من العقيدة والقرآن منهجاً لها، إعصاراً عصف بالصهيونية وجذورها فهو ماض إلى أن

---

١. هارون هاشم رشيد، *ثورة الحجارة*: ص ٤ ـ ١٠.

يجرف العدو المحتل ويعيد الأرض وقدسها إلى أهلها، وذلك لما في الحجر من رموز ودروس للمقاومة والنّضال، فالجرح أخذ يلتئم وهذا مما يزغرد له. ففي مثل هذه الظروف المبتهجة للحياة والحرية والتحدي، تفجّر شعر القدس ليقذف الكلمة لتكون من سجّيل ويضمها إلى جانب الحجارة ممجّداً فتيانها الغاضبين على الاحتلال الصهيوني. هذا ما نشاهده في قصيدة هارون هاشم رشيد (وردة على جبين القدس ـ ١٩٨٨م) قائلاً في بعض أبياتها:

وَقَفَ الفَتى، والقدسُ ملء عيونِهِ ... تبدو القبابُ مشوقةً والمسجدُ
«الله أكبرُ» ثمَّ أتبعها الفتى ... بالانتقامِ مزلزلاً يتوعدُ
سَلِمتْ يدٌ عرفت طريقَ مَسَارها ... وتحكّمتْ فيهِ فَلانَ المِقْوَدُ
مِنْ خَالِقٍ، ألقى بهم لحَضيْضِهِمْ ... للموتِ يطوي جمعهمْ، ويُبَدّدُ
حجرٌ إلى حجرٍ، وتمضي ثورةٌ ... شعواء عارمَةٌ تَضِجُّ وتُرعِدُ
الانتفاضَةُ منذُ شبَّ لهيبُها ... هيهاتَ تهدأ نارُها أو تُخمدُ
هو فعلهم يرتدُّ مشنوماً لهم، ... وبِمثلِ ما كالوا نَكيلُ ونوردُ[١]

فالشاعر (هارون هاشم) معجب كل الإعجاب وفي الوقت نفسه متفائل لثورة هؤلاء الفتيان، فالانتفاضة عنده ما هي إلاّ ردّة فعل على الظلم الذي حل بالشعب الفلسطيني على يد الصهيونية الحاقدة، فهي الآلة التي تستطيع أن تطوي بساط الاحتلال إذ «أن التوحدّ مع الأرض عشقاً وعطاءً وشعوراً، أعطى الانتفاضة كل هذه القدرة على التحدي والمواجهة والوقوف في وجه الاحتلال.

فالانتفاضة هي كل هذا المخزون الهائل من الإمدادات اللانهائية في الأرض والطبيعة وجغرافية المكان، في كل جريان الدم والشهادة والخصب.

---

١. هارون هاشم رشيد، *ديوانه (وردة على جبين القدس)*: ص٣٨ ـ ٤٢.

الانتفاضة كانت كلّ هذا وسواه في نهوضها شموخاً قوة وتصميماً وإرادة».[١]

يشتدُّ إعجاب الشاعر هارون هاشم رشيد وتفاؤله بالمستقبل بعد الثمار التي جنتها الانتفاضة فاندفع ليرسم صورة تعبر عن شدّة حبّه ومشاركته لمستقبل لاح بالأفق فجره، ففي قصيدته التي حملت اسم (قصيدة الانتفاضة ـ ١٩٨٨م) يقول في أبيات منها:

الانتفاضـــةُ، إعـــصارٌ، وعاصـــفةٌ ... وَهبّــةٌ، أشــعلتْ فــي أرضِـنَا اللَّهَبــا
أتــتْ، إلـى الغَاصِـبِ المُحتـلِ توقظُـهُ ... علـى هــديرٍ، علـى أبوابـه اصْـطَخَبَا
الانتفاضـــةُ، زلـــزالٌ، وملحمـــةٌ ... وثــورةٌ تتحــدى، الجــيشَ، والغُرَبــا
أتت كما الفجر، من أعماق داجيةٍ ... ســوداءَ، تبتكــرُ التَّــصميمَ، والغــضبا
يمتــدُّ مــن غــزةَ الــشَّماء لاهبُهــا ... للقـــدس مُنْـــدفِعاً، ومُنْـــسرِبَا
وتعتلــى فــي جبــال النَّــار شُــعْلَتُها ... تعيــدُ فيهــا زمانــاً رائعــا حــصِبا
لنــا.. لنــا الأرضُ، آمــالٌ مقدّســةٌ ... علــى ثَراهــا نثرنَــا الجُــرحَ منــسكَبا[٢]

إن الفرح الذي يظهر في قصائد شاعرنا «هارون» جاء نتيجة واقع فلسطين ورمز انتفاضتها القدس الشريف ليفرض هذا اللوّن من الشعر النضالي على الشاعر، فهو يستمد القوة من آماله ويقينه بالنصر العاجل، إذ الأرض المحتلة انتفضت، فأصبحت لظى جهنّم يُلهب العدو المحتل، وتبثّ البهجة في النفوس، وتُبدد سحب اليأس لتشرق شمس الضحى وينطوي ليل الدجى. فالمشاعر التي يحملها إلينا الشاعر تحمل روح الوطنيّة الخالصة وحبّ فلسطين والقدس. فالصورة التي يقدمها لنا «هارون» هي صورة تحمل عنوان الشموخ والثورة والإصرار وتحدي العدو رغم عمق الجراح، وتقديم

---

١. طلعت سقيرق، *الانتفاضة في شعر الوطن المحتل*: ص ٢٩.

٢. هارون هاشم رشيد، *ديوانه*، *وردة على جبين القدس*: ص ١١٩ ـ ١٢٠.

الشهداء، لأن حضن الموت الدافئ يحمل دلالات وأحاسيس تشعر باستمرار النهوض، ومن هنا نجد الشاعر نجيب جمال الدين في قصيدته (غابوا مع الشمس ـ الثمانينيات) ينشد قائلاً:

غابوا مع الشمس..
ظَنَّ الوردُ قد ناموا
تنفَّضَ الوردُ
منْ أوراقه قاموا. ليلُ الحسين:
على أجفانهم مزَقٌ
صبحُ المسيح
مساميرٌ وأورامُ
سُقراط موجُ دماءٍ
في بحورهُم
ياَللربانيين!
غطّاسٌ وعوّامُ ويُرشفونَ لُهى الأحجار
من دَمهم
فاسلمْ دَويٌّ
لهى الأحجار ألغامُ غابَ الجميعُ
سوى آثار صاعقَةٍ
تقولُ:
مرَّرتْ لهُمْ في القُدس: غيفارا.. فيتنام.[١]

للشمس خصوصية حصرية، وهي تغيب عن الأنظار ثم تعود ليبزغ الفجر مع شروقها، فالورد الذي يكتسب حياته منها، ولاسيما عبّاد الشمس دائماً

---

١. نجيب جمال الدين، *الكتابة على أعمدة الشمس*: ص ١٢٥ ـ ١٣٦.

يخشى غروبها، لكن سرعان ما يبتهج عندما يرى الظلام يلملم أكنافه، فالشاعر نجيب يقدم لنا نفس الصورة لشهداء الحرية والمظلومية والانتفاضة الفلسطينية، فإنهم قد تختفي معالمهم، ولكن لم ولن يموتوا، فهاهو الحسين بن علي عليه السلام وهاهُوَ المسيح بن مريم عليه السلام، هاهُوَ سقراط الحكيم، كلما مرّت الأيام اشتدت مصابيحهم نوراً وازداد سبيلهم وضوحاً، وهكذا شهداء ثورة الحجر فنار انتفاضتهم قد تكون تحت الرماد لكنها سرعان ما يعلو لهيبها حتى تعود القدس إلى أهلها.

حينما هبّت الانتفاضة الثانية في صباح يوم الخميس (٢٨/٩/٢٠٠٠م) التي كانت شرارتها زيارة شارون للمسجد الأقصى وعندما التهبت فلسطين وعلى رأسها القدس في اليوم الثاني، الجمعة (٢٩/٩/٢٠٠٠م) حفل الزمان بالآمال والتفاؤل وإلى يومنا هذا فانعكس في شعر القدس لتبقى وما أكثر القصائد التي تكتنز هذا المضمون إذ عرض أكثر من شاعر لموضوع الانتفاضة، والحجر والحجارة... فألّفت دواوين وأُنشدت مئات القصائد وكُتبت عشرات الكتب، وهذا أكبر دليل على التفاؤل بتحرير القدس عبر انتفاضة أشبالها، إن لم يثمر السلام.

ويمكننا في نهاية بحثنا ودراستنا في هذا الفصل أن نشير إلى بعض النتائج التي توصلنا إليها ومنها:

أولاً: استمد شعر القدس السياسي في الفترة الزمنية ما بين عام (١٩٤٨ - ٢٠٠٠م) مادّته الشعرية، من أبرز الأحداث السياسية والوطنية والعسكرية، ومن مستجدات الظروف والانتفاضات العارمة في القدس وفلسطين، فكانت القصائد التي تناولت القدس - في الفقرة الآنفة الذكر - تشبه قصائد الفصل الأول لاسيما المحور الأول والثاني والثالث منه إذ أنها نجحت في تحريك الحدث في القصيدة وتحريك المكان الذي لم يظهر ساكناً أو جامداً من خلال تناولها

مدينة القدس وقضية القدس كرمز بارز للوطن المحتل فلسطين العزيزة.

ثانياً: صورة الالتزام تبرز واضحة المعالم في كل هذه المحاور لاسيما المحور الأخير ـ القدس وانتفاضة التحرير ـ إذ ظل قلب الشاعر معلّقاً بالقدس وفلسطين، فهو يرى في الانتفاضة سبيلاً من سُبُل التحرير والوصول إلى الحرّية الضائعة.

ثالثاً: بادر شعراء القدس بالتحريض على الوحدة العربية، مؤكّدين على تحرير القدس من خلالها، قاذفين أعباء اللّوم على معارضيها والمتهاونين بها، حيث كان ذلك السبب الرئيس في ضياع القدس.

رابعاً: قد هاجم جلّ شعراء القدس ـ في محور البحث ـ دعاة السّلام مؤكّدين أن تحرير القدس والأرض المحتلة لا يكون إلاّ عبر نيران السلاح وسواعد الرجال حيث أصبح ـ حسب معتقدهم ـ السّلام أوهاماً ليس إلاّ، وذلك نتيجة إصرار العدو على الاحتلال، وتعنّته في العملية السلمية لأكثر من مرّة، والمفهوم من نصوص شعرهم أنهم ليسوا ضد السّلام العادل الذي يعيد الحق إلى أهله، بل ضد الاستسلام، إذ يأبى الله ورسوله والمؤمنون.. والأحرار ذلك.

خامساً: من أبرز الشعراء تحمّساً وأكثرهم قصائد في هذا الفصل ـ الدواعي والاتجاهات السياسية ـ هو نزار قباني، إذ كرّس معظم شعره بعد نكسة حزيران (١٩٦٧م) لقضية القدس، ثم يأتي بعده في المرتبة الثانية هارون هاشم رشيد.

سادساً: منذ أن بدء محمود درويش ونزار قباني مسيرتهما في الشعر السياسي، «أفسحت الحياة السياسية الفلسطينية المليئة بالأحداث، المجال للشعر السياسي الفلسطيني ـ بما فيه شعر القدس السياسي ـ لكي ينوّع بعض الشيء في هذا الموضوع»[1]. نرى شعراء القدس تفاعلوا مع الحدث وتواصلوا

---

١. سلمى خضراء الجيوسي، *الأدب الفلسطيني المعاصر*: ص٨٦.

معه فرصدوا شعره السياسي على الصعيد الوطني والإقليمي، والعالمي، إذ نراه تأثّر بشكل واضح بالثورة الإسلامية في إيران والهزيمة الصهيونية في جنوب لبنان، ونلمس هذا في محور «القدس وانتفاضة التحرير» حيث أعطى القدس حيويّة وصموداً وتحركاً أكثر من السابق.

سابعاً: ترتيب قصائد القدس في هذا الفصل من ناحية الكم هي كالتالي: ١. محور القدس والضمير السياسي ـ أربع عشرة قصيدة ٢. محور القدس والسّلام ـ خمس عشرة قصيدة ٣. محور القدس وانتفاضة التحرير ـ ثمان قصائد ٤. محور القدس والوحدة العربية ـ ست قصائد.

جدول أهم قصائد محور «القدس والانتفاضة المقدسة» حسب الترتيب الزماني

الشاعر	الجنسية	عنوان القصيدة	التاريخ	المصدر	الصفحة
هارون هاشم رشيد	فلسطيني	وردة على جبين القدس	١٩٨٨	ديوانه	٣٨ـ٤٢
هارون هاشم رشيد	فلسطيني	الانتفاضة	١٩٨٨	ديوانه	١١١ـ١٢٠
نجيب جمال الدين	لبناني	غابوا مع الشمس	ثمانينيات	الكتابة على أعمدة الشمس	١٢٥ـ١٣٦
جميل علوش	فلسطيني	نشيد الانتفاضة	١٩٩٠	صوت الشعر	١٢ ـ ١٧
سليمان العيسى	سوري	الانتفاضة	١٩٩٠	الأعمال ج٤	٤٤٦
هارون هاشم رشيد	فلسطيني	هذا سلامهم	١٩٩٤	طيور الجنة	١٤٤
نزار قباني	سوري	أطفال الحجارة	تسعينيات	الأعمال ج٦	٢٠٣ـ٢١٦

الباب الثاني

صورة القدس الجمالية

١

الصورة الشعرية في شعر القدس

وقفة مع الصورة

١. مفهوم الصورة الشعرية

الصورة بما تحمل من مواد متنوّعة ما هي إلا انعكاس لما يتأثر به الشاعر نتيجة ما يدور حوله من أمور بيئية واجتماعية وأدبية وسياسية وأحداث يومية وغيرها، ثم تمتزج مع ذاته الشاعرة وتختلج مع وجدانه وأحاسيسه لتكون الثمرة إبراز مجموع هذه أو بعضها صوراً شعرية، فالصورة الشعرية هي مرآة لتلك التجارب التاريخية والاجتماعية والخياليّة والأسطورية لأهداف مقصودة ومتنوعة.

ولمّا كان للصورة الدور الكبير في إبراز المعنى وترسيخه في الأذهان عمد إلى استخدامها الشعراء الذين خدموا قضية القدس في شعرهم، إذ وظّفوا هذه الأداة في إيصال ما يجول في مشاعرهم حول القدس السلبية، ومن المعلوم أنّ أي أداة لكي تؤدّي وظيفتها على الوجه الأكمل والأتم لا بد أن تتوافر فيها مواصفات الجودة بأرقى درجاتها، وهذا لا شك فيه، لكن السؤال كيف استعان الشاعر بهذه الأداة لإحياء القدس، فهل أن الشعراء أجادوا في اختيار الصور التي تبيّن ما حلّ بالقدس؟ وهل للقدس صورة جلية وخاصة في شعر محور

البحث؟ هذا ما تحاول دراسة هذا الفصل التوقف عنده بعض الشيء.

الكل يعلم بأنه «ليست الصورة شيئاً جديداً فإن الشعر قائم على الصورة منذ أن وجد وحتى اليوم، ولكن استخدام الصورة يختلف بين شاعر وآخر، كما أن الشعر الحديث يختلف عن الشعر القديم في طريقة استخدامه للصور.[١]

وهنا لا بد من التنويه إلى معنى الصورة لغة واصطلاحاً وتحديد مناطقها في البحث وذلك لتسهيل الموضوع.

أمّا لغة فقالوا فيها:

الصورة تعني: الشكل، حقيقة الشيء وهيئته وصفته.[٢]

الصورة هي: الهيئة والشكل المحسوس.[٣]

الصورة هي: الجسم.[٤]

الصورة هي: التمثال.[٥]

الصورة هي: الشبح والمثال الشبيه بالتخيل في المرآة وما تميز به الشيء مطلقاً سواء كان في الخارج أو في الذهن.[٦]

الصورة هي: الوصف: صوّر الأمر، أي: وصفه وصفاً دقيقاً يكشف عن جزئيّاته.[٧]

وفي القرآن الكريم جاءت الصورة بمعنى التجسيم يقول سبحانه ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٨] وكذلك

---

١. إحسان عباس، *فن الشعر*: ص٢٣.
٢. *لسان العرب*، مادة «صوَر».
٣. مقاييس اللغة، مادة «صوَر».
٤. *تهذيب اللغة*، مادة «صوَر».
٥. *الصحاح*، مادة «صوَر».
٦. *محيط المحيط*، مادة «صوَر».
٧. *المحيط*، مادة «صوَر».
٨ آل عمران: ٦.

قوله تعالى ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾[١] وبما أن اللغة هي إحدى طرق تفاهم البشر فهي أيضاً وسيلة الشاعر الكبرى لتجسيم أفكاره وعواطفه وإبرازها بصياغته الخاصة ولغته الشعرية.

أمّا في المصطلحات الأدبية:

يظهر ومن خلال تتبع الموضوع أنّه لا يوجد تعريف شامل للصورة الشعرية، حيث «وسع مفهوم الصورة إلى حد أصبح يشمل كل الأدوات التعبيرية ... فالصورة في الشعر هي الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة، مستخدماً طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتراكيب والإيقاع والحقيقة والمجاز والترادف والتضاد والمقابلة والتجانس وغيرها من وسائل التعبير الفني».[٢]

إذن فالصورة لا تقف عند حدّ تختص في إبرازه «حتى قيل إن الصورة الشعرية أصبحت تحمل لكل إنسانٍ معنى مختلفاً كأنها تعني كل شيء»[٣] وإن دلَّ هذا على شيء فإنّما يدل على القيمة التعبيرية الخصبة للصورة التي أجاد الشاعر في انتقائها وتوظيفها.

٢. الصورة الشعرية في النقد الحديث

كانت الصورة الشعرية دوماً موضوعاً مخصوصاً بالمدح والثناء، وما زالت محل اهتمام الأدباء والشعراء، إنها وحدها التي حظيت بمنزلة أسمى من أن تطلع وتصل إلى مكانتها الشامخة باقي الأدوات التعبيرية الأخرى، والعجب أن يكون هذا موضع اتفاق بين نقاد ينتمون إلى عصور وثقافات ولغات

---

١. الانفطار: ٨.

٢. عبد القادر القط، *الاتجاه الوجداني في الشعر الأدبي المعاصر*: ص ٤٣٥.

٣. ريتا عوض، *بنية الشعر الجاهلي والصورة الشعرية لدى امرئ القيس*: ص ٣١.

مختلفة[١]، ولهذا أمكن القول بأن الصورة كيان أطول من التاريخ، فإنّ زخم الدراسات الهائل والكتب النقدية التي ركّزت على الصورة بالذات واتخذتها عنواناً لها، لخير دليل على مكانتها الجمالية والفنية، وذلك لأن أهميتها تكمن في تقديم الفكرة والرؤى والمعنى العميق من خلال الرمز والإيحاء بطريق غير مباشر بهدف التأثير الأعمق، ويؤكد هذا ما أشار إليه الناقد «أبو أصبع» إذ يقول: تكمن أهمية الصورة في بُعدها عن الأداء المباشر، وتقديمها الفكرة من خلال إيحاء وتركيز بهدف التأثير[٢]. وتكون أشبه شيء بالكناية أو الاستعارة أو التشبيه، فهي إضافة إلى بعدها الجمالي والفني تربط المعنى وتركّزه بصورة ظريفة في ذهن المتلقي، وأمّا سي دي لويس فهو يرى استعمال الصورة لا يتجاوز الخمسين سنة لكنّها حسب رأيه هي لب القصيدة إذ يقول: «إن كلمة ـ الصورة ـ قد تم استخدامها خلال الخمسين سنة الماضية أو نحو ذلك كقوة غامضة ... ومع ذلك فإن الصورة ثابتة في كل القصائد، وكل قصيدة هي بحد ذاتها صورة، فالاتجاهات تأتي وتذهب، والأسلوب يتغير كما يتغير نمط الوزن، حتى الموضوع الجوهري يمكن أن يتغير بدون إدراك ولكنّ المجاز باق، كمبدأ للحياة في القصيدة وكمقياس رئيس لمجد الشاعر[٣]. فالصورة عنده اللبنة الأساسية في القصيدة وركيزة الشاعر في شعره. ويرى ساسين عساف «أن الصورة قوة إدراك وقوة بناء. إدراك الحقائق، وبناء العالم الشعري. والشاعر يدرك إمّا بالمحاكاة وإمّا بالرؤيا، وتتم عملية البناء بتوضيح هذه الرؤيا وتجسيدها بالصورة»[٤] الشعرية بطريقة من شأنها أن تثير إحساس الآخرين وتؤثر فيه إذا استطاعت أن تسترجع شيئاً غاب أثره المباشر

١. الولي محمد، *الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي*: ص٧.
٢. صالح أبو أصبع، *الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة*: ص ٣٢.
٣. سيسل دي لويس، *الصورة الشعرية*، ترجمة أحمد نصيف الجنابي وآخرون، ص ٢٠.
٤. ساسين عساف، *الصورة الشعرية ونماذج ابداع ابي نواس*: ص ٢١.

عن الإنسان فهو لم يعد يدركه أو حتى يتخيله لولا الصورة. بينما يرى الدكتور مصطفى ناصف أن الصورة «تعبير عن نفسية الشاعر ... وهي تعينه على معنى أعمق من المعنى الظاهري للقصيدة»[١]. وهكذا اضطربت المصطلحات والروى النقدية بالنسبة للصورة الشعرية وأهميتها ودورها في الشعر «حتى غدت الصورة الشعرية محوراً خطير الأهمية في الدراسات الأدبية الحديثة، والحق أن تباين التعريفات أمر عادي في حقول الدراسات الإنسانية، والناقد الأدبي يتبيّن له بالممارسة أن الاتجاهات الشعرية لا يمكن إخضاعها لنظرية واحدة ومحدّدة ولا يمكن لنظرية كهذه أن توجد».[٢]

فالصورة في النقد الحديث اتسع معناها وشمل كل ما يؤثر في أحاسيسنا وعواطفنا ولم يقتصر على ما تراه العين وتلمسه اليد كما كان قديماً، فالأسلوب الشعري الحديث يستخدم أشكالاً من التعبير المتخيّل، لتوصيل الأفكار والعواطف، وذلك من خلال طريق التصوير، لا التعبير المباشر، فهي بناءً على هذا: «تركيب لغوي لتصوير معنى عقلي وعاطفي متخيّل لعلاقة بين شيئين يمكن تصويره بأساليب عدة، إمّا عن طريق المشابهة أو التجسيد أو التشخيص أو التجريد أو التراسل»[٣]. وعندي هي صياغة ما يرتسم في نفسية الشاعر من رؤى وأفكار وأحاسيس وعواطف، انفعالاً بشيء أو عمل ما، وذلك بواسطة ألفاظ وعبارات وتراكيب ورموز ومجازات واقعية أو خيالية يراد من خلالها تعميق وترسيخ معنى معيّن.

على كلّ حال فإن كتب النقد والدراسات المتنوعة وبنظرياتها المختلفة تدور رحاها جميعاً حول دور الصورة صياغة وأثراً وأسلوباً.

---

١. *الصورة الأدبية*: ص٢١٧.

٢. ريتا عوض، *بنية الشعر الجاهلي والصورة الشعرية لدى امرئ القيس*: ص٣٩.

٣. صالح أبو أصبع، *الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة*: ص ٣١.

المؤثرات في صور القدس في الشعر

١. المؤثرات القرآنية

من المؤثرات المهمة في صياغة صور شعر القدس القرآن الكريم الذي وظّف الصورة توظيفاً مدهشاً أذعن له وأقرّ به نقّاد الأدب المنصفون. لقد تأثر شاعر القدس بالصورة القرآنية فاتخذها مصدراً لرسم صورة القدس في مختلف شعره، وذلك بحكم نشأة الشاعر الإسلامية واتخاذه المنهج الديني المعتدل أساساً لمختلف شؤون حياته، إذ لابدّ للشاعر من وجود عوامل تربوية وثقافية قد كوّنت شخصيته وفكره، وأسهمت في رسم صوره الفنية، وحينما يضم تلك المضامين الإلهية بما تحمله من جمال ومعانٍ يصوغها من عواطفه وأحاسيسه، يؤجّج في المتلقي المشاعر ويعدّه لدرك ما يريد، ويزداد تأثر المتلقي كلما كانت الصورة ناضجة تامة قد توفرت فيها عوامل الإثارة والبعث والتحريك، فاستخدام الشاعر آية قرآنية في شعره، يمكن أن تغنيه عن كتابة أبيات، بل قصائد جمّة، وهذا ما نلاحظه في أكثر من ديوان وفي أكثر من موطن لدى الشعراء الذين انشدوا شعراً في القدس، كما نلاحظ التأثير القرآني في الصورة الشعرية في شعر القدس عند الشاعر نجيب جمال الدين، ولا غرابة في ذلك إذا علمنا التزام الشاعر بقيمه القرآنية والإسلامية، فكان الأثر واضحاً كما نشاهده في قوله:

وصِرْتُ أصْرُخُ ..
صَارَ الهَمُّ يَمضغُني
والشَّكُّ يَبلَعُني في لُجَّةِ الصَّخَبِ
وَما بَالِكَ
قلْ لي: ياأبا لَهَبِ
وَمَا سَمِعْتُ جَوَاباً مِنْ أبي لَهَبِ
تُرَى مُعَسْكَرُ دَاودٍ بجُعْبَتِهِ؟

أم رِحْلَةُ القُدْسِ؟ أمْ حَمَّالة الحَطَب؟[1]

الصورة القرآنية قد تنتقل إلى رمز نتيجة لشيوعها وتكرارها على الألسن، واستخدام الشاعر لتلك الآية ـ حمالة الحطب ـ رمز منح صورته الشعرية قوة تأثيرية كبيرة؛ وذلك لأنّ الصورة الجيّدة هي التي تستطيع إذابة الآية المتّكأ عليها في مناخها وإسقاطها مع الموقف والتجربة. حاول الشاعر أن يرسم لنا في هذه السطور وبهذه الصور البسيطة والتي اخذت أبعاداً رمزية، صورة مقاومة الحق والوقوف بوجه الأمة الإسلامية ونبيها الأكرمﷺ فعمد الشاعر إلى سورة «المسد» التي صوّرت لنا شدّة عداوة أبي لهب للدعوة النّبويّة الفَتيّة وزوجته أم جميل التي كانت تحمل الحطب وتحرقه في طريق الرسولﷺ.

ونرى الصور القرآنية في شعر القدس تبرز جليّة في السطور التالية من القصيدة نفسها:

فَدَارَةُ السلم .. أدري
سُورُهَا لَهَبٌ كَجَنَّةِ الله
إنْ تُعْبَرْ .. فباللَّهَب
من يبغِضُ السِّلمَ؟
لَكِنْ .. وَيْحَ طالِبِهِ
إن راحَ يَحْمِلُ مَعْنى ذِلَّةِ الطَّلَب[2]

وهذه الصور نلمحها في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾[3]

---

١. نجيب جمال الدين، *قصائد إلى عاصمة المدن الشرقية*: ص ٩٤.
٢. *المصدر*: ص ٩٥.
٣. الحديد: ١٣.

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾[1]. فالشاعر هنا وبالتصوير المباشر يستعين بالقرآن الكريم فيصوّر لنا السّلام بأنه لهب جهنم وذلّة لأنه خروج من جنّة الله تعالى. ففي هذا التصوير بيّن لنا الشاعر انزعاجه من السّلام في معاهدة كامب ديفيد آنذاك.

ومن هذا القبيل قول الشاعر حسن البحيري في قصيدته «منائر الهدى» قائلاً:

أيُّ رَكبٍ في مَنْهَجِ الحَقِّ سائرْ
مُشرِقِ المَجدِ .. مستنيرِ المآثِرْ
مِن ذَرَى «مُؤْتةَ» الطَّهورَ إلى «القُدسِ»
تجلّى به وضَاءُ المفاخِرْ
نَثَرَتْ عِزّةً وزهْوَ جَلال
سِدْرَةُ المُنتهى عَلَيْهِ الأزاهِرْ
وحدَاهُ الرُّوحُ الأمينُ بآياتِ
جِهادٍ مُنَزَّهاتِ الشَّعائرْ[2]

الصورة التي يقدّمها الشاعر مستندة إلى القرآن الكريم، هي تلك الصورة التي تقدّم الحقائق التي وقعت أو سوف تقع فتجدها تؤثر في مشاعر المتلقي بسهولة فائقة، فتصل إلى أعماقه؛ حيث «صاغ بها أفكاره، ومشاعره، ومعانيه، ورؤاه النفسيّة ويقدمها تقديماً جديداً يحمل خصوصيته الإبداعية، وتفرّده الذاتي»[3]. فحينما يشير إلى ألفاظ الآية «سدرة المنتهى» المأخوذة من قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾[4] التي رسم لنا من خلالها

---

١. محمّد: ٣٥.
٢. *لفلسطين أغني*: ص ٤٧ ـ ٤٨.
٣. هيفا عربية، *الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث، الاحيائية والرومانسية والمعاصرة*، مخطوط، ص مقدمة.
٤. النجم: ١٣ و١٤.

صورة المعراج ومشهده، فالنبي محمدﷺ بدأ ركبه بمعيّة جبرائيلعليه السلام من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم إلى السّماء، فمن هذه الصورة بادر الشاعر إلى رسم صورة ركب المجاهدين، فهم بدأوا رحلتهم من ذرى «مؤتة» وسوف تنتهي بالقدس وذلك تلبية لدعوة الحق، فبهذه الألفاظ البسيطة واستلهاماً من أسلوب تداعي المعاني تجلّت صورة القدس وركْبُ عشّاقها سائرٌ إليها.

وما أكثر المؤثّرات القرآنية في شعر القدس.

حيث لا نكاد نجد شاعراً لم يستعن بالقرآن الكريم، فنلاحظ الشاعر حسن البحيري كيف يوظّف القرآن المجيد والتاريخ في قصيدته (المسجد الأقصى) قائلاً:

أعندكم أنّني في لَيلِ غاشيةٍ ... رِيعَ القضاءُ لها واستَشْعَرَ القَدَرُ

وأنَّ «قُدْسي» ومِعراجي وأرضَهُما ... باتتْ بدهْمِ الرَّزايا السُّودِ تأتزرُ

فكادتِ «القبلةُ الأولى» وصَخْرتُها ... عن «الخطيم» ورُكْنِ «البَيْتِ» تنبَترُ

وزلزلت أُسسَ الإسلامِ نائبةٌ ... بَكتْ لها في طروسِ المُصْحفِ السُّوَرُ!

ألم تَرَوْا أنَّ مِحرابي ومِنْبَرَهُ ... وآيتي بِدِثارِ الغَمِّ تَدَّثِرُ[١]

فالشاعر استفاد من الكتاب الكريم لتدعيم صوره الشعرية التي أراد منها تنبيه بل تحريض الآخرين لما فيها من قوّة تأثير بالدلالة المباشرة أو بالتذكير ولو بالإشارة إلى اسم المصحف الشريف، وقد كثرت هذه المؤثرات بعد نكسة حزيران عام (١٩٦٧م) إذ الصدمة ألجأت الشاعر إلى الباعث والحافز الديني، لذا نراه أحياناً يستعين بالقرآن المجيد والتاريخ والتراث معاً ليجد خلاص قدسه من براثن الاحتلال، ونلاحظ الأسلوب نفسه عند الشاعر عبد الله يوركي حلاق إذ يقول:

---

١. *لفلسطين أغني*: ص٨٦ ـ ٨٧

رَتّلْتُ آيَ المُجدِ باسم محمَّدٍ فالمجدُ باسْم محمدٍ مقرونْ
ورأيتُ وحيَ الله في آياتِهِ وَعَرفْتُ قلبَ الصخرِ كيفَ يلينُ
الفارسُ العربي لم تجمح به فرسُ الجهادِ ولم تُخِفْهُ مَنونْ
نظرتْ إلينا القدسُ نظرةَ عاتبٍ وَنَعَتْ تخاذُلَ رأينا اللطرونْ[١]

فاستفاد الشاعر من التأثير القرآني في القلوب وقرنه بإنجازات النبي الأكرم محمدﷺ لعله أراد أن يقول إنّ الإنسان المسلم من الأحرى به أن يقتدي بالرسول الأعظم ويقرأ أوراق المجد مرة أخرى، وليلين قلب الإنسان ـ عموماً ـ لما حل بالقدس وشعبه وبالإنسان الفلسطيني، فتداعي المعاني رسم للشاعر صورة مستاقة من القرآن وصاحبه، والأثر واضح.

وأما نزار قباني فيعرّج في قصيدته (هوامش على دفتر النكسة) نحو القرآن الكريم ليستعير من بعض ألفاظه ليصوغ صورة يجعل منها قاعدة تدّل على القانون الإلهي في خلقه وهي ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[٢] قائلاً:

ولا تَلْعَنُوا السمَّاءْ
إذا تخلَّتْ عنكمْ
لا تَلْعَنُوا الظروفْ
فالله يؤتي النصرَ من يشاءْ
وليسَ حدَّاداً لديكُمْ ..
يَصْنَعُ السُّيوفْ[٣]

---

١. *أسديات*: ص ٧١ ـ ٧٢.
٢. محمّد: ٧.
٣. *الأعمال السياسية*: ٣ / ٨٠ .

فالشاعر بهذه المؤثرات القرآنية يستنكر عمل الذين يرفعون أيديهم نحو السّماء بدون عمل، لأنّ هذا خلاف الأصل القائل بأن الحركة من البشر والاستعانة بالله تعالى.

في هذا المضمون أيضاً قول الشاعر هارون هاشم رشيد في قصيدته (عربية عربية)، قائلاً:

لبيك يا قدس السّلام ومرحبا	بالعاديات، وويل من لا ينفر
فإذا حصون الغاصبين تُهدّمُ	وإذا حشود الدارعين تبعثر
دُحروا وأذيال الهزيمة خلفهم	وبمثل ما جاؤوا إليك تقهقروا
ما عاد منهم شارد أو وارد	مرّ الزمان عليهمُ وتحجّروا[1]

فالشاعر استعان بأسلوب التشخيص التصويري، إذ خلع الصفات الإنسانية على مدينة القدس وهي تستنجد بالّذين آمنوا بالجهاد والنضال، ومن هنا أشار الشاعر إلى سورة العاديات وما تتضمن من أوصاف المجاهدين وغبار المعركة عندما تصول خيولهم نحو العدو ثم أخذ يقرع ويؤنب أولئك الّذين لم ينفروا في سبيل الله تعالى لنصرة القدس، وقد استوظف آية النفر[2]

﴿يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ • إِلَّا تَنْفِرُوا يعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

ونجد الأمثلة الكثيرة في شعر القدس تصبّ في هذا المصب، فدأب الشعراء على التقاط الألفاظ والآيات القرآنية وقد أجادوا في توظيفها في صورهم الفنية مما زاد شعر القدس جمالاً ومعنويةً.

---

١. *مفكرة عاشق*: ص ١٠٢ و١٠٣.

٢. التوبة: ٣٨ و ٣٩.

٢. المؤثرات التاريخية والتراثية

لقد عمل شاعر القدس وعمد إلى استنفار العديد من السور والآيات القرآنية واستدعى تاريخ الأمة العربية والأمة الإسلامية، شخصيات وأحداث ومواقف وبطولات تركت أثرها الكبير على نفس المتلقي، إذ حاول شاعر القدس ربط حاضره المتردّي بماضي أمّته المشرق ليعود التاريخ نفسه أو أفضل منه، لذا توقّف عند رسول الله ﷺ صانع المجد الأكبر والتاريخ الأعظم وخلفائه وأصحابه والأبطال مرّة، وعند الوقائع التاريخية والتراث مرة أخرى حيث كان لها الصدى في نفس الشاعر وصياغته الشعرية، إذ يرى بأن العودة إلى التاريخ يمكن أن تعود بالأمة إلى رشدها وتقتل اليأس الذي راح يقطّع مفاصلها لتصبح في متاحف التاريخ، ونلاحظ هذا في قصيدة الشاعر «بدوي الجبل» قائلاً فيها:

هلْ دَرَتْ عَدْنٌ أنّ مَسْجدَها الأقْـ ... ـصى مكانٌ من أهلِه مهجورُ
أينَ مسْرى البُراق، والقُدْسُ والمهْـ ... ـدُ وبيتٌ مُقَدَّسٌ معمورُ؟
لم يُرَتَّلْ قُرْآنُ أحْمَدَ فيه ... ويُزارُ المَبْكى ويُتلى الزَّبُورُ
طُويَ المصْحَفُ الكريمُ، وراحتْ ... تَشاكى آياتُهُ والسطورُ[1]

فالشاعر كما نلاحظ وظّف الشخصيات التاريخية وعلى رأسها «النبي محمد ﷺ»، والتي كان لها ارتباطها الخاص بالقدس الشريف، بعد ذلك عمد «بدوي الجبل» إلى التساءل بأداة «هل» ثم تساءل بأداة «أين» في هذا المقطع متسائلاً بها عن ضياع بيت المقدس، والمسجد الأقصى، ومسرى البراق، وكنيسة المهد وهتك الحرمات وإبادة المدن والقرى. فالشاعر صوّر بُعد الأمة العربية والأمة الإسلامية عن تاريخها وأمجادها وحضارتها، وحاول

---

١. *الديوان*: ص ١٩٥.

أن يستعين بالتاريخ وعن طريق رسم الصور البسيطة وبأسلوب التشخيص إعادة الأُمّتين إلى رشدهما وسؤددهما.

ونشاهد الشاعرة فدوى طوقان في قصيدتها «إلى السيد المسيح في عيده» تستوظف شخصية السيّد المسيح ﷺ وعيد ميلاده لتعطي الصورة المناسبة للقدس قائلة

يا سيّد، يامجد الأكوان
في عيدك تُصلَبُ هذا العام
أفراحُ القدس
صمتت في عيدك يا سيّد كلٌّ
الأجراس
من ألفي عامٍ لم تصمتْ
في عيدك إلّا هذا العام
فقباب الأجراس حدادٌ
وسوادٌ ملتفٌ بسواد
القدس على درب الآلام
تُجلَد تحت صليب المحنةِ
تُنزفُ تحت يد الجلاّد
ثم تقول: لم يرفع في المحنة شمعة
لم يذرف حتى دمعة
تغسل في القدس الأحزان.. .[1]

تقدّم الشاعرة مجموعة من الصور البسيطة والمتصلة ببعضها لتقدم صورة كلّيّة مركّبة تتمثل بتصوير مدينة القدس وهي غريقة بالأحزان والمحن،

---

١. *الليل والفرسان*: ص٣٢ ـ ٣٤.

تعيش حالة الاحتضار على يد الجلاد، وذلك في عيد ميلاد المسيح ﷺ، فكأنّ هذا الحزن ظلمات فوقها ظلمات وقد لف «القدس» بجلباب أسود يشيع في الروح كدراً واكتئاباً، والكل حتى القباب والأجراس لبست السواد حداداً عليها، فالشاعرة ـ فدوى ـ جسّدت الأفراح ودق الأجراس في الأعياد مصلوبة بيد العدو وقد حلّ محلها الرعب والموت والفزع، ثم تصوّر الخفقان الذي ألمّ بالقدس فجعلها مدينة أرواح وأشباح ـ لم يرفع في المحنة شمعة/ لم يذرف حتى دمعة ـ موقف العدو رهيب مستمر، كأنّ الحزن سرمدي أبدي.

وفي إطار التجارب التاريخية نجد أهمّية وقائع التاريخ البارزة وشخصياته الفذة، مادة أساسية استقى شاعر القدس صوره الشعرية منها، ومن هذا المنطلق حاز أهل بيت النبوّة عامة والإمام الحسين ﷺ خاصة عناية فائقة من الشعراء، لما لمسوه من تلك الشخصيات من أثر في النّفس الإنسانية وذلك بفضل تضحياتها وجهادها ودفاعها عن الحق والحقيقة، ففي ذكرها واستحضارها شدٌّ لعرى الأمّة الآخذة بالانفصام وحضّ على المقاومة ونصرة المظلومين، ومن هذا القبيل قول الشاعر نزار قباني في قصيدته (منشورات فدائيةٌ على جدران إسرائيل):

نَأتي ..
بكوُفيَّاتنا البيضاء والسوداءْ
نرسُمُ فوق جلدكُمْ
إشارةَ الفدَاءْ
مِنْ رَحِمِ الأيَّام نأتي كانبثاق الماءْ
من خَيْمةَ الذُلّ التي يعلكها الهواءْ
مِنْ وجَعَ الحسين نأتي ..
من أسى فاطمةَ الزَهْراءْ ..

مِنْ أُحُدٍ نأتي، ومن بَدْرٍ ..
ومن أحزان كربَلاَءْ
نأتي .. لكي نصحِّحَ التاريخَ والأشياءْ ..
ونطمسَ الخوفَ في الشوارعِ العبريّةِ الأسماءْ .. .[1]

شاعرنا نزار قباني يصوّر الإنسان العربي، والإنسان المسلم وعلى تعدّد تياراته وانتماءاته وبما يحمل من أفراح وأحزان - بكوفياتنا البيضاء والسوداء - كيف يشق الزمان ويتدفّق كالشّلالات نحو العدو، ليصنع من ذلّ الهزيمة نصراً، فسرعته وقوته تشبه المياه الجارفة. ثم الشاعر يستدعي التاريخ وشخصياته بما تحمل من رموز وإشارات ليقدم لنا صورة تمكننا أخذ الدروس والعبر من التاريخ؛ وذلك لتصحيح التاريخ وصنعه من جديد والسير في طريق التحرير لإعادة القدس إلى أهلها، فالشاعر استغل أكثر من أسلوب - التجسيد - التشبيه - التجريد - تداعي المعاني.. لصياغة هذه الصورة الراقية، ثم كرر الأداة «من» الابتدائية أكثر من ست مرّات لعله تأكيد على صواب المكان المنطلق منه، وتكرار الشاعر فعل المضارع «نأتي» لعلّه دليل على وقوعه وحتمية القدوم، وهكذا «يستلهم الشاعر أوجه التشابه بين أحداث الماضي ووقائع العصر وظروفه إن سلباً أو إيجابا، وهو في هذا كله يطلق العنان لخياله لكي يكشف عن صدى صوت الجماعة وصدى نفسه في إطار الحقيقة التاريخية العامة التي يبحث عنها، أو الموضوعات التاريخية الكبرى، التي تشكل حضوراً بارزاً في تاريخ الأمة دون الخوض في جزئيات صغيرة».[2]

ونلاحظ هذا عند الشاعر نفسه في قصيدة (إفادة في محكمة الشعر) قائلاً:

---

١. *الأعمال السياسية الكاملة*: ٣ / ١٩٧.

٢. إبراهيم نمر موسى، مجلة *عالم الفكر*: رقم ٣٣، ٢٠٠٤، ص ١١٧.

مــرّ عامــانِ .. والمــسيحُ أســيرٌ فــي يــديهم .. ومــريمُ العــذراءُ ..
مــرّ عامــانِ .. والمــآذنُ تبكــي والنــواقيسُ كلُّهــا خرســاءُ
أيُّهـا الراكعـونَ فـي معبـد الحـرفِ كفانـا الـدُّوارُ والإغمـاءُ
مـزّقـوا جُبَّـةَ الـدراويش عـنكم واخلعـوا الـصُّوفَ أيّهـا الأتقيـاءُ
أتركـوا أولياءَنـا .. بـسلامٍ أيُّ أرضٍ أعادهـا الأوليـاءُ![1]

هنا توظيف الشاعر للتاريخ والتراث يختلف عمّا قبله، فهو يرى الزمان انطوى وما زالت المقدسات مكبلة تصرخ تحت وطأة الاحتلال، ولكن المصيبة الأكبر من هذا هي أنّ الناس ضلوا الطريق الصحيح، لهذا يعمد الشاعر إلى أسلوب السخرية والاستهزاء، فهو قدّم عدداً من الصور البسيطة والمترابطة محاولة منه لإيقاظ الجمهور وإعادته إلى النهج الأقوم والصراط المستقيم، وقريب من هذا أبيات قصيدته (مفكرة عاشق):

فلا خيولُ بني حمدانَ راقصةٌ
زهواً، ولا المتنبي مالئٌ حلَبَا[2]

وأمّا الشاعر كمال عبد الرحيم رشيد ففي قصيدته (أطفال الحجارة) يجعل المتلقي معجباً بالتاريخ والتراث والحضارة والشعب وحتى أرض فلسطين، إذ يقول:

ويعجب أهل الأرض كيف تجمعت لهـا عزمـات لا تـوازن حالهـا
هـي القـدس والأقـصى ومـسرى محمـدٍ بهـا بركـات الله، والله قالهـا
فلـسطين تـاريخٌ وديـنٌ، حـضارة وأرض وشـعب هـل عـرفتم جلالهـا[2]

استخدم الشاعر تاريخ مسرى النبي محمدﷺ وتاريخ فلسطين التراثي

---

١. نزار قباني، *الأعمال السياسية*: ٣ / ٤٠٦.
٢. *القدس في العيون*: ص ٤٣.

بما فيها المسجد الأقصى ثم استعان بالقرآن الكريم وبالذات آية الإسراء ـ تأييداً لكلامه ـ كي يصوغ صورة تبيّن قداسة وعظمة المكان.

أمّا الشاعر علي عقلة عرسان في قصيدة «أورسالم صباح الخير» يستخدم التاريخ لا ليوظّفه لخدمة التاريخ بل لإثبات التاريخ.

يا بنت كنعان .. وبيت اليبوسيّين،
يكذب تاريخٌ لا يحترم حقائقَ التاريخ،
يكذب ويسقط،
نعم ..
يكذب ويسقط؛
فعلى باب قلعة اليبوسيين، أجدادي، ما زال سيف الزمان
يقطر دماً،
يروي للآتين حكاية مهد حَضَنَكَ وسمّنَك وكبَّرك وفَدَاك،
وما زال الآتون من نسل كنعان ..
يجدِّدون، في كل زمان، عهدهم وعطاءهم لك ..
دماً وتضحيات، دماً وأضحيات. .
ليبقى اسمُك ونسبُك ونورك ومجدُك.
وليبقى انتماؤك لمن سوّاك وأنشأك وأرضَعَك ونمَّاكِ.
في القلب والعين أنت يا قدس .. .[1]

ففي هذا المقطع والمعنون «يا قدس» من قصيدته الطويلة عبّر الشاعر ومن منطلق رؤى تراثية وتاريخية استحضر من خلالها تاريخ القدس العريق لإثبات مدينة القدس، فهو كرّس الكثير من الصور الجزئية لهذا الغرض واستعان

١. *الأعمال الشعرية*: ص ٣٠٢.

بأسلوب التشخيص تارة وأسلوب الصورة المباشرة تارة أخرى، وقد استعان بالاستعارة وتداعي المعاني أيضاً. وما أكثر التوظيف التاريخي في شعر القدس.[١]

الصورة الوظيفية في شعر القدس

١. توظيف العاطفة

الشعر يخاطب الوجدان والعاطفة ويحيل الأفكار الذهنية إلى أحاسيس ومشاعر ويستخدم اللفظ. وللألفاظ دلالات عقلية ونفسيّة خاصة؛ وإدراكنا لها يتم عن طريق الشعور والعقل. وإدراك الألفاظ عقلياً يقف في طريق الشعر منساباً إلى نفوسنا، ومن ثمَّ يستعين الشاعر بأدوات الفنون المجرّدة ليغلّب الدلالات الشعورية للألفاظ على دلالاتها الذهنيّة، فهو يتخذ من إيقاع الوزن وجرس اللفظ، وموسيقى الأسلوب، وسائل ينفذ بها إلى عواطف سامعه أو قارئه، وهو أيضاً يستخدم طبيعة التصوير، فكما تعتمد اللوحة على الخطوط والألوان في إبراز إحساس الرّسام، تعتمد الصورة الشعرية على جزئيات مؤتلفة لو نظرت إلى كل منها مفردة لم تجد لها دلالة نفسيّة أو ذهنيّة كبيرة، ولكن باجتماعها ترسم لوحة شعورية متكاملة الجوانب[٢] وتكمن فاعلية الصور أساساً في تمثيلها للإحساس كما يقول أوستن وارين»[٣] فالشاعر النبراس مطالب بتصوير عاطفته وإحساسه في موضوعات شعره و«من ثم فإنّه لا يمكن

---

١. على سبيل المثال لا الحصر:
- كمال رشيد، *القدس في العيون*: ص ٣٢.
- يوسف الخطيب، *أرض المعاد*: ص ٥٩.
- محمود درويش، *أعراس*: ١ /٥٩١.

مما أود التنويه إليه في المؤثرات التاريخية والتراثية هو أنّ أكثر الوقائع ذكراً هي واقعة المعراج وأكثر الشخصيات ذكراً هو النبي محمدﷺ والسيد المسيح عليه السلام.

٢. الطاهر أحمد مكي، *الشعر العربي المعاصر*: ص ٨١ و٨٢
٣. أوستن وارين وصاحبه، *نظرية الأدب*، ترجمة محيي الدين صبحي، ص ٢٤١.

النظر في الصورة بمعزل عن نفسيّة الشاعر»[١] إذ أنها «تعبّر عن نفس الشاعر وإنها تشبه الصور التي تتراءى في الأحلام»[٢] . ونلمس هذا في قصيدة محمود درويش (بين حلمي وبين اسمه كان موتي بطيئاً) يقول فيها:

أموت ـ أحبك
إن ثلاثة أشياء لا تنتهي
أنت، والحب، والموت
قبلت خنجرك الحلو
ثم احتميت بكفيك
أن تقتليني
وأن توقفي عني الموت
هذا هو الحب
إني أحبك حين أموت
وحين أحبك
أشعر أني أموت
فكوني امرأة
وكوني مدينة
ولكن لماذا سقطت، لماذا احترقت
بلا سبب؟
ولما ترهلت في خيمة بدويّة؟
لأنكَ كنتَ تمارس موتاً بدون شهية
وأضافت

---

١. صالح أبو إصبع، *الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة*: ص ٣٥.
٢. إحسان عباس، *فن الشعر*: ١٦ / ٢٣٨.

كأن القدر
ينكسر في صوتها، هل رأيت المدينة تذهب
أم كنتَ أنت الذي يتدحرج من شرفة الله
قافلة من سبايا؟ هل رأيت المدينة تهرب
أم كنت أنت الذي يحتمي بالزوايا!
المدينة لا تسقط، الناس تسقط[1]

المرأة هنا هي المدينة المحتلة، هي القدس، هي حبيبته فاستخدم أسلوب تبادل المدركات فأعطى صفة المرأة للمدينة، لأن المدينة تضم الإنسان في حضنها ويسكن إليها وكذلك المرأة[2]، ففي هذا التجسيد استحضر المعنى الإنساني لمدينة القدس، وكأنها تدافع عن نفسها وتقاوم السقوط، لكن الذي جعلها تسقط بيد العدو هو ذلك الإنسان حينما تركها وهاجر ـ رغماً عن أنفه ـ دون أن يقاوم واحتمى بكفّي المدينة الصامدة، العاطفة التي يصورها «درويش» هي من الحبيبة ـ القدس ـ لا من الحبيب ـ الإنسان ـ فهو يبدو قاسياً مع حبيبته ويظهر أن بداية القصيدة غير منسجمة مع أواخرها؛ حيث رأى الشاعر الحب في البداية بأنه متبادل وليس كذلك في نهايتها. وقريب من هذه العاطفة نجدها عند الشاعر هارون هاشم رشيد في قصيدته (قصيدة للقدس) إذ يقول:

لِعَينَيها..
مَدِينَتِيَ الّتي سُجِنَتْ
لِمَسْجِدِها..
لأقصاها

---

١. *الديوان*: ج؟؟؟ / ٥٠١ ـ ٥٠٣.
٢. ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً...﴾ [الروم:٢١].

لِحُرمتِها الّتي انْتُهكَتْ
لَخِطْوِ محمّدٍ فيها
لما حَمَلَتْ
وما حَفِظَتْ
لمريمَ والمسيحِ
وكلِّ ماعَرَفَتْ ومَنْ عَرَفَتْ
لِعينيها..
مَدينتي التي اغْتُصِبَتْ
وَفَوْقَ جَبينها المَشْجوجِ
آيُ الله قد طُمِسَتْ
لها..
للقدس وهي تِئِنُّ
تحتَ سنابك الحقدِ
خُطى الغازينَ تَصْفَعُها
تُلطِّخُ جَبهَةَ المجدِ..
تَفُضّ الطُّهر عن عَينين
للصَّخرةِ والمهدِ..
لها..للقدس..
في الأسرِ المُذلّ
تَضِجُّ في القَيدِ
أنادي..
لو يَهُزُّ نَداي
لو يُسْمَعُ.. لو يُجْدي

أُنادي الإخوة الأحرارَ
مِنْ قومي.. ومِن جُندي[١]

إذا تتبعنا الصورة الشعرية المعبّرة عن عاطفة الشاعر «هارون هاشم رشيد» وحنينه الصادق في تلك الأسطر، نجد زفراته تحمل دلالات وأحاسيس مُرهفة محمولة لنا بألفاظ بسيطة وشفافة إلاّ أنها قويّة التعبير، لهذا نرى الصورة التي ساقها الشاعر تجعل الإنسان يعيش العذاب والآلام من جهة، ويشعر بمسؤوليةٍ تجاه القدس ومقدساتها من جهة أخرى، فالمكان ـ القدس ـ تحوّل إلى إنسان مكبّل في السجن، يئنُّ تحت وطأة الاحتلال، وقد هُتِكت حُرماته، وخفيت معالمه، وسحقت كرامته. صور تُبرزُ معاني تنزل على القلب والعقل كالصاعقة، تؤرّق الضمير وتمزّق الروح. هذه المأساة جعلت الشاعر يلحّ على وضع حدّ لهذا الوضع المؤسف، فهو سخّر معظم الأساليب ـ التجسيد ـ التشخيص ـ التجريد ـ تبادل المدركات و.. لصياغة صوره الشعرية، لكي يبرز شفقته وما تختلج في نواياه تجاه القدس ويبين حالها المأساوية وما آلت إليه، وهو غير واثق من صرخاته، بأنها تؤثر ايجاباً على قومه وإخوته، إذ كرر أداة «لو» أكثر من مرّة، حيث أنزلهم منزلة الأموات والجمادات.

ومن خلال متابعتي لشعر القدس وجدت أنّ توظيف العاطفة في صياغة صور القدس في الشعر، كانت ظاهرة صارخة لافتة لنظر المتتبّع، لاسيما شعراء فلسطين، أمثال: حسن البحيري، هارون هاشم رشيد، فدوى طوقان، يوسف الخطيب، سميح القاسم، أبو سلمى.

٢. توظيف الحياة اليومية

لابد أن تكون الصورة مطابقة تماماً للتجربة التي مر بها الشاعر لإظهار فكرة،

---

١. *الديوان*: ص٤٤٢ و٤٤٣.

أو حدث، أو مشهد، أو حالة نفسية، أو غير ذلك فكل صورة كلية، أو عمل أدبي يحدث نتيجة تجربة غامرت نفس صاحبها، وتفاعلت في جوانبها المختلفة، يمتزج الطارئ إليها بالمخزون فيها، حتى إذا ما اكتملت في نفسه، تتلاقى الأشباه، وتتآلف النظائر لعلاقة بين أجزائها.[1]

ومن هذا المنطلق «انفرد الشعر الفلسطيني بتصوير دقائق المحنة فلمس مناهج الإبادة ووسائل الضغط وأرقام الهجرة اليهودية وطرقها وأنواعها والمحافظة على الأرض ودعوة الزعماء للتضامن وحض على الثورة، وأشعل الحماسة وألهب الشعور»[2] ومن هنا يرسم لنا شاعر القدس صورة الحياة اليومية التي عاشتها المدينة وعاشها ذلك الفلسطيني المتعثر الحياة والمغلوب على أمره، وربّما كانت الهجرة والغربة أقسى أيام الحياة لذا نجد صورتها في شعر القدس عند أكثر من شاعر، فها هو «هارون هاشم رشيد» يتساءل عن الجرم الذي ارتكبه الفلسطيني فأصبحت أيامه أحزاناً ومحناً وآلاماً وشجناً حين يقول:

لماذا، نحن أغرابُ!؟
يمرُّ العامُ، إثرَ العامِ
يا أبتي..، بلاجدوى
فلا أملٌ، ولابشرى
سوى الآلام والشجنِ
سوى الأحزان والمحنِ
لماذا.. نحن في الخيمة
في الحرِّ، وفي البردِ؟
ألا نرجعُ للبيتِ

---

١. علي صبح، *الصورة الأدبية تاريخ ونقد*: ص ١٦٨.
٢. كامل السوافيري، *الشعر العربي الحديث*: ص ٣٥٨.

وللحقلِ، وللمجدِ؟
لماذا نحنُ في الألمِ؟
وفي الجوعِ وفي السقمِ
وفي البؤسِ وفي النقمِ
لماذا..؟
نحن يا أبتي؟
لماذا، نحن أغرابُ؟[١]

فالشاعر هارون هاشم رشيد استعان بالأدوات الاستفهامية وكررّها مرات ليقدّم الأسئلة المتتالية، فهو بهذا الأسلوب وأسلوب التجسيد أحياناً قدّم لنا عدّة صور، مباشرة ومترابطة بعضها مع البعض الآخر ليرسم لنا تصوير الطفلة الفلسطينية اللاّجئة، وهي تقيم في معسكر «البريج» حين تقدّم إلى أبيها عشرات الأسئلة المحرجة، تسأل عن القدس، عن الوطن، عن الأرض، عن.. عن سبب غربتها، آلامها، حزنها، سقمها، بؤسها، جوعها، غياب إخوتها، أحلامها، ضياعها، أيّامها السوداء، ليلها الداجي، عن..

فالصورة لوحة في غاية الروعة، صاغها الشاعر بألم صادق وقلب متكسر الأجنحة يصف بها وبشكل مباشر اغتراب الإنسان الفلسطيني الروحي والجسدي وحياته المؤلمة حيث استعمل الألفاظ التي تحمل في طياتها الحزن والألم، أمثال: الجوع، السقم، الحر، البرد، الخيمة، البؤس، المحن، الشجن.. فهي علاوة على دورها الغني في القصيدة تجعل روح المتلقي وعاطفته تتكيف مع المغترب الفلسطيني وتعيش أيّامها القاسية، ثم الشاعر تساءل، لماذا.. لماذا.. أكثر من ٢٣مرّة ليصوّر براءة المغترب المهجّر ويؤكّدها لدى

---

١. هارون هاشم رشيد، *ديوانه مع الغرباء*: ص٨ ـ ١٠.

ضمائر العالَم، أمّا تكراره الأداة «سوى» ثلاث مرّات فهو دليل على اليأس وخيبة الأمل ولكن سرعان ما يتراجع ليقول:

ولــــن يقتلنـــا جـــوعٌ ولـــن يرهقنـــا فقـــرٌ
لنـــا أمـــلٌ ســـيدفعُنا إذا مـــالوّح الثـــأر
فـــصبراً.. يـــاابنتي صـــبراً غـــداةَ غـــدٍ، لنـــا النـــصرُ[١]

ونجد الشاعر «زكي قنصل» في قصيدة «ربيب السوط» يضع يده على الجرح النازف محاولة منه لمعالجته، فهو يعتمد في تصويره على مأساة الحياة الإنسانية في القدس، إذ يقول:

أخي في الجرحِ هَلْ يُشجيك دَمْعي وهَـل يَعنيـك فـي الجلّـى هَـديري
تـشابَه دَرْبُنـا سَـهْلاً ووَعْـراً ولَـم يَخْـرُجْ مـصيرُكَ عـن مـصيري
مُـصابُ القُـدسِ أيقـظَ كـل صَـوت فهـلاّ قُمْـتَ يـا غـافي الـضمير
عـدوُّك لايَقِـرُّ لـه قـرارٌ وأنـت تَغُـطُّ فـي نَـوْمٍ قَريـر
زَفيـرُ اللاجئـينَ إلـى الثُّريَّـا ألا يَهْتَـزُّ قلبُـك للزفيـر؟[٢]

لقد اتخذ شاعر القدس «قنصل» من الصفات الإنسانية المشتركة موضوع الأخوّة وذلك لتصوير محنته ووحدته وما أصاب القدس، فهو يندب أخاه تارةً ويناديه أخرى، لأنّ صفات الأخوّة أعلى وأغلى ما يمتلكه الإنسان، لذا حين يرى الأخ أن أخاه قد أعرض بوجهه عنه وتراخى عن نصرته، وهو بأمسّ الحاجة إليه يأخذ في عتابه وتأنيبه، لاسيما إذا كان المصير واحداً وخطر العدو مشتركاً، نرى الشاعر كيف يستخدم المفردات السهلة التي تصل القلوب وتوقظ الضمائر، مباشرة، فلا غريب فيها ولا تعقيد وفي التعبير من

١. *المصدر*: ص١٣.
٢. زكي قنصل، *الأعمال الكاملة*: ص١١١.

المعاني ما لا يخفى من الرقّة ـ يشجيك دمعي ـ جلّي هديري ـ زفير اللاجئين ـ غافي الضمير.. وقد اعتمد الشاعر في صياغته على التعبير المباشر والتشخيص أحياناً في تقديم هذه الصورة، وهكذا يمكن متابعة عشرات الصور في مختلف الأبعاد، التي اعتمد شاعر القدس في رسمها على الحياة اليوميّة التي يحياها الإنسان في القدس وما يتصل بها من مادة، أمثال: الشجاعة والبطولة والشهادة والكفاح وكذلك في الوجه الآخر، أمثال: بشاعة العدو وهمجيته، وظلمه وقساوته، لذا نرى الشاعر نزار قباني يصرخ بوجه العالم أجمع ويطلب النجدة للمقدسات المشتركة بين الأديان السماوية قائلاً:

مَنْ يُنْقِذُ الإنجيل؟
مَنْ يُنْقِذُ القرآن؟
مَنْ يُنْقِذُ المسيحَ مّمن قتلوا المسيح؟
مَنْ يُنْقِذُ الإنسان[١]

نلاحظ «نزار» كيف استخدم الألفاظ والصور المباشرة والبسيطة، وكيف استخدم أسلوب الاستفهام وتداعي المعاني ـ القرآن ـ الإنجيل ـ المسيح ـ لما فيها من قداسة وما تحمل من رموز، وذلك ليبيّن قساوة الاحتلال وعداءه الشامل والعام.

ولكن نزار قباني لم يغفل عن قساوة قلوب الأصدقاء حين وجدهم يتغافلون ويتجاهلون عمّا تعانيه القدس وحياة الإنسان الفلسطيني المأساوية قائلاً:

كأنَّ جميعَ مَنْ صُلِبوا..
على الأشجار في يافا.. وفي حيفا..
وبئر السبع.. ليسوا من سُلالاتِكْ
تغوصُ القدسُ في دمها.

١. نزار قباني، *الأعمال السياسية*: ٣ / ١٦٣.

وأنتَ صريعُ شهواتِكْ
تنامُ.. كأنمَا المأساةُ ليستْ بعضَ مأساتِكْ
متى تفهْم؟
متى يستيقظُ الإنسانُ في ذاتِكْ[١]

تعاملُ الشاعر نزار قباني بالنسبة للقضية الفلسطينية واضحٌ؛ إذ هو كثيراً ما يستعمل التقريع والتأنيب ـ للأمراء وللشعوب على حد سواء ـ ففي هذا المقطع من قصيدته استند لما يحدث في القدس يومياً ليكرّس عدة من الصور المأساوية لعلها توقظ النيام، فهو استخدم «متى» الاستفهامية لما تحمل من مفهوم تقريع مباشر وأسلوب تراسل الحواس والوصف المباشر لتكون صورة القدس وصورة الإنسان الغافل عنها جليّة.

وأمّا الشاعر سليمان العيسى فهو يستخدم أفراح المناسبات كالأعياد ليصوغ صورة القدس الكئيبة وإنسان القضية الملتزم قائلاً:

أيُّ عيدٍ أتلقَّاه وأغدو
مَرِحاً أز هو على الكونِ وأشدو.
وبِلادي ألفُ جُرْحٍ يستبدُّ
وثرى القدسِ دَمٌ ما جَفَّ بعدُ
أيُّ عيدٍ أتلقَّاه رغيدِ؟
وعدوِّي مُديةٌ فوقَ وريدي.[٢]

فالشاعر استخدم الاستعارة ليرسم صورة جرح القدس العميق ثم شبّه العدو بالسكين وهذه السكين فوق وريده فهي كل لحظة من الممكن أن تقطع هذا الوريد وإذا كان كذلك فلا يبقى معنى للأعياد والأفراح. وفي هذا

---

١. *المصدر*: ص٦٨.
٢. سليمان العيسى، *الأعمال الشعرية*: ١ /١١٣.

المجال قصائد جمّة وعلى سبيل المثال يمكن الرجوع إلى القصائد التالية:

يوسف الخطيب، *عائدون*، ص ٧٢وص٥٩.

هارون هاشم رشيد، *طيور الجنة (قصائد للشهداء)*، ص ١٥٤.

زكي قنصل، *الأعمال الكاملة*، ص٢٧٦.

٣. توظيف الخيال

إنّ الصورة الشعرية محاكاة ذاتية لروح الشاعر، وما يرتسم في عقله وقلبه من خواطر وأحاسيس، إذ يقوم بتشكيل ذلك الركام من الأحاسيس والأفكار التي تتحاور وتتفاعل في أثناء عملية الإبداع، ومن أجل أن تكون الصورة الشعرية ناضجة، فلابد من أن يتسلح الشاعر بخبرات تأتيه من ثقافاته وأسفاره، واطلاعه واحتكاكه، وخياله المبدع، وتكوينه النفسي، وبنائه الاجتماعي، ولعل الخيال يعدُّ في مقدمة ما يحتاجه الشاعر في تشكيل صوره الشعرية، فهو قوة خلاّقة مبدعة، تعمل على استثارة الرصيد الثقافي عنده، واسترجاع الحالة الشعورية التي انبعثت عن التجربة، كما يقوم بخلق نوع من العلاقات الخاصة بين الأشياء الخارجية، وينتقي الأحداث ويختار المواقف الصافية التي تغذّي التجربة الشعورية ويعيد تنسيقها لتصبح قادرة على تصوير الحالة الشعورية[١]. «وهكذا أصبحت الصورة وسيلة نقل الفكرة والعاطفة عن طريق الخيال الذي هو أساس الصورة وعمدتها، وعليه المعَول في رسم ملامح الفكرة والعاطفة[٢]. و«الخيال هو المملكة التي يستطيع بها الأدباء أن يؤلفوا صورهم وهم لا يؤلفونها اعتباطاً، إنما يؤلفونها من إحساسات سابقة لا حصر لها، تختزنها عقولهم وتظل كامنة في مخيلتهم، حتى يحين الوقت، فيؤلفوا منها الصورة

١. عبد الحكيم حسان، *النظرية الرومانتيكية*: ص ٢٤٠.

٢. أحمد الشايب، *أصول النقد الأدبي*: ص ٢٤٣.

التي يريدونها، صورة تصبح لهم لأنها من عملهم وخلقهم[١]. والصور التي يسهم الخيال في خلقها وإبداعها تكون ذات طرفين؛ الطرف الأول هو الموضوع الذي تعايشه ذات الشاعر، والطرف الثاني هو المصدر الذي تستقي منه الصور مادتها وعناصرها[٢]. فالخيال لازم للأدب عموماً، وللشعر بخاصة، « فبدونه تصبح الحياة علقماً مر المذاق لا تطاق؛ لسبب بسيط: وهو أنها تفقد روحها، تفقد ما يحرك فينا حبّها، إذ تصبح أكداساً وأكواماً من الأحداث الزائلة التي لاتخلب لبّا، ولاتستهوي بصراً، ولا سمعاً»[٣]. والأحرى أن ننظر لموضوع الخيال عند شاعر القدس دون النظر لتقسيماته حسب المدارس الأدبية، ـ كلاسيكي وررومانسي ورمزي ـ المهم « ألا يكون الخيال برهانياً عقلياً، وأن ترتبط الصور الخيالية بالعاطفة، وألاّ يتنافى الخيال مع العقل، وأن يكون له دور في التشخيص والتجسيم، وأن يكون قادراً على الخلق، والابتكار»[٤] بأن يصوّر الحياة وما يدور حولنا ليأخذ المتلقي وينطلق به إلى عوالم الجمال والأكثر كمالاً. يقول الشاعر «علي عقلة عرسان» وهو يردّ على ادعاء اليهود ـ بأن إبراهيم كان يهودياً ـ مستعيناً بخياله لرسم بعض قصص الأنبياء وتصوير تلك المشاهد:

يبوس..
«أورسالم» ..
إبراهيم أبي، ما كان يهوديّاً يوما،
ولا كان كذلك ابناه إسحاق ويعقوب،

---

١. شوقي ضيف، *في النقد الأدبي الحديث*: ص١٦٧.
٢. إسماعيل أحمد العالم، *مجلة جامعة دمشق*: ١٨ / ص٨٨ .
٣. شوقي ضيف، *في النقد الأدبي*: ١٧٢ ـ ١٧٣.
٤. محمد غنيمي هلال، *النقد الأدبي الحديث*: ص٤٤٨.

وإسماعيل بن إبراهيم من هاجر حنيفاً مسلماً كان، ونَسْلُ
أبيه، لم يشرك بالله ولم يحتكر الله،
ولم يعلُ فوق الخلق باسم الله،
آراميون .. مسلمون.. حنفاء..
فكيف تصير لهم ألسنة تلوك خوارَ العجلِ الذهبي المدْلِجِ
في ليل التيه،
وليلٌ يصنعه التاريخُ،
ويصنع لليل التاريخ؟
وكيف تضيع رؤاهم في ليل العميان،
وكيف.. وكيف.. وكيف يا أور؟؟!
موسى الكليم أخذ بلحية أخيه هارون غَضَبَاً في صحراء
التيه، لأن العجلَ الذهبي الأجوفَ حلَّ محلَّ الله،
وصار إله التيه ومن في التيه.[١]

فالشاعر «عرسان» اقتبس من بعض الآيات معناها القرآني ونفخها في نصه الشعري لتشكل صورة جديدة تختصر الزمان وتضيف إليه مدلولاً قرآنياً مسلَّماً عند المتلقي لتصبح صورة القدس مستاقة من القرآن الكريم والعقيدة الإسلامية، فقوة الخيال في هذه الصورة استمدها الشاعر من الواقع أوّلاً، ومن ذاته ثانياً لربط أمور متباعدة بعضها ببعض، ومن خلال التعبير المباشر وتداعي المعاني، صاغ هذه الصورة التاريخية لأصالة القدس العربية والإسلامية، ليتبلور تاريخ اليهود الملطَّخ بالكذب والعصيان. ومن التجارب الشعورية المتخيلة ما نراه لدى الشاعر «هارون هاشم رشيد» حين يُحيّي الشهداء قائلاً:

---

١. *الأعمال الشعرية*: ص ٣٠٨ و٣٠٩.

فتحـت «فلـسطين» الحبيبـةُ صـدرها والطَّيِّبـون الخالـدون أفـاءوا
والمقـبلونَ إلـى الـرَّدى بـصُدُورهـم لبَّـوا، فـلا خـوفٌ، ولا اسـتخذاءُ
فـي «القـدس» إخوتُـهُ تلاقـى دَربُهـم بمَـساره، وتلاقـت الأشـلاءُ
أرواحُهُـم تَحْنـوُ عليـهِ تَـضُمُّهُ مِـنْ شـوقها الأكبـادُ والأحـشاءُ
والـخالِدونَ عَوَاكِـفٌ مِـنْ حولـهِ، يتحلقـون، وتُنْـشَرُ الأضـواءُ
صـلى علـيه ملائـكٌ وتَفَتَّحَتْ قِمَـمٌ، تُرَحِّـبُ لَهْفـةً، وفَـضاءُ
بُـشراهُ بالجنَّـاتِ وارفٌ ظِلُّها مُتَرَاقِـبٌ والـسِّدرة العَليـاءُ[١]

لا تكاد تخلو قصيدة من قصائد شاعرنا «هارون رشيد» من القدس الشريف، حيث نجده هنا يشيد بشهداء فلسطين والقدس ليعطيها بُعداً ولوناً وصوتاً وصدىً ليمنحها الحركة والحيوية، لهذا يرسم صورة الشهداء وهو يأخذها من المعتقدات الدينية، فالقدس وفلسطين تفتح صدرها لتغذيهم حب الوطن والدفاع عن حرمته ومقدّساته، إذ المعوّل عليهم فهمُ الغوث والنجدة وهم القوة والأمل وهم الفرج والنصر، وذلك لأن الخوف غير موجود في قواميسهم، ولا يعرفون الموت والرعب، بل هم الموت نفسه، فالموت يلبسه الخلود والسعادة والهناء، خطوت أهل الجنة، موت من أجل الحياة، حياة مع الأنبياء والرسل والنعيم الأزل، فالشاعر عمد إلى أُسلوب التجسيد والتشخيص لرسم هذه الصورة الرائعة. (القدس، فلسطين تفتح صدرها، الشهداء يقبلون عليها إنه لحنان الأم الذي ليس له حدود ثم الجنة ونعيمها يستقبل قوافل الشهداء) ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ۞ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ۞ وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ ۞ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ۞وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ ۞وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۞ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۞ وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾.[٢]

---

١. هارون هاشم رشيد، *ديوانه طيور الجنة (قصائد للشهداء)*: ص ١٥٤ و ١٥٥.
٢. الواقعة: ٢٧ ـ ٣٤.

وحيث استفاد الشاعر من الجمل الخبرية فالمسيرة مستمرة، إما النصر وإما الشهادة في سبيل الله تعالى.

بعض ما توصل إليه البحث في هذا الفصل

- استعان الشاعر بالقرآن المجيد وبالتاريخ والتراث الإسلامي والمسيحي بشكل واسع وذلك لتدعيم صورة القدس الفنية مما أعطاها جمالاً وحيوية خاصة.

- استخدم الشاعر الأمور والحوادث اليومية لتكون في خدمة القدس والقضية وليسجلها كما هي في تاريخ المدينة كأمانة للأجيال القادمة ولتأجيج العواطف الإنسانية والتذكير والتنبيه.

- استعمل الشاعر المفردات الصارخة لصياغة الصورة الفنية لتعبّر عن عمق المأساة.

- أكثر الشاعر استعمالَ الصور البسيطة والمباشرة لسهولتها عند المتلقي.

٢

اللغة والأساليب في شعر القدس

اللغة الشعرية

١. الألفاظ والمفردات

اللغة العربية ديوان العرب ومرآة تفكيرهم لأنها منزل الكائن البشري، يلجأ إليها لتأكيد وجوده وينطلق بها لتحقيق رغباته[1].

والشعر هو لغة القلوب ومرآة النفوس، فهو يعبّر عن اللغة الشعورية المؤثرة القادرة على الإثارة عند المتلقي ـ القارئ والسامع ـ حيثما تنبعث عن وجدان عميق، وإحساس رهيف، وهذا يستلزم ألفاظاً ذات دلالات نفسيّة وشعورية خاصة، ولهذا فإن اللغة الشعرية بشكل عام لا بد أن تتسم وتتصف بالألفاظ ذات الإيقاع الموسيقي، والقوة التصويرية والدقة في اختيار الكلمات، والألفة ـ بأن تكون الكلمة قريبة من النفوس ـ والطرافة.

ورعاية المقاييس والقواعد النحوية والصرفية ولاسيما الإيحائية في الدلالة بأن توقظ الألفاظ صوراً ومعانيَ في ذهن ونفس المتلقي لتمنحه إحساساً عميقاً بالمتعة

---

١. عبد الله العلايلي، *تهذيب المقدمة اللغوية*: ص ٢١.

والسرور، وذلك من خلال قدرتها على تفجير المعاني العاطفية في ذات الإنسان.

وفي هذا المضمار لكل شاعر ذوقه وطريقته الخاصة في اختيار الألفاظ التي يستخدمها للتعبير عن ما يختلج في نفسه وذهنه، ولكن من جانب آخر لا بد من خصوصيات وسمات مشتركة ومتصلة ببعضها تشكل في مجموعها اللغة الشعرية.

ابتعد شعراء القدس عن الفضفضة اللغوية الجافة كما نلاحظها في الشعر التقليدي القديم، فعمدوا إلى تصحيح العلاقة بين اللغة والعاطفة وربطها ربطاً متماسكاً، وذلك بالتعبير عن تجربة الشاعر بلغة حديثة وعصرية واضحة وسهلة الفهم، فأصبحت قصيدة القدس ملحاً لا يستساغ طعام الشعر بدونه، ومن أولئك الشعراء نزار قباني فهو استعمل القاموس اللغوي الحديث مما جعل جمهوره حاشداً وشهرته لا حدود لها. نلاحظ هذا في قصائده (القدس، الخطاب، حوار مع عربي، منشورات فدائية على جدران إسرائيل) فالألفاظ سهلة ومباشرة والتراكيب والمفردات سليمة وفصيحة، قريبة من لغة الشارع حتى وقع نزار من حيث لا يشعر في استعمال بعض الألفاظ العاميّة لكنها قليلة جداً، وذلك نشاهده في قصيدة «منشورات فدائية» ـ إسوارةً من زَهر ـ في خبزها المرقوق: في زيتونها ـ باقون في شَيْطَنَة الأولاد، في خربشة الأقلام[1].

وكذلك في قصيدته «حوار مع عربي» ـ ويردّ طوابير الأعداء[2] ـ وأيضاً في قصيدته «الخطاب» قد استعمل بعض الألفاظ والمفردات العامية أمثال ـ يلبس الطرطور بالرأس .. ـ وأراجُوزَ الذي كان له ألفُ لسانٍ.. ولسان ـ يا أمير البحر، والبَرّ، ويا عالي الجناب.[3] إلاّ أن هذا لا يقلل من قيمة شعر نزار قباني[4] حيث نراه يدوّي في سماء كل مدينة وبلد.

---

١. نزار قباني، *الأعمال السياسية الكاملة*: ٣ / ١٨٢.

٢. *المصدر*: ص٢١٨.

٣. *المصدر*: ٢٥٩.

٤. ميرفت دهان، *نزار قباني والقضية الفلسطينية*: ص ٢٠٠٢م.

وقريب من هذا لغة الشاعر هارون هاشم رشيد، فهي خالية من الزخارف اللفظية والصنعة المتكلفة، ولعل هذه الظاهرة ناجمة عن نظرته الثورية والجهادية حيث يعتقد بأن الكل لا بد وأن يشارك في قضية القدس ويعيها بتمام وكامل وجوده.

ويمكن أن نقول إنّ أغلب الشعراء ـ شدة وضعفاً ـ سار على هذا النهج فحينما ندقق النظر في شعر القدس ما بين عام (١٩٤٨ ـ ٢٠٠٠م) نجده قريباً من هذا من حيث الألفاظ والمفردات والتراكيب، فمعظم شعراء القدس قد استخدم الألفاظ الجزلة والفخمة في المواضع التي ينبغي أن تستعمل فيها، ويأتي الشاعر بالألفاظ السهلة والرقيقة والمباشرة تارة والرمزية الواضحة نسبيّاً تارة أخرى.

٢. التراكيب وأساليبها

أ) التكرار

التكرار في شعر القدس ظاهرة واضحة وشائعة وكثيرة، ولها أهميتها الخاصة والرفيعة، إذ لم تكن مجرد ظاهرة تقليد للأقدمين من الشعراء فقط، ولا لمجرد التوسع بالمفردات والجمل، بل إنها تحمل في طيّاتها المعاني والمفاهيم والدوافع الفنية الكثيرة، ترجع إلى مهمة التكرار وأهميتها في تفجير المعاني الجديدة التي لها دلالتها وإيحاءاتها الشعورية والنفسيّة لدى المتلقي.

ففي أسلوب التكرار يستطيع شاعر القدس أن يكرّس مضامين ومفاهيم معينة من توكيد وتحذير وإغراء وغيرها. ولا يمكن هذا إلاّ من خلال التكرار حيث نجد القصيدة التي تحتوي على التكرار مطبوعة في الأذهان أكثر من غيرها.

ولذا استخدم شعراء القدس ظاهرة التكرار بكلّ أنوعها ـ تكرار الحرف ـ الكلمة ـ الجملة وحتى الشطر والبيت ـ وقد أصبحت من السمات البارزة في هذا النمط من الشعر، وبشكل عام نشاهد تكرار كلمات، أمثال: المسجد

الأقصى - القدس - إسرائيل - الإرهاب - اليهود - القتل - الموت - الدفن - الضياع - المشرد - اللاجئ - العودة - الثائر - الثأر - الشهادة - الشهيد - السجن - الطفل - الجهاد - الثورة - النضال - و...

ولكن تكرار بعض المفردات له معناه الخاص ونغمته الخاصة، كما نلمس هذا في قصيدة «القدس» لنزار قباني.

- يا قدسُ .. يا مدينةً تفوح أنبياء.
- يا قدسُ .. يا منارةَ الشرائع.
- يا قدسُ .. يا مدينةً تلتفُّ بالسواد.
- يا قدسُ .. يا مدينة الأحزان.
- يا قدسُ .. يا مدينتي.
- يا قدسُ .. يا حبيبتي.[١]

فالشاعر بهذا الأسلوب ومن خلال تكرار «يا قدس» رسم صورة القدس المأساوية ومكانتها السماوية ومنزلتها التراثية والدينية في قلوب الجميع فأصبحت راسخة لا تزول.

وهذا الأسلوب استعمله الشاعر في أكثر من قصيدة كما نشاهده أيضاً في قصيدته «طريق واحد».[٢]

حيث كرر لفظ «بندقية» أكثر من ثمان مرّات لما توحي من دلالات نضالية وثوريّة - أُريدُ بُندقيَّة .. - من أجل بُندُقيَة - أمام بُنْدقيَّة .. - أصبح عندي الآن بندقيَّة - فبهذا التكرار قدم الشاعر صورة لتحرير القدس وحسب رأيه إنها الطريقة الوحيدة التي من خلالها يمكن أن تعود القدس إلى أهلها.

---

١. *الأعمال السياسية*: ٣ / ١٦١.

٢. *المصدر*: ص ٣٢٧.

وأمّا أسلوب التكرار عند الشاعر محمود درويش فهي متفشّية وفنيّة كما نرى ما فيها من التوكيد في قصيدته (مزامير ـ الزمور الحادي والخمسون):

ونغني القدس:
يا أطفال بابلْ
يا مواليد السلاسلْ
ستعودون إلى القدس قريباً
وقريباً تكبرون
وقريباً تحصدون القمح من ذاكرة الماضي
قريباً يصبح الدمع سنابل
آه، يا أطفال بابل
ستعودون إلى القدس قريباً.
وقريباً تكبرون
وقريباً
وقريباً ..
هلّلويا
هلّلويا![1]

بهذا التكرار يرسم الشاعر صورة الأمل والعودة القريبة للقدس ليحل الفرح والبهجة مكان الحزن والعذاب.

ونرى محمود درويش في قصيدة «الأرض» يستعمل أسلوب التكرار ليتحدّى المغتصِب، إذ يقول:

أنا الأرض
يا أيّها الذاهبون إلى حبة القمح في مهدها

---

١. *الديوان*: ١/ ٤٠٠.

احرثوا جسدي!
أيها الذاهبون إلى جبل النّار
مرّوا على جسدي
أيها الذاهبون إلى صخرة القدس
مرّوا على جسدي
أيها العابرون على جسدي
لن تمروا
أنا الأرض في جَسَدٍ
لن تمروا
أنا الأرض في صحوِها
لن تمروا
أنا الأرض أيها العابرون على الأرض في صحوها
لن تمروا
لن تمروا
لن تمروا![1]

ففي القصيدة من التكرار ما لا يخفى، فتارة يكرر الاسم ـ جسدي، وتارة يكرر الفعل ـ تمرّوا، وتارة أخرى يكرر الأداة ـ لن ـ ليجعل الشاعر لكل لفظة منها دوراً وذلك ليكسب الشعر جمالاً ويلفت الانتباه إلى أهمية اللفظة المكررة.

كما نشاهد هذا أيضاً عند نزار قباني في قصيدته (فتح) قائلاً:

كالسيّد المسيح.. بعد موتنا نَهَضْنَا ..
مهما هُمْ تأخَّروا، فإنَّهُمْ يأتُونْ

---

١. *المصدر*: ص ٦٥١.

في حبّة الحنطة ..
أو في حبّة الزيتون ..
يأتون في الأشجار، والرياح، والغصونْ
يأتونَ في كلامنا..
يأتون في أصواتنا ..
يأتون في دموع أمّهاتنا ..
في أعينُ الغالينَ من أمواتنا
مهما هُم تأخروا .. فإنهم يأتون[1]

نرى الشاعر في هذه السطور يصرّ على شيء ما، وهو التحرير، تحرير القدس والأرض، أوصل لنا هذه الفكرة وهذه الصورة من خلال تكرار الفعل المضارع «يأتون» لما فيه من معنى ثبوتي فإنه ـ أي نزار ـ قد كرّرها بشكل حتى أيقن المتلقي أنّ رجال التحرير لا محالة قادمون ولو تأخروا نسلاً أو نسلين، ففي هذه السطور نلاحظ الوضوح والسلاسة لكنها عميقة جداً في معانيها، إذ استخدم الشاعر أسلوب الإيحاء والرمز وتداعي المعاني. فهو استعمل مفردة «الحنطة» وفيها من الدلالة ما لا يخفى ـ الفلاح الكادح ـ لقمة خبز الحلال ـ الحيوية والخضرة ـ النشأة والطفولة ... وكذلك المفردات الأخرى فلها رموزها وإيحاءاتها الخاصة ـ دموع أمهاتنا ـ فإنّ دموع الأمهات يحمل في طياته البراءات والمظلومية في الوقت نفسه، والقانون الإلهي القاضي بانتصار المظلوم على الظالم يوماً ما ـ جملة أمواتنا ـ فيها دلالة على أنّ دم الشهداء سوف يورق الزيتون وينبت الحنطة وهذا لا شك ولا ريب فيه عندما نرى القدس قد عادت للمسلمين.

---

١. نزار قباني، *الأعمال الكاملة*: ٣ / ١٤٠ ـ ١٤٢.

أمّا هارون هاشم رشيد فهو في قصيدته «سرحان» يفتح لنا صفحات وصفحات من كتب وسجلّ القدس ـ المظلومية، الاضطهاد، الإرهاب، القتل، هتك الحرمات، الاغتيال، الغصب، الدمار، الجوع، العراء، المأساة، فهو حاول تكريس هذه المعاني بأسلوب التكرار والاستفهام قائلاً:

لو يسأل ..
لارتعشت أوتارُ القلب
وشبَّتْ في الأعماق
النارْ ..
لو يسألُ ..
لأجاب بصوتِ
العزّة
صوت الأحرار!
قتلُوا أهلي،
سرقوا وطني
ألقوا فوق القدس
العار..
هَدموا
كل أمانيَّ الخضراء،
وداسوا أنفاسَ
الأزهار،
قتلوا مُدُناً
وقرى، ومزارعْ،
واغتالوا أنهار

ومشوا فوق
صليبي بكعو بهم
هَدَمُوا
في القدس
الأسوار
سرحان
وطن
لا يعرف إلّا الحب
سرقوه..
داسوه..
أهانوه بلا ذنب..
زرعوا الأشواك
بعينه،
ودقّوا الرعب..
وتنادوا..
نحن مسيحيون
فيا للكذب ..
أبا سم الروح
باسم الابن
باسم الأب
تداس القدس
ويذبح فيها
ويهانُ الشعب..

وتشبُّ النار
بصدر الحقد ..
تشب تشب ..
فليقتُل كل القتلةَ
يرعد
صوتُ الشعب.[١]

استخدم الشاعر أغلب أساليب بناء الصورة ـ الوصف المباشر ـ التجسيد ـ التجريد ـ التشخيص ـ ليصوغ صورة مركّبة ومترابطة تحكي لنا هذه المعاني العميقة وترسم صورة القدس المأساوية.

فالشاعر استخدم أسلوب التكرار لما فيه من أغراض شتّى، وكرر ـ لو يسألوا ـ أكثر من تسع مرّات، ولو قرأنا كل القصيدة لوجدنا الشاعر قد استخدم الأدوات ـ أين ـ أيّ ـ هل ـ ماذا ـ كم ـ لو ـ فيم ـ لماذا ـ وكرّرها أكثر من ثمان وعشرين مرّة ولكنّ الشاعر وضع يده على «لو» بالذات وكررها أكثر من غيرها لما فيها من معنى عرْض أو تمنٍّ أو ... فالمعنى الذي أفادته القصيدة مع استعمال هذه الأدوات والتكرار هو الذي أعطى القصيدة الجمال الغنيّ والمضمون القوي والراسخ.

هذا وكما نشاهد الشاعر علي عقلة عرسان في قصيدته «أورسالم صباح الخير» في مقتطفٍ منها يؤكد أصالة القدس الإسلامية قائلاً:

أورسالم مدينتنا
تل كنعان المُعْشِب عبر التاريخ،
إرثه الباقي لأبنائنا وأحفادنا من بعدنا،
لا يحميه إلا السيف والدم،

---

١. هارون هاشم رشيد، *الديوان*: ص ٤٨١ ـ ٤٨٥.

مهما امتد الزمان واتسع المكان،
القدس مدينتُنا ../القدس مدينتُنا ..
القدس مدينتُنا ..[1]

ففي سطور القصيدة هذه ما لا يخفى من تكرار الكلمات -الزمان - المكان - الجملة الاسمية - القدس - مدينتنا.

من خلال التكرار رسم الشاعر صورة القدس المقاومة وأبنائها وانتمائها لأهلها وأصحابها وهكذا حال أكثر الشعراء الذين أنشدوا القدس شعراً.

والجدير بالذكر أن هناك قواعد للتكرار أهمها أن يكون اللفظ المكرر وثيق الارتباط بالمعنى العام وأن يخضع لكل ما يخضع له الشعر عموماً من قواعد ذوقية وجمالية وبيانية.[2]

ب) الاستفهام

من المظاهر الأخرى التي نجدها في أسلوب شعر القدس، الأسلوب الاستفهامي حيث سَخّر بعض شعراء القدس هذا الأسلوب لغرض التركيز على فكرة إثارة مشاعر المتلقي، كما في الاستفهامات المتكررة في قصيدة «الحب والبترول» لنزار قباني:

متى تَفهَمْ؟
تغوصُ القدسُ في دمها.
وأنت صريعُ شهواتك
تنامُ.. كأنّما المأساة ليست بعض مأساتك
متى تفهم؟

---

١. *الأعمال الشعرية*: ص ٣٠٧ - ٣٠٨.
٢. نازك الملائكة، *قضايا الشعر المعاصر*: ص ٢٩٢.

متى يستيقظ الإنسان في ذاتك؟[١]

فالشاعر استعمل الأداة «متى» الاستفهامية ليضع حدّاً لزمان الغفلة والسبات العميق الذي اتصف به البعض، وفي هذه القصيدة أيضاً استعمل الأداة الاستفهامية «أين» مرّتين للتهكم والسخرية بشجاعة المخاطب.

وأين الوَشْمُ فوق يديك؟
أين ثقُوبُ خيماتك؟[٢]

والأسلوب نفسه ـ أي: الاستفهام ـ استعمله نزار قباني لغرض استنهاض همم أبناء الأمة العربية والأمة الإسلامية في قصيدته «القدس».[٣]

مَنْ يُنْقِذُ الإنجيل؟ مَنْ يُنْقِذُ القرآن
مَنْ يُنْقِذُ المسيح ممَّنْ قتلوا المسيح؟
مَنْ يُنْقِذُ الإنسان؟

وقريب من هذا استفهامات الشاعر نجيب جمال الدين في قصيدته «عُنواني علَى بردى»، حيث حاول عن طريق أسلوب الاستفهام أن يرسم صورة لمكانة القدس والمسجد الأقصى:

وَ سألتُ أُولى القبلتين:
لِما غدت أُولى؟
وفيمَ اختارها الرحمن
وسَألتُ: كيفَ؟ متَى؟
وَمَنْ مِنْهُمْ؟
وَهَلْ وجهٌ لأُولى القبلتين يُصانُ.[٤]

---

١. نزار قباني، *الأعمال السياسية*: ٣ / ٦٨.
٢. *المصدر*: ٣ / ٦٤.
٣. *المصدر*: ٣ / ١٦٣.
٤. نجيب جمال الدين، *قصائد إلى عاصمة المدن الشرقية*: ص ٧١.

ج) النفي

ومن تلك المظاهر التي يلمسها متتبع شعر القدس، أسلوب النفي وذلك لغرض أداء مفاهيم ومعانٍ جديدة تكمن في ذهن الشاعر؛ لأنه يستقي لغته وإيقاعاتها من قاموسه اللغوي وموروثه العربي والإسلامي، مما يجعل المتلقي يتذوق ويطلب المزيد «لأن الإحساس الصادق بقيمة النص الأدبي، وجمال اللغة الأدبية كائن في كل إنسان، وإن اختلفت درجاته، وأيقنت أن تجلية هذا الإحساس وتنميته ترفعان إنسانية الإنسان، وإنّ افتقادهما خسارة لا يمكن أن يعوضها شيء، كما يقول شكري محمد عياد.[١]

ومن القصائد التي اعتمد شاعر القدس فيها على أسلوب النفي قصيدة نزار قباني «منشورات فدائية على جدران إسرائيل»[٢] وكذلك قصيدته «جريمة شرف أمام المحاكم العربية»[٣] وقصيدة «أورسلام صباح الخير»[٤] لعلي عقلة عرسان وغيرهما.

فنلاحظ الشاعر نزار قباني حين يقول:

لَنْ تجعَلوُا من شَعبنَا
شَعب هنود حمر
فنحن باقون هنا..
باقون في آذارها..
باقون في نيسانها..
باقون كالحفر على صُلبانها

---

١. شكري محمد عياد، *مدخل إلى علم الأسلوب*: ص ٨.
٢. نزار قباني، *الأعمال السياسية*: ص ١٩٥.
٣. *المصدر*: ص ٢٢٧.
٤. *الأعمال الشعرية*: ص ٢٩٩.

باقون في نبيها الكريم، في قرآنها
وفي الوصايا العشر
لا تسكروا بالنصر
لنْ تُفلِتوا من يدنا ..
لن تستريحوا معنا..
كل قتيل عندنا
يموت آلافاً من المرات.
تذكروا..
تذكروا دائماً..
بأن أمريكا على شأنها
ليست هي الله العزيز القدير
وأنّ أمريكا ـ على بأسها ـ
لن تمنع الطيور من أن تطير
قد تقتل الكبير، بارودة
صغيرة، في يد طفل صغير.[١]

وهكذا نجد شاعرنا نزار قد استغل أسلوب النفي والتكرار معاً وقد أجاد إذ عبّر تعبيراً مؤثراً، بلغة نارية وعلاجية في الوقت نفسه وبعاطفة صادقة، ولذا من هنا صدم الوعي الشعري الحديث بما كان له من مواقف شموخية مع ماله من مستوى شعري يتصف بالجمال الفني والتعبيري وما لقصائده من قيمة أدبية، فهو كرر «باقون» أكثر من ست وعشرين مرّة وكرر الأداة «لن» النافية نفياً تأبيدياً أكثر من أربع مرات ووحّد بين الديانات السماوية الثلاث لينفي

---

١. *الأعمال السياسية*: ٣ / ١٦٧.

الاحتلال عن ساحته، وبهذا الأسلوب استطاع الشاعر أن يعطي القدس وأهلها صفة الصمود حاضراً ومستقبلاً.

لعلّ الشاعر نزار قباني له ميزة تبرز شعره عن غيره، وهي أنك تجده يقدم الحل المناسب في طيّات كلماته النابضة من إحساسه الصادق فنلاحظ كيف يستغل أسلوب النفي ليحكي ما في ضميره ويقدم الحلول المناسبة للقدس قائلاً:

لا يمين يجيرنا أو يسارٌ   تحت حدِّ السكين نحن سَواء[1]
لو قرأنا التاريخ ما ضاعت القدس   وضاعت من قبلها «الحمراء»
زعموا أنني طعنت بلادي   وأنا الحبُّ كلُّه والوفاء
ما احترفتُ النفاق يوماً وشعري   ما اشتراه الملوك والأمراء
لا تعاقب يا ربِّ من رجموني   واعف عنهم، لأنهم جهلاء
افهموني.. فما أنا غير طفلٍ   فوق عينيه يستحمُّ المساء
أنا لا أعرفُ ازدواجيّة الفكر   فنفسي بحيرة زرقاء..[2]

فالشاعر ينفي الاتكالية والتعويل على الآخرين، فيؤكد على معرفة الذات من خلال التاريخ وأخذ العبر والدروس ويضرب مثلاً على ذلك قضية الأندلس، فهو يؤمن بقدرة الإنسان العربي ويؤمن بقدرة الإنسان المسلم ويرى النصر لا بد وأن يمر عبر هذا الطريق لا غير.

وأمّا الشاعر علي عقلة عرسان فهو يستخدم أسلوب النفي ليقدّم صورة المقاومة والصمود لمدينة القدس وأهلها قائلاً:

لا سلم بهذي الأرض وأنا مقهورٌ يا أور،
لا سلم بهذي الأرضِ وسيفُ القرصان يحزُّ وريدَ القلبِ،

---

١. إشارة إلى المعسكر الغربي والشرقي آنذاك.
٢. نزار قباني، *الأعمال الكاملة*: ٣ / ٤٠٤ ـ ٤١٣.

ويفري كلَّ جذور الحب،
ويمسخُ كلَّ نداء الربِّ،
ويقتلُ .. يقتلُ .. يقتل،
لا سلم بغير القدس،
وكلُّ الأرض القدس.
القدس أمان ..
القدس حنان ..
القدس أمان.[1]

فالشاعر يكرر الأداة «لا» النافية لينفي كل شيء دون القدس.

د) النداء

وأما أسلوب النداء والاستغاثة فعمد إليه أكثر شعراء القدس لا سيما هارون هاشم رشيد وحسن البحيري وسليمان العيسى ومحمود درويش، فهم تارة ينادون الزعماء والحكام وتارة الشعوب وأصحاب الضمائر الحيّة، وتارة أخرى يوجهون النداء للتاريخ وأبطاله، فنلاحظ الشاعر هارون هاشم رشيد في قصيدته (الحريق) كيف ينادي ويستغيث برسول الله محمد ﷺ قائلاً:

محمداه ..
وا محمداه
حناجر الأقصى تصيح
وا محمداه
منارة الأقصى تصيح
وا محمداه

---

١. علي عقلة عرسان، *الأعمال الكاملة*: ص ٣٢٠ ـ ٣٢٤.

الصحن والمحراب
والأعتاب والأبواب
جميعها تقول
وا محمداه ..
وا أمّة الكماة والأباه
وا أمّة الصلاة والزكاة
المسجد الأقصى احترق
المسجد الأقصى احترق[١]

فكما ذُكر في كتب النحو بأنّ «وا» حرف نداء مختص بالندبة وهي نداء المتفجّع أو المتوجّع لهذا عمد إليها الشاعر لما في القضية ـ القدس ـ من وجع وتفجّع، فأخذ يندب ويستغيث بأعلى صوته وعلى لسان «الأقصى» وكل ما اتصل به، فندبة الرسول محمدﷺ تعني ندبة الإسلام، تعني ندبة المسلمين، تعني ندبة الأمة العربية، تعني ندبة الأمة الإسلامية، تعني ندبة الإنسان الشريف. فهذه المعاني الراقية وهذا الجرس الموسيقي وهذا الإيقاع ما هو إلاّ نتيجة أسلوب النداء والتكرار، ولا ريب أنّه يشعل في صدر المتلقي النار ويجعله يلتهب مع المسجد الأقصى.

نرى الشاعر نفسه يستخدم أداة النداء «يا» لدلالتها على المنادى قريباً ومتوسطاً وبعيداً، ينادي بها وطنه وقدسه حين كان فيه، ويناديه حين أُبعد عنه قائلاً:

يا وطني ..
يا وطن الطهر الممزوق الوجه
المنكسر الأهداب
يا وطني ..

---

١. هارون هاشم رشيد، *مفكرة عاشق*: ص٥٤.

يا وطن الصخرة والمحراب
يا أول من أطلق كلمات النور
وأول من أعطى وأصاب
يا خطو محمد
فوق سماء الله..
ويا درب الأخيار الأحباب
يا مهد يسوع
الفارش فوق دروب الخير
كلام الرحاب
وطني..
يا وطن الزيتون الخير
يا وطن الأعناب
يا وطن الأمواج المغلولة
في قيد الأسر..[١]

فالشاعر بهذا النداء رسم حبّه الخالص لوطنه، ولكنّه في الوقت نفسه استعان بأسلوب النداء ليجسّد لنا عدّة صور، الصورة الأولى هي صورة الوطن، القدس و.. الممزّق بيد العدو، الكئيب والمكبّل بالأغلال. الصورة الثانية هي أن هذا البلد هو بلد غير عادي لاتصاله بالنبي مُحمّد ﷺ وبالنبي عيسى عليه السلام واتصاله بالسماء. الصورة الثالثة هي براءات هذا الوطن إذ هو وطن السلام، وطن الزيتون.

وهكذا نجد لغة شعر القدس سلسة وسهلة التناول لأنه كما يقول نزار قباني، فإن الشعراء هم الذين «يحركون اللغة ويطورونها ويعطونها هوية

١. هارون هاشم رشيد، *الديوان*: ص ٤٥٣.

العصر»[١] على خلاف نهج الشعراء في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية حتى عدّ ذلك داء العصر.[٢]

الأساليب

١. الأسلوب الخطابي

الشعر ليس مجرد طبع وإنّما هو معرفة لمجموعة من القوانين الأساسية تشكل ما يسمى العلم بالشعر وكأنّ للعلم بالشعر جانبين متداخلين: جانب فطري مرتبط بالحساسية التلقائية التي يتميز بها الشاعر، والتي تمكّنه من إدراك ما لا يدركه الآخرون، وجانب آخر مرتبط بالتعليم واتّباع الأصول المتعارف عليها[٣]. من تلك الأصول والأساليب: الأسلوب الخطابي حيث عُرفت الخطابة عند العرب منذ أقدم عصورهم وحتى الآن، وتطور الأسلوب الخطابي كبقية الفنون والأساليب الأدبية، وأخذ يبرز على صعيدين اثنين، الصعيد الإرشادي والصعيد السياسي، اللّذين باشرا الأحداث السياسية والظروف الاجتماعية خطوة بعد خطوة، ومن هذه الحوادث حادثة احتلال القدس وفلسطين على يد الصهيونية العالمية المتمثلة بإسرائيل، فظهر هذا الأسلوب الشعري منذ وعد بلفور عام «١٩١٧م» ونكسة حزيران عام «١٩٦٧» وذلك لأن معاناة الشعب بعد هذه الكوارث هي التي استدعت هذا الأسلوب الخطابي لأنه هو الأسلوب المناسب لعلاج ما وقع على أرض فلسطين.

ففي بداية هذه الأحداث أخذ شعراء القدس أمثال: نزار قباني، بدوي الجبل، محيي الدين الحاج عيسى، محمد العدناني، برهان الدين العبّوشي، محمود الحوت، عبد الكريم الكرمي، يعبّرون عن الحدث مستخدمين هذا

---

١. نزار قباني، *مع الشعر*: ص ٥١.

٢. عمر موسى باشا، *الآداب في بلاد الشام، عصر الزنكيين والأيوبيين والمماليك*: ص ٥١٣.

٣. جابر عصفور، *النقد الأدبي*: ص ١٦٣.

الأسلوب برنّاته ونغماته المهيجة، واتخاذ المناسبة فرصة للعمل الأدبي والشعري ليفجر الطاقات الكامنة في قلب الفلسطيني ومشاعر وأحاسيس الإنسان العربي والمسلم لما فيه من سحر العبارة وقوّة المعنى.

فترى الحدث نفسه يدخل في ذات الشاعر الملتهبة ليخرج كلمة محرقة. فهذا الشاعر نزار قباني قد ألهب المشاعر في عدّة قصائد خطابية «الحب والبترول» و«الخطاب» إذ يقول فيها:

خَدَّروني ..
بملايين الشعارات .. فَنِمْتُ
وأرَوْني القُدسَ في الحُلْمِ .. ولَمْ
أجد القدسَ، ولا أحجارها، حين اسْتَفَقْتُ
فاعذروني
أيُّها السادةُ، إن كنتُ ضحكت ..
كان في وُدِّي أن أبكي
ولكنّي ضحِكتُ .. .[١]

وهكذا أصبح شاعر القدس بعد نكسة حزيران مذعوراً يعيش حالة ما بين الموت والحياة، فتراه يخاطب المسجد الأقصى ومنبره فيراه غريباً بين يدي العدو ينتشل أشلاءه، وتارة أخرى يخاطب بعض الساسة آنذاك مهاجماً مواقفهم الخاطئة، فنلاحظه يرسم لنا صورة القدس وأقصاها والذل والهوان الذي لحق بها، وهذا ما نجده في قصيدة «المسجد الأقصى» للشاعر حسن البحيري قائلاً فيها:

مُنعَّمينَ بعيشٍ رائقٍ رَغِدٍ   ما شابَ صَفْوَ أمانيهمْ بهِ كَدَرُ
أعِنْدكم أنّني في ليلِ غاشِيَةٍ   ريعَ القضاءُ لها واستشعر القَدَرُ

١. *الأعمال السياسية*: ٣ / ٢٧١.

وأن قُدسـي ومعراجـي وأرضَـهما باتـتْ بـدُهْمِ الرَّزايـا السُّودِ تـأتزرُ
فكـادتِ القِبلـةُ الأولـى وصـخرتُها عـن الحَطِـيمِ ورُكْـنِ البيـتِ تَنْبَتِـرُ
أَلَـمْ يـروا أنَّ محرابـي ومِنْبَـرهُ وآيتـي بـدِثَارِ الغَـمِّ تَـدَّثِرُ[1]

وأمّا عبد الله يوركي حلاق فقد أخذ ـ وعلى لسان الطفل الفلسطيني ـ يخاطب جماهير أمته العربية والإسلامية، محذّراً من الفُرقة العرقية والطائفية في قصيدته «طفل فلسطيني ثائر» قائلاً:

عربـيٌّ عربـيٌّ عربـي ولـي الفخـرُ بهـذا النـسبِ
مـذهبُ الفُرقـةِ لا أعرفُـهُ فاخـشوا إنْ تـسألوا عـن مـذهبي
أنـا صـبٌّ تيّمتْنـي لُغـةٌ صـانها القـرآنُ أسـنى الكُتبِ
وجهـة المحـرابِ عنـدي هيكـلٌ فيـه عيـسى والنبـيُّ العربـي
بيـتُ لحْـمٍ، وُلِـدَ الفـادي بهـا وجبـالُ القـدسِ معـراجُ النبـي
أوَ نرضـى أن نراهـا مـسرحاً للبغايـا وعبيـدِ الـذَّهبِ[2]

كما نعلم إنّ طابع الأسلوب الخطابي، طابع روح الحماسة والتحريض والثورة، فالشاعر يوركي الحلاق كغيره من شعراء القدس، خاطب الجمهور بهذا الإحساس مستخدماً أساليب الخطابة أمثال أدوات النداء والمباشرة والتنبيه ليصوغ أحاسيسه ومشاعره ويجعلها متصلة بروح المتلقي وليباشر مسؤوليته تجاه القدس. وأرى أن الشاعر لو استنجد بالمسلمين ولم يخص العرب كان أقرب إلى الصواب إذ القدس للمسلمين جميعاً.

وهكذا استمر الأسلوب الخطابي إلى ما بعد نكسة حزيران وحتى بداية السبعينيات ـ حرب ٧٣ ـ ولكن هذه النبرة الخطابية أخذت تهدأ شيئاً ما، حتى

---

١. حسن البحيري: *لفلسطين أغني*: ص٨٦ ـ ٨٧.
٢. عبد الله يوركي حلاق، *حصاد الذكريات*: ص ١٩١ ـ ١٩٢.

أشعلتها انتفاضة عام «١٩٨٧م» مرّة ثانية تلازمها الحماسة والحدّة والاستبشار بطلوع الفجر الصادق وزوال الاحتلال الإسرائيلي كما نشاهد هذا عند نزار قباني، سليمان العيسى، حسن البحيري، علي عقلة عرسان، محمود درويش، خالد محيي الدين البرداعي، سلمى خضراء الجيوسي، ولا سيما عند هارون هاشم رشيد، إذ أن أكثر قصائده على هذا الأسلوب الخطابي والوعظي والذي يتمتع بالمباشرة والحدّة الثورية. وهذا ملموس في ديوانه، مفكرة عاشق، قصائد فلسطينية، ورود على جبين القدس، ثورة الحجر، وها هي رنة خطابه في قصيدة «يا طفلنا» تبث الأمل والحزن معاً إذ يقول:

يا طِفلنا تترقبُ المددا يا طفلنا .. لا تنتظر أحدا
ترمي الحجارةَ .. لا تكفُ يدٌ سَلِمَتْ .. ومَا مَدُّوا إليك يدا
ويَظلُّ قومك في تحاورهم وتظلُّ وحدُك صامِداً جلِدا
يتحدثون يجيء شَجْبُهمو نهراً من الكلمات محتشدا
والقُدُس داميةٌ، مهدَدَةٌ والمَسْجدُ الأقصى .. وَمَنْ سجدا[1]

لعلّ الشاعر هارون هاشم رشيد جمع في هذه القصيدة ما بين الأسلوب الخطابي والأسلوب التعبيري ليرسم صورة الانتفاضة وأطفال الحجارة، وصورة القدس الصارخة وغربتها المستنجدة، وكما نلاحظ أن الأسلوب الخطابي له ربط مباشر بالأحداث الفلسطينية المتواصلة.

٢. الأسلوب التعبيري

لا شك أن لشعراء القدس باعاً طويلاً في استخدام الأسلوب التعبيري، فعبّروا من خلاله عن عواطفهم الجياشة وأحاسيسهم المتفجّرة تجاه القدس بل أرض فلسطين كلها من حبّ وبغض، وحزن وفرح، وبيان حقائق، ورسم أهداف، وأيضاً التعبير

١. هارون هاشم رشيد، *قصائد فلسطينية*: ص ٥٢ ـ ٥٣.

عن ذات الإنسان الفلسطيني المشرّد والضياع والغربة و.. وذلك لأن الأسلوب التعبيري أوقع في النفوس ولعلّه الأكثر تأثيراً من الأسلوب الخطابي، ولهذا قد نهج هذا الأسلوب أغلب شعراء القدس لا سيما في بداية الاحتلال الصهيوني وحادثتي النكبة «١٩٤٨» والنكسة عام «١٩٦٧» والحوادث الدامية الأخرى، ومن ذلك قول الشاعر هارون هاشم رشيد في قصيدته (قصيدة إلى القدس):

أجَل إني من القدسِ
وفيها قد نما غَرْسي
جذوري في عروق الصخر
في الصلّد، وفي الملس
ومن كنعان بي نبضٌ
ومن عدنان، من قيس
من الماضي، من الحاضر
من يوميَ، من أمسي
عريق المجد والأنساب، مشدود إلى الشمس
بها أختالُ في الدنيا.
وأمشي رافع الرأس[١]..

فعبّر الشاعر عن انتمائه للقدس وأصله العريق الممتد في جذور التاريخ، وحقّه الواضح كالشمس في ربوع النهار، ولو عاش الغربة وتجرع آلامها.

ومن خلال تتبعي لشعر القدس لاحظت أن أكثر هذا الأسلوب استخداماً في شعر المقاومة، حيث أصبحت اللغة التعبيرية في هذا النمط من الشعر، هي وسيلة الأداء، كما نلاحظ في قصيدة الشاعرة فدوى طوقان «أردنية فلسطينية في إنكلترا».

---

١. هارون هاشم رشيد، *مفكرة عاشق*: ص١٤ ـ ١٦.

عبّرت فيها عن ضياعها وفقدان الهوية الفلسطينية ـ حسب المزاعم الغربية ـ فإنّها شاعرة بلا وطن:

طقس كئيب
وسماؤنا أبداً ضبابية
من أين؟ إسبانية؟
كلا
أنا من .. من الأردن
عفواً من الأدرن؟ لا أفهم
أنا من روابي القدس
وطن السّنى والشمس
يا، يا، عرفت، إذن يهودية
يا طعنة أهوت على كبدي
صمّاء وحشية

ثم تابعت قائلة تحاور جارها الإنكليزي:

وأنت يا جار الرضى من فتّح الجراح
ذكرتني أني من الأرض التي تمزّقت
أنّي من القوم الذين من الجذور اقتُلِعوا
من الجذور ..
وأصبحوا على مدارج الرياح
وأصبحوا مبعثرين ها هنا وها هنا
لا ينتمون إلى وطن.. .[١]

١. فدوى طوقان، *الديوان*: ص ٣١٢ و٣١٣.

فالشاعرة عبّرت عن صورة المواطن المغترب بأنه بلا وطن وأنّ مُواطن القدس ليس هو ذلك الصهيوني المغتصب. وأيضاً عبّرت عن صورة الشعب كيف اقتُلع من أرضه فلسطين وتبعثر مع الرياح بعد ما أصبحت أرضه يطمسها الضباب منع نور الرؤية الحقيقية لها. وقريب من هذا قصيدة الشاعر هارون هاشم رشيد «غرباء» وغيرها ولا سيما في الشعر المهجري وغيره من شعر القدس الغنائي.

٣. الأسلوب الرمزي والأسطوري

اعتنى شعر القدس في «سورية ولبنان وفلسطين» بالرمز الشعري إلى حد كبير، وقد كان الدافع إلى استخدامه، طبيعته الإيمانية، والغنيّة والمثيرة، وسماته الفنيّة والجمالية ومهامه الاجتماعية أيضاً، «فالرمز الشعري لا ينفصل عن التجربة الشعورية، إنّه مرتبط بها أشد الارتباط. بين الرمز الشعري والمرموز إليه علاقة تداخل وامتزاج. فالتجربة الشعورية إمّا أن تفرغ شحنتها في رموز قديمة فتستدعيها وتستحضرها، وإمّا أن تركز الشحنة العاطفية أو الفكرية في ألفاظ تضفي عليها طابعاً رمزياً فيكون الرمز المستخدم جديداً»[١]. وفي هذه الحالة «الرمز هو اللغة التي تبدأ حين تنتهي لغة القصيدة التي تتكون في وعيك بعد قراءة القصيدة أنّه البرق الذي يتيح للوعي أن يستشف عالماً لا حدود له، لذلك هو إضاءة للوجود المعتم واندفاع صوب الجوهر[٢]. وقد يكون الرمز مشيراً إلى حادثٍ أو تاريخٍ أو أسطورة أو قصة. لأن الرمز لغة هو: «الإشارة بالشفتين، أو العينين، أو الحاجبين، أو الفم، أو اليد، أو اللسان، وأكثر ما يكون ذلك على سبيل الخفية»[٣] والإشارة تختلف درجات وضوحها

١. أدونيس، *زمن الشعر*: ص ٢٣٩.
٢. *المصدر*: ص ٢٣٩.
٣. *القاموس المحيط*، مادة رمز.

وخفائها وذلك حسب قدرة الشاعر وإرادته، فالصورة الرمزية مرة تكون ناظرة إلى شخصية تاريخية كما في قصيدة «قرطبة» للشاعر الفلسطيني «خالد أبو خالد» قائلاً:

وينهض تشرين بوابتين إلى القدس واحدة
وإليكِ .. إليك
فلسطين
تنصب في داخلي
أمطرت
والرذاذ المورد يغرق ناصيتي
وعيوني
ومتعبة رئتي
فالحصار شديد
هنا زمني .. قرطبة[1]
لا تلومي الرياح التي حملت جسدي
لكنني إذ تلوح على الأفق عيناكِ
أربح معركة بالمسير
ولو خطوتين
بدون الجيوش التي ذبحتني
وراحت تطارد رأسي بأعلامها السود[2]

فالشاعر استدعى شخصية عبد الرحمن الداخل وشبّه رحلته إلى قرطبة برحلة الفلسطيني عندما فرض عليه الحصار، فقرطبة رمز استعان به الشاعر

---

١. العاصمة الأسلامية (٩٧ ـ ٢٢٢هـ) في الأندلس.
٢. خالد أبو خالد، *شاهراً سلاسلي* / جي ء: ص ٣٧ ـ ٣٩.

لتصوير واقعه المأساوي، ولكن عبد الرحمن وصل إلى قرطبة والشاعر خالد أبو خالد ما زال في الطريق ولم يصل إلى القدس، ولكنه يواصل المسيرة بما لديه من آمال.

وقد يرتكز الرمز على حادثة تجعل المتلقي يرجع إلى الوراء ويقارن الحاضر بالماضي «مدريد ـ غرناطة» ليرسم صورة ما يجول في نفسه، كما فعل الشاعر ذاته ـ خالد أبو خالد ـ حين أخذ يشكك في السلام الصهيوني ويصب حنينه نحو القدس، إذ يقول:

لغرناطة الآن خيمتها .. وامتداد الطريق ..
وغرناطة الآن مطرودة في المماليك ..
ذاكرة في السنابك ..
تعيش المسافة بن الخيام وبين السلام ..
ترى القدس مكسورة في المداد .. ومكسورة في الحطام.
تعيش المسافة للأهل..
يبتعدون ..
ويبقى النخيل ..
يجر حقائبه في الحنين الطويل ..
يقول لها .. لا تخافي ..
تخاف .. ويفترقان على موعد في الجليل..[1]

وأمّا سميح القاسم فبعدما لمس النكبات والنكسات في وطنه وأرضه، استعان بماضي العرب ليجعل صقر قريش في قصيدته «دمي على كفي» رمزاً لعمق المأساة وبحثاً عن المجد في جوّ من الحنين

---

١. *المصدر:* ص١٣ ـ ١٧.

والعويل، وإصراراً على العودة للقدس السليبة:

ونفسي يا ذوي القُربى
ينازعها .. وإن شيدتُ ملك الله في الغربة
ينازعها حنينُ السفر للأوبة
ونفسي رغم دهر البين/ رغم الريح والمنفى
ورغم مرارة التشريد،
تدرك .. تدرك الدربا !! ..

فالشاعر يلجأ إلى الرمزية التي من سماتها أنّها تشرك المتلقي في العمل الأدبي فتصبح الفكرة الشعرية وليدة لفكر الشاعر وفكر المتلقي وخيال الشاعر وخيال المتلقي في اندماج والتحام جميل، فالرمز يستدعي الحركة في المتلقي ويدفع إلى التجاوب مع العمل الأدبي تجاوباً فعلياً حيّاً يعطي العمل الأدبي قيمة أكبر.[1]

وأكثر الشعراء الذين عمدوا إلى هذا الأسلوب في موضوعنا: خالد أبو خالد، نجيب جمال الدين، سميح القاسم، محمود درويش، فدوى طوقان، نزار قباني وغيرهم.

ويمكن أن نقول في هؤلاء كما قال الدكتور أسعد علي «بأن الكلمة بل اللغة هي إيحاء وتكمن قيمتها بما توحي وبما يشيع فيها من إحساسات ومشاعر وعواطف، تختلف من شخص إلى شخص ومن موقف إلى آخر، ولا يخفى ما تمنحه الكلمة من بُعد إيحائي إذا ما استعان الإنسان بها لتفصح عن ذات نفسه، وتظهرها وتظهر لها حقائق الناس والأشياء»[2]. فالشاعر من خلال الرمز يوحي للآخرين ما لا يمكن دونه.

---

١. هيام رمزي، *فدوى طوقان شاعرة أم بركان*: ص ٣٢.
٢. صناعة الكتابة، الكتاب الثاني، ص ٩٣.

٤. شعر التفعيلة

شهد الشعر في العصر الحديث مراحل متعددة أثّرت فيه المتغيرات الزمانية والمكانية انتهت في بداية القرن العشرين إلى ما يسمى بالشعر الحر أو الأحرى شعر التفعيلة، وسواء كانت الدواعي التي تمخض منها هي رواسب الحركة الرومانسية أو آثار الأدب والثقافة الغربية أو هما معاً، وسواء كانت النواة الأولى هي قصيدة «هل كان حباً» عام «١٩٤٦ م» للشاعر العراقي بدر شاكر السياب، أو قصيدة «الكوليرا» عام (١٩٤٧ م) للشاعرة العراقية نازك الملائكة كما رجحه الكثير من النقاد «لأنه يدل على وعي وتصميم لدى نازك أكثر مما كان لدى السياب»[1] وهجومها العنيف على الشعر العمودي يمكن أن يكون دليلاً أيضاً إذ تقول: «ألم تصدأ لطول ملامستها الأقلام والشفاه منذ سنين وسنين؟ ألم تألفها أسماعنا وترددها شفاهنا، وتعلكها أقلامنا حتى مجتها، منذ قرون ونحن نصف انفعالاتنا بهذا الأسلوب حتى لم يعد له طعم ولا لون، لقد سارت الحياة وتقلبت عليه الصور والألوان والأحاسيس ومع ذلك ما زال شعرنا صورة لقفا نبك، وبانت سعاد، والأوزان هي هي والقوافي هي هي، وتكاد المعاني تكون هي هي ومهما يكن له من أنصار وخصوم، [2] تعتبر التفعيلة الركيزة والركن الأساس في هذا النوع من الشعر، ومن هذه الزاوية لا يختلف شعر التفعيلة عن الشعر العمودي إذ يشترك معه في التفعيلات الثمان ـ فعولن، فاعلن، فاعلاتن، مستفعلن، متفاعلن، مفاعيلن، مفاعلتن، مفعولات ـ إلا أنه يمتاز عنه من ناحية الشكل والمضمون، ويرى

---

١. شلتاغ عبود شراد، *تطور الشعر العربي الحديث*: ص ٢٢٨.

٢. أبرز أنصاره هم: بدر شاكر السياب، نازك الملائكة، عبد الوهاب البياتي، بلند الحيدري، عبد الصبور، أحمد عبد المعطي حجازي، نزار قباني، خليل حاوي وأمّا نقاده فأبرزهم: توفيق الحكيم، أنور الجندي، عمر فروخ والعقاد وقد ذكر الدكتور شلتاغ عبود شراد بعض دلائل الفريقين في كتابه *تطور الشعر العربي الحديث*: ص ٢٣٢ ـ ٢٣٣.

الدكتور شلتاغ عبود شراد بأن هذه التجربة الشعرية «صبت دماً جديداً في شرايين الشعر العربي من ناحية القيم الفنية التي استطاعت أن تحمل هموم إنسان المنطقة وآماله».[١]

ومن المعلوم أن حديثنا ليس في هذا الصدد، إذ نريد أن نعرف صدى القدس في شعر التفعيلة، وأثر شعر التفعيلة على قضية القدس، ومن هم روّاده من الشعراء في محور البحث.

لا ريب أن موضوع القدس من الموضوعات المهمة في الشعر الفلسطيني والجديدة في الوقت نفسه، حيث التهبت صدور الذين كتبوا شعر التفعيلة أمثال: محمود درويش، توفيق الصائغ، فدوى طوقان، توفيق زياد، خالد أبو خالد، نزار قباني، علي عقلة عرسان، سليمان العيسى، سميح القاسم، معين بسيسو، سلمى خضراء الجيوسي ونجيب جمال الدين بهذا الموضوع، وقد انتصر هذا الفن للقدس المغتصبة وبعد نكسة حزيران إذ كان لها الوقع الشديد في نفسية الشاعر فلجأ لشعر التفعيلة لما فيه من حرية التعبير ووحدة نغم وموسيقى كما نراه عند نزار قباني وغيره من الشعراء، ولعل هذا النوع من الشعر يمثل ٨٠٪ إلى ٩٠٪ من شعر القدس بعد عقد الستينيات على هذا الأسلوب والفن الشعري.

فللشاعر نزار أكثر من سبع قصائد، سجّلت القدس في قلب الأيام والتاريخ وكلّها على نظام التفعيلة[٢] حيث يتحرر الشاعر في شعر التفعيلة من قيود الأوزان والقافية، ولعل هذا التحرر يناسب إحساس وعواطف الشاعر والمتلقي أكثر في العصر الحديث. نلمس هذا في شعر نزار قباني أكثر من غيره إذ تحرر من القيود الظاهرة والباطنة، أليس هو القائل في قصيدة «الخطاب»:

---

١. *المصدر*: ص ٢٣٩.

٢. نزار قباني، *الأعمال السياسية*: ٣ / ٥٩، ١٣٧، ٤ ١٥٩، ١٩٧، ٢٥٩ و ٢٣٠.

خَدّروني ..
بملايين الشعارات .. فَنمت
وأرَوْني القُدسَ في الحُلْمِ .. ولَمْ
أجد القدسَ، ولا أحجارها، حين اسْتَفَقْتُ
فاعذروني
أيُّها السادةُ، إن كنتُ ضحكت ..
كان في وُدّي أن أبكي
ولكنّي ضحكت ..
كنت في المغفر مكسُوراً كبلّور كنيسه
نافخاً (سورة ياسين) بوجه القاتلين..
لم أكن أملك إلا الصبر ..
(والله يحب الصابرين)
وجراحي كبساتين أريحا
يُمطرُ الياقوتُ منها ..
ويضوع الياسمين ..
و فلسطين على الأرض حمامه ..
سقطت تحت نعال المخبرين[1]

فكما ترى نازك الملائكة «بأن الشاعر غير ملزم باتباع طول معين لشطره وهو كذلك غير ملزم بأن يحافظ على خطة ثابتة في القافية، فما يكاد يبدأ قصيدته حتى تخلب لبه السهولة التي يقوم بها، والموسيقية التي تمتلكها الأوزان الحرة».[2]

---

١. نزار قباني، *الأعمال السياسية*: ٣ / ٢٧١ ـ ٢٧٣.
٢. *قضايا الشعر المعاصر*: ص٢٨ ـ ٢٩.

أمّا الشاعر الفلسطيني «محمود الحامد» الذي غلب شعر التفعيلة عنده، فوردت القدس في شعره وهو يعبّر عن مكانتها بزفرات وحنين قلّ نظيره، من أجلها يقدّم الغالي والرخيص ففي قصيدة «لحفنة من بُرتقال الجليل» يقول:

أقول: أكتبيني
إذا متُّ عبر نهوض الخمائل
هناك ببيارة البرتقال
قتيلاً من العشق ماتَ
وقاتل
إنّ الذينَ
يُحارون هذا الجنون قلائل
فكم كنتُ أو غل في الورد عشقاً
وأقرأ في القمح سرّ التفاؤل
وإمّا تخاصم من أجل ليمونةٍ عاشقوها
همستُ: كفي ..
لا أحب المشاكل
ولكن ..
لأجلك يا زعترَ القدس
نمشي على النار،
نعبرُ في المستحيلِ ونمضي
إلى الصُبح .. لا همَّ
أن نَغْدُوَ البرقَ عند الصَّهيلِ،
وأن تستحيلَ دمانا مشاعل
وهذا بريدُ الحبيبةِ يأتي

سريعاً وعاجل:
تعالَوا ..
كفى غربة في المنافي
فما زال في الصَّدرِ عشقٌ فتيٌّ،
وما زال في الجُرحِ نبضٌ يُقاتل!!![١]

فالشاعر يحن للقدس ويطرب لها إذ تجري في شرايينه مجرى الدم حتى أصبحت ذات دلالات وإيحاءات رمزية بين العاشق والمعشوق، والإيقاع الصوتي للقصيدة جعل الصوت منسجماً مع المعنى ليزيده عمقاً وحلاوة وطلاوة، ورنّات الموسيقى جعلت القصيدة لها موجات ونغمات متسقة ومترابطة.

وإذا أردنا أن نلخّص أهم العلل والأسباب التي سوّغت شعر التفعيلة فهي:

١. الذاتية وحريّة التعبير في هذا الفن الشعري.
٢. اتّساعه للبيان وبثّ الأفكار والمعتقدات لا سيما الاجتماعية والسياسية منها.
٣. عدم وجود القوانين والقيود كما هو في الشعر التقليدي.
٤. البساطة والسهولة والوضوح في التعبير والألفاظ.
٥. اقتصار المسافة بين الشاعر والمتلقي.

لذا شاع هذا الأسلوب الشعري خصوصاً في أرض الشام بعد الستينيات وساعد شعراء القدس لإحياء القضية وحفظ المدينة، وهي أيضاً ساعدت شعراءها لتفجير هذا الفن والأسلوب ورونقه على أحسن وجه.

٥. القدس والشعر المنثور

أجمع الأدباء على أن أركان الشعر هي الأوزان والقوافي، وحتى شعر التفعيلة لم يلغ هذه الأركان بشكل تام، ولكن ظهرت في العالم العربي منذ

---

١. محمود الحامد، *شهقة الأرجوان*: ص ٤٤ ـ ٤٦.

الخمسينيات وتحديداً في لبنان، حركة شعرية تسمى النثر شعراً وتدعو إلى إلغاء «التفعيلة» أيضاً، ومن هنا تحولت قصيدة النثر إلى «ثورة على الإنجازات التي حققتها المرحلة الأولى من شعر التفعيلة على يد روّادها من مثل نازك الملائكة والسياب وصلاح عبد الصبور حيث أتت على كل قاعدة تتصل بفن الشعر فجعلتها كالرميم، فلا وزن ولا قافية ولا قيم فكريّة ولا أهداف إنسانية وإنما سيل من المفردات وركام من الأوهام لا يعرف لها رأس ولا رجل».[١]

ويعتقد روّاد هذا الفن الشعري أمثال: جبران خليل جبران، محمد الماغوط، أنيس الحاج، توفيق صايغ، جبرا إبراهيم جبرا وأدونيس أحمد «على سعيد» (أن الوزن والقافية قيود عارضة على الواقع الشعري تشل قدرة الشاعر، يقول أدونيس «إنّ على الشاعر المعاصر لكي يكون حديثاً حقاً أن يتخلّص من كل شيء مسبق، ومن الآراء المشتركة، إنّ هدف القصيدة الحديثة هو القصيدة نفسها».[٢]

فهم يعتقدون أن النثر المتحرر من القيود هو المطلوب لدى الشاعر المعاصر، وأما نزار قباني فيرى «بأن القصيدة الحرة هي اجتهاد، وقصيدة التفعيلة هي اجتهاد، وقصيدة النثر هي اجتهاد ولا يجوز أن يطلق الرصاص عليها، بحجة أنها تقول كلاماً ليس له سند».[٣]

على أية حال فإنّ شعر النثر من الأفضل أن لا يسمى شعراً لأنه أقرب إلى النثر الفنّي من الشعر، إذ لا نجد فيه الإيقاع القوي ولا الوزن ولا القافية ولا يحرك الأحاسيس والعواطف، ولو كانت له قيمته الفنية الخاصة به.

وأمّا القدس فلم يكن لها نصيب يعتنى به في قصيدة النثر حيث تتبعنا دواوين شعراء محور البحث إلا إن هناك محاولات قام بها بعض الشعراء،

---

١. شلتاغ عبود شراد، *تطور الشعر العربي الحديث*: ص ٢٣٧.

٢. أدونيس، *زمن الشعر*: ص ٤٢.

٣. محيي الدين صبحي، *الكون الشعري عند نزار قباني*: ص ٢٠.

وكنموذج على ذلك نأخذ قصيدة «كوابيس الليل والنهار» للشاعرة فدوى طوقان حيث حاولت مزج شعر التفعيلة بالشعر النثري، قائلة:

في صحف القدس اليومية أرمي عينيّ
أقرأ خبراً كالأخبار:
بيت لحم ـ فوجئ المزارعون في خربة بيت سكاريا
بمجموعة من الجرافات خرجت من مستعمرة كفارعصيون
وشرعت في قلع المزروعات في أرض تلك البلدة
أقرأ شكوى مرفوعة
لوزير الحرب:
«إبراهيم عطا الله من بيت سكاريا شمال كفار عصيون ـ قضاء
بيت لحم.
الموضوع: مصادرة أرض زراعية تخصني.
أحيطكم علماً بأن الأرض التي أملكها والتي تقع في بيت
سكاريا، وهي مصدر رزقي ورزق ٢١ شخصاً أعيلهم من
فلاحتها، قد تم الاستيلاء عليها، ليلة أمس الأول حيث قامت
الجرافات بإزالة المحصول الذي عرقت من أجله طيلة عام
كامل أناشدكم باسم أطفالي الذين سيموتون جوعاً أن تتخذوا
اللازم لإعادة الأرض التي لن أقبل عنها بديلاً أو تعويضاً»
ذات الأخبار ..
لا شيء جديد
لا شيء جديد في الأخبار
لاشيء مثير
يغشاني الغثيان المرّ

يا دودوةَ علقٍ في قلبي تغزو قلبي
وتظلُّ تمصُّ دماءَ القلبِ!
ما هذا ما هذا يا ربِ؟
ويردُّ الصمت.[١]

موسيقى شعر القدس

منذ وجد الشعر وجدت معه الأوزان، فالشاعر لا ينطق كلامه في لغة عاديّة وإنما ينطقه موزوناً، وكأنّه يلبّي فينا غريزتنا أو فطرتنا الأولى قبل أن تنشأ اللغات، إذ كنا نتصايح بأصواتنا، وكأنما كل صيحة كانت كلمة أو قل كانت قصيدة، نعبّر بها عن مشاعرنا وإحساساتنا، تلك الإحساسات والمشاعر التي كانت تشبه محيطاً منجمداً[٢]. ويتألف الشعر كما يرى الدكتور جابر عصفور «من كلمات تنتظم فيما بينها انتظاماً مخصوصاً، تبعاً لتعاقب الحركة والسكون، مما يصنع الشعر ويعد من جملة جوهره»[٣] ولهذا فإن موسيقى الشعر تعد من أبرز سماته كما كان يعتقد السلف من علماء العربية حيث لا يرون ميزة بين الشعر والنثر إلاّ الوزن والقافية. «وللشعر نواح عدّة جمالية، أسرعها إلى نفوسنا، ما فيه من جرس الألفاظ، وانسجام في توالي المقاطع وتردّد بعضها بعد قدر معين منها، وكلّ هذا هو ما نسميه بموسيقى الشعر»[٤] وهكذا اهتم النّقاد بقضية موسيقى الشعر التي تفجّرت بها قريحة الشعراء قديماً وحديثاً. حيث ترنمت بها نفوسهم لتظهر ما يختلج في صدورهم من شعور وأحاسيس، وقد التزم الشعر العربي بموسيقاه وزناً وإيقاعاً رغم محاولة الانفلات التي تعرض لها على مر

١. فدوى طوقان، *الأعمال الكاملة*: ص ٤٥٤ ـ ٤٥٥.
٢. شوقي ضيف، *في النقد الأدبي*: ص٩٩.
٣. جابر عصفور، *النقد الأدبي*: ص٢٩٣.
٤. إبراهيم أنيس، *موسيقى الشعر*: ص٨ ـ ٩.

العصور الشعرية لا سيما بعد النصف من القرن العشرين الميلادي.

ويمكن أن تقسّم مراحل تطور الشعر العربي إلى ثلاث مراحل هي:

١. مرحلة القصيدة العمودية أو بما يسمى الشعر الخليلي ببحوره الستة عشر.

٢. مرحلة شعر التفعيلة حيث تتكرر التفعيلة فيه في السطر الواحد أو تتكرر بعد عدد من السطور الشعرية.

٣. مرحلة القصيدة النثرية وهي أشبه ما يكون بالنثر لا الشعر. ومهما اختلفت التسميات فإن الإيقاع والوزن احتفظ بمكانته شدة وضعفاً.

وحسب ما يرى عبد الحميد جيده أنه لا بُدَّ من التمييز بين نوعين من الموسيقى في الشعر:

١. الموسيقى الخارجية: وهي التي تتألف من الأوزان الشعرية المعروفة ومن القافية.

٢. الموسيقى الداخلية: وهي التي تتألف من النغم الذي تجمع بين الألفاظ والصورة، أو بين وقع الكلام والحالة النفسية للشاعر، وهذه مزاوجة تامّة بين المعنى والشكل، بين الشاعر والمتلقي[1] وكثيراً ما يستخدم في الموسيقى الداخلية أنواع المحسنات البديعية كالجناس، والتكرار والطباق ولزوم ما لا يلزم والتصريع وغيرها.

١. الموسيقى الخارجية

أ) الوزن

تتشكل الموسيقى الخارجية من الوزن والقافية و«الوزن أعظم أركان حد الشعر» كما يقول ابن رشيق.[2]

---

١. عبد الحميد جيدة، *الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر*: ص ٣٥٢.

٢. ابن رشيق، *العمدة في محاسن الشعر وآدابه*: ١ / ص ٢٦٨.

والملاحظ أنّ شعراء القدس اعتمدوا وحدة الوزن والقافية غالباً إلى النصف الأول من القرن العشرين أمثال محيي الدين الحاج عيسى، برهان الدين العبّوشي، عبد الكريم الكرمي، بدوي الجبل، سليمان العيسى، إلياس قنصل وغيرهم، ثم استمر بعضهم في شعره العمودي إلى يومنا هذا، وهناك من نوّع في قصائده بين القديم وشعر التفعيلة أمثال نزار قباني، محمود درويش، فدوى طوقان، هارون هاشم رشيد، سميح القاسم، توفيق زياد، حسن البحيري.

ونشاهد الميل إلى شعر التفعيلة عند بعض هؤلاء أكثر ـ قباني، درويش علي عقلة عرسان، خالد أبو خالد، محمود حامد، نجيب جمال الدين، سلمى خضراء الجيوسي فرجحوا شعر التفعيلة على غيره غالباً.

فمن الفئة الأولى التي سلكت الشعر العمودي، قصيدة الشهيد عبد الرحيم محمود «الشهيد».

سأحمل روحي على راحتي وألقي بها في مهاوي الردى[١]

وهي على البحر المتقارب التام.

ففي شعر هذه الفئة قد بدت ملامح التغير والتجدد في الشكل والمضمون والأغراض. واللغة الشعرية تبرز في شعر القدس في الأقطار الثلاثة «سورية ـ لبنان ـ فلسطين» إلا أن الوزن الخليلي كان هو المتبع.

وبعد ما شهد شعر القدس ظهور شعراء أمثال نزار قباني، محمود درويش، سميح القاسم، توفيق زياد، أخذ شعر التفعيلة مأخذه في هذه الأقطار فنظم الشاعر نزار قباني ما يقارب ٨٠٪ من شعره على نظام التفعيلة مقابل ٢٠٪ من الشعر التقليدي، فأنشد قصيدة القدس على وزن تفعيلة الرجز «مستفعلن»:

---

١. *الديوان*: ص ١٣٠.

بَكَيْتُ .. حتّى انتهت الدُموعْ
صلّيتُ.. حتى ذابتِ الشُمُوعْ
ركعتُ .. حتّى مَلّني الرُكوعْ
يا قُدْسُ .. يا مدينتي
يا قُدْس .. يا حبيبتي[١]

وهكذا نظم نزار قباني قصيدة «طريق واحد» على وزن تفعيلة الرجز «مستفعلن»:

يا أيُّها الثُوارْ
في القدسِ، في الخليل، في بيسانَ، في الأنوارْ
في بيت لَحْم ..
حيثُ كنتمْ أيُّها الأحرار ..[٢]

وكذلك نظم قصائده «فتح»[٣] و«منشورات فدائية»[٤] «حوار مع عربي»[٥] على وزن تفعيلة «المتدارك» فعلن:

لو أنّ بحيرة طبريّا تعطينا بعضَ رسائلها ..
لاحترقَ القاريءُ والصَفَحاتْ ..
لو أن القدسَ لها شفةٌ، لا ختنقَتْ في فمها الصلواتْ ..
لو أنّ ..

وهكذا قصيدته «شعراء الأرض المحتلة» على التفعيلة نفسها.

---

١. نزار قباني، *الأعمال السياسية*: ٣ / ١٥٩.
٢. *المصدر*: ص ٣٣٥.
٣. *المصدر*: ص ١٣٧.
٤. *المصدر*: ص ١٦٥.
٥. *المصدر*: ص ٢١٥.

وأمّا قصيدة «الحب والبترول»[١] فهي على تفعيلة الهزج «مفاعيلن» وقصيدة «الخطاب»[٢] فهي على تفعيلة الرمل «فاعلاتن». وهكذا أكثرَ الشاعر نزار قباني من شعر التفعيلة، لما فيها من حرية التعبير والحماسة والعذوبة والرقة، لتساعد شاعر القدس لإظهار ما في صدره المتفجّر ونفسه المتأججة.

ب) القافية

يرى ابن رشيق أن القافية لا تقل عن الوزن لأن الشعر مركب من عنصرين اثنين هما الوزن والقافية ولا يكون الشعر شعراً حتى يكون له وزن وقافية.[٣]

«وسميت القافية قافية لأنها تقفو أثر كل بيت»[٤] وللقافية أنواع أهمها:

أ) القافية المتمكنة وهي التي يبنى البيت كله عليها.

ب) القافية القلقة وهي يأتي بها الشاعرلتمام الوزن فقط.

ج) القافية المقيدة وهي التي يكون رويّها ساكناً فيتخلص الشاعر من الإعراب في آخر البيت.

د) القافية المطلقة وهي التي يكون رويّها متحركاً.

لذا تنوّعت القوافي في شعر القدس لتكون موسيقى الشعر متنوعة ولتظهر قوة شاعر القدس وعدم ضعفه، فعمد نزار قباني في شعره العمودي إلى استخدام الحروف القوّية لتكون قافية شعره، أمثال الهمزة والباء والنون، فنلاحظ الهمزة في قصيدته «إفادة في محكمة الشعر» وهي من البحر الخفيف إذ يقول:

---

١. *المصدر*: ص ٥٩.

٢. *المصدر*: ص١٥٩.

٣. ابن رشيق، *العمدة*: ص ١٣٩.

٤. *المصدر*: ص١٥٩.

لا يمــــينٌ يجيرُنـــا أو يـــسارٌ   تحــتَ حــدِّ الــسِكّين نحــنُ سَــواءُ
لو قرأنا التاريخَ .. ما ضاعتِ القدسُ   وضــاعتْ مــن قبلهــا (الحمــراءُ) ..
يــا فلــسطين .. لا تــزالينَ عَطْــشى   وعلــى الــنفْطِ نامــتِ الــصحراءُ[1]

وقافيــة حــرف البــاء فــي قــصيدته «مــن مفكــرة عاشــق دمــشقي» مــن البحر البسيط:

وخلَّفُوا القُدْسَ فوق الوحل، عاريةً   تُبــيحُ عــزَّةَ نهــديها لمــن رَغِبَــا
أيــا فلــسطينُ .. مَــنْ يُهــديكِ زَنْبقــةً   ومَــنْ يُعيــدُ لــكِ البيــتَ الــذي خَرِبَــا[2]

لها وقعها الموسيقي في النفوس وجمالها الشعري الفريد.

وعلى القافية نفسها جاءت قصائد هارون هاشم رشيد «دعوة إلى الكتابة»[3] وزيتونة[4] وفدائيون لا إرهابيون[5] وكذلك قصيدة «نشيد الجهاد»[6] و«طفل فلسطيني ثائر»[7] للشاعر عبد الله يوركي حلاق.

وأمّا قافية الهمزة فجاءت عليها قصائد الشاعر يوسف الخطيب «عرش الفداء»[8] وقصيدة الشاعر هارون هاشم رشيد «من قلبي»[9] وقصيدة «يا شاعري لا تقبل العزاء»[10] وأمّا قافية النون فنظم عليها الشاعر حسن البحيري قصيدته

١. نزار قباني، *الأعمال السياسية*: ٣ / ٤٠٥.
٢. *المصدر*: ص ٤٢٢.
٣. هارون هاشم رشيد، *وردة على جبين القدس*: ص ٩١.
٤. هارون هاشم رشيد، *مفكرة عاشق*: ص ٩٨.
٥. هارون هاشم رشيد، *طيور الجنة*: ص ١٣٥.
٦. عبد الله يوركي حلاق، *حصاد الذكريات*: ص ٥٥.
٧. عبد الله يوركي حلاق، *المصدر*: ص ١٩١.
٨. يوسف الخطيب، *العيون الظماء للنور*: ص ٧٩.
٩. هارون هاشم رشيد، *طيور الجنة*: ص ١٥١.
١٠. *المصدر*: ص ١٢٥.

قصيدته «عرس الشهيد»[١] ثم يأتي استخدام قافية حرف الدال بنسبة كبيرة وذلك لدلالتها على الوطنية غالبا «حدود، أمجاد، نشيد» والقيم الإسلامية «شهيد، صمود» ثم قافية حرف الحاء لتدل على النضال القومي والإسلامي «سلاح، كفاح» وهكذا، فشعراء القدس، ربّما استخدموا هذه الحروف في قوافي شعرهم لما فيها من نبرة قويّة وحجّة وعمق وقد أشار إلى خصائص بعض الحروف «العلايلي» في المقدمة اللغوية.[٢]

إشعاراً منهم بإعادة الأرض بما فيها القدس ولو عن طريق القوّة.

٢. الموسيقى الداخلية

أ) الإيقاع

يرى ابن سينا «إنّ الشعر هو كلام مخيّل مؤلف من أقوال موزونة متساوية، وعند العرب مقفاة، ومعنى كونها موزونة أن يكون لها عدد إيقاعي، ومعنى كونها متساوية هو أن يكون كل قول منها مؤلفاً من أقوال إيقاعية، فإنّ عدد زمانه مساو لعدد زمان الأخرى»[٣] والإيقاع عنده هو كل نقرة ينتقل عليها إلى نقرة أخرى فإمّا أن تنتقل في مدة لا تمحى في مثلها عن الخيال صورة الأولى وإمّا ألا يكون، فهو يؤلّف من نقرات بينها مدد[٤] وقريب من هذا قول الفارابي «إنّ الإيقاع هو النقلة على النغم في أزمنة محدودة المقادير والنسب».[٥]

حيث بسط الكلام هناك في أكثر من سبع وخمسين صفحة، ويمكن أن

---

١. حسن البحيري، *لفلسطين أغني*: ص١٤٧.

٢. عبد الله العلايلي، *المقدمة اللغوية*: ص ٩٣ ـ ٩٢.

٣. ابن سينا، *الشفاء، الفن التاسع*: ص٣٣ أيضاً أنظر: أرسطو، *فن الشعر*: ص ١٦١.

٤. ابن سينا، *الشفاء*: ص ٢٣ ـ ٢٥.

٥. محمد بن محمد الفارابي، *الموسيقي الكبير*: ص٤٣٦.

تعبّر عنه بأنّه روح الشعر النابضة ونَفَس الشاعر وشاعريته التي تتكون من ذبذبات ونغمات موسيقية تطرب لها أذن المتلقي ويرقص لها القارئ فرحاً أو عكس ذلك، كما نشاهد هذا في قصيدة «القدس» لنزار قباني:

يا قُدْسُ
يا مدينةَ الأحزانْ
يا دمعةً كبيرةً تحولُ في الأجفانْ
مَنْ يوقفُ العُدوان؟
عليكِ، يا لؤلؤةَ الأديانْ
مَنْ يغسل الدماءَ من حجارة الجُدرانْ؟
مَنْ يُنْقِذُ القرآنْ؟
مَنْ يُنْقِذُ الإنسانْ؟[1]

تكرار «مَنْ» السؤالية، تفعيلة بحر الرجز «مستفعلن» ثم الارتفاع بالألف ـ العدوانْ، الأديانْ، القرآنْ، الإنسانْ، ـ تسكين نون القافية و.. جعل لها موسيقى وإيقاعاً خاصاً ممّا تركها تتردد عبر الإذاعات صباحاً ومساءً وهكذا قصيدة سميح القاسم «سقوط الأقنعة»:

يا مجلس الأمن القديم
صوتي يجيئك زهرة حمراء
من حقل الجريمة
فإلى اللقاء .. إلى اللقاء ..
يا مجلس الأمن القديم
أراك في القدس القديمة

١. نزار قباني، *الأعمال الكاملة*: ٣ / ١٦٢.

فوحدة النغمة تكررت، وتعالت الحركات والسكنات على نحو منتظم في القصيدة:

ـ حمراء، اللقاء ـ الجريمة، القديمة ـ.[١]

ب) التصريع

وهو أنْ يكون رويّ شطري البيت متماثلاً، وعادة يستخدم في مستهل القصيدة ليعطي المتلقي شعوراً خاصاً لما فيها من حلاوة وأثر جميل. ومثال ذلك قصيدة نزار قباني «من مفكرة عاشق دمشقي».

سَقَوا فلسطينَ أحلاماً ملوّنةً وأطْعَموُها سخيفَ القوْل، والخُطَبا
عاشوا على هامشِ الأحْدَاثِ، ما انتفضُوا للأرض منْهُوبَةً، والعِرْضِ مُغْتَصَبَا
وخلّفوا القُدْسَ فوق الوحل، عاريةً تُبيحُ عزَّةَ نهديها لمن رَغِبا[٢]

فكلمات «والخطبا، مغتصبا، رغبا» منحت القصيدة موسيقاً داخلية تشعر نفس المتلقي بها وتبوح معها. ومن هذا النمط قصيدة الشاعر سليمان العيسى «الجرح الصارخ»:

أنت بالمَأْساةِ أدرى، فاروها وأزح عن «مجرميها» الحُجُبا
في فُؤادِ القُدسِ جُرْحٌ صارخٌ لم يزلْ يشكو العَدُوَّ الأقربا[٣]

ج) التكرار

وهو إظهار جهة مهمة في البيت أو الشطر العربي لغرضٍ، وقد فشى استخدامه في الشعر الحديث، وقد مرّ الكلام عنه في بداية هذا الفصل ـ وأنوّه إلى أقسامه هنا لارتباطها بالموسيقى الداخلية، وأقسامه هي:

---

١. سميح القاسم، *الأعمال الكاملة*: ١ / ٣٩٣.
٢. نزار قباني، *الأعمال السياسية*: ٣ / ٤٢١.
٣. سليمان العيسى، *فلسطينيات*: ص ٣٢.

١. التكرار البياني

وهو التأكيد على كلمة أو عبارة معينة كما في قصيدة «الرّحْلَتان» للشاعر نجيب جمال الدين:

بالقُدس صلّى وقد صَلَّى بها عُمَرٌ
هَلْ كُلُّ لامِعَةٍ صفراء
من ذَهَبِ؟
بالقُدْسِ صلَّى صَلاةَ العيد
مُبْتَهجاً بالسِّلْمِ .. بالنَّصْرِ ..
بالمرْحَى!.. بَلا تَعَبِ .. .[1]

فبهذا التكرار بيّن الشاعر وضع القدس في الحاضر والماضي وفرق الصلوات فيها.

٢. تكرار التقسيم

وهو تكرار عبارة أو كلمة في آخر كل مقطوعة شعرية. ونرى هذا النوع من التكرار عند الشاعر هارون هاشم رشيد في قصيدته «هذا العالم»:

وتركت مدينة القدس
تغوص في الأظلام
تغرق في القتام
وقيل عام القدس
هذا العام[2]

٣. التكرار اللا شعوري

وهو أن يأتي في حالة شعور عميق يصل إلى درجة المأساة واللا شعور،

---

١. نجيب جمال الدين، *قصائد إلى عاصمة المدن*: ص ٩٧.

٢. هارون هاشم رشيد، *مفكرة عاشق*: ص١٨ ـ ١٩.

فيرفع مستوى الشعور لدى المتلقي، فمن الممكن أن تتكرر لفظة أو عدة ألفاظ أو حتى بيت شعر بكامله.

ومثال ذلك قصيدة نزار قباني «شعراء الأرض المحتلة» إذ تكرر هذا البيت مرّات.

شعراء الأرض المُحتلَّةْ
ما عاد لأعصابي أعصابْ
حُرُماتُ القُدْسِ قد انتهكتْ
وصلاحُ الدين من الأسلاب
ونُسمِّي أنْفُسَنا كُتَّابْ؟؟[1]

وهكذا قصيدة الشاعر علي عقلة عرسان «يا راغب قم»[2] حيث كرّر فيها «للقدس طريق من أرنون» عدّة مرات وقصيدة الشاعر سميح القاسم «من القدس العتيقة»[3] وهذه الظاهرة لا تكاد تُحصى في شعر القدس.

د) الجناس والطباق

من الموسيقى الداخلية ذات الدور المهم «الجناس» وهو تشابه كلمتين مع اختلاف المعنى ونجد هذا في قصيدة نزار قباني «مفكرة عاشق دمشقي» إذ يقول:

هل من فلسطينَ مكتوبٌ يطمئنُني   عمَّنْ كتبتُ إليه، وهو ما كَتَبا[4]

وأمّا الطباق:

---

١. *الأعمال السياسية*: ٣ / ١٥٧.
٢. *الأعمال الشعرية*: ص ٣٧١.
٣. *الأعمال الكاملة*: ص ٢٨٤.
٤. نزار قباني، *الأعمال السياسية*: ٣ / ٤٢٢.

فهو الجمع بين لفظتين متقابلتين في المعنى، والمثال على هذا قصيدة الشاعر نفسه «منشورات فدائية»[١] وأيضاً قصيدة الشاعر بدوي الجبل «من وحي الهزيمة»:

هل دَرَتْ عَدْنٌ أن مَسْجدَها الأقصى   مكانٌ من أهله مهجورٌ
أين مسرى البُراقِ، والقُدْسُ والمَهْدُ   وبيتٌ مُقدّسٌ معمورٌ؟[٢]

رغم النظريات المتنوعة حول الشعر بشكل عام، إلاّ إنّ شعر القدس امتزج باللغة والمضمون وجعل القدس متحركة موّاجة تعيش الضمائر الإنسانية والقلوب النقيّة، والملاحظ أن موسيقى شعر القدس اختلفت عن غيرها لأنها موسيقى ألم وحزن، وجع وبكاء تارة وحماسة وثورة، نضال وكفاح، موت من أجل الحياة وحياة من أجل العزة والشموخ تارة أخرى.

بعض نتائج ما توصل إليه البحث في هذا الفصل

ـ استخدم الشعراء اسلوب الرمز أكثر من الأسلوب القصصي لا سيما في الأراضي الفلسطينية المحتلة، فعمد إليه الشاعر هرباً وخوفاً من العدو ولما فيه من جمال فني وغناء مضموني.

ـ يظهر أن نصيب القدس من الشعر المسرحي قليل جدا.

ـ بروز ظاهرة التكرار في شعر القدس أعطته موسيقى خاصة علاوة على معانيها المتنوعة والمقصودة.

ـ استخدم الشعراء الذين قالوا شعراً في القدس «الاستفهام» بشكل واسع جداً لإظهار مظلومية القدس وفلسطين تارة، ولبيان همجية

---

١. *المصدر*: ص ١٩٥.
٢. *الديوان*: ص ١٩٥.

وقساوة الاحتلال تارة أخرى، أو للإيقاظ أو التقريع.

ـ امتاز شعر القدس بالموسيقى والإيقاع المُبكي والحزين جداً.

ـ اتسمت قوافي شعر القدس بالقوّة (قافية الهمزة) وبدلالتها على القومية والقيم الإسلامية (قافية الدال ـ أمجاد ـ صمود ـ مهاد) وبدلالتها على النضال والمقاومة (قافية الحاء ـ كفاح ـ سلاح).

٣

فنون وخصائص شعر القدس

القدس والفنون الشعرية

١. الشعر الغنائي

الشعر الغنائي هو أغنية الإنسانية ورسالته التي يتغنّى بها، وفنّ يعبّر به عن أحاسيسه وعواطفه، فرحه وحزنه، حنينه وآلامه، سعادته ومأساته، فالقصيدة الغنائية هي «تجربة معينة عاشها شاعر معين، وهي تجسيد لموقف إنساني واحد، وتعبير عن الحالة النفسية والشعورية لشاعر واحد، فهي تجربة يخضع فيها الشاعر لأجواء خلقها لنفسه، بمحض إرادته، فهي خلاصة من عناصر الفكر، والشعور والوجدان الذاتي، المتصلة بنفسية الشاعر»[١] فهو يتحدث عن الأشياء ليخلق منها صورة متآلفة، متصلة، مترابطة، تنفجر من أعماق وجدانه وأحاسيسه وعواطفه، فيجسد أمام المتلقي تلك الأشياء فيعيشها هو كذلك ولقد اتجه جل شعراء القدس إلى هذه الحالة الشعورية، فغنوا للقدس وتغنوا بها لا سيما في العقود الأولى من الاحتلال الصهيوني،

---

١. علي جابر المنصوري، معجم: ص٢٨.

كما نرى في قصيدة «عرس المجد»[١] للشاعر عمر أبو ريشة:

يا روابي القدس يا مجلى السنا   يا رؤى عيسى على جفن النبي

وهكذا قصيدة «المدينة الحزينة» للشاعر هارون هاشم رشيد إذ يقول:

وقفت في أبوابها
بكيت في أعتابها
سجدت في محرابها
مدينة القدس التي
تضيء من عذابها
عشقتها، أحببتها
سكنت في أهدابها
فديت كل رملةٍ
تضيء من ترابها
مدينتي مشدوهةً
تهفوا إلى أحبابها[٢]

فالجرس اللفظي والرنة الشعرية ذات الإيقاع القوي المنبثق من أعماق نفسه الحزينة واضح في القصيدة، فالشاعر أكثرَ من استخدام الفعل الماضي ليدل على ارتباطه بالقدس وحنينه لها، فهو العاشق والمدينة معشوقته، يتغنى بها، يشعر بآلامها وأنينها، فلا يمكن لمرور الأيام والبعد أن يكونا حائلاً ومانعاً.

وأكثر شعر القدس قبل السبعينيات شعرغنائي لا سيما شعر الحنين والشعر الاجتماعي والقومي بشكل عام، والملاحظ أن شعر القدس الغنائي يتسم بالصدق العاطفي والجمال والانسجام والتعبير عن مشاعر الشاعر الجريحة،

---

١. عمر أبو ريشة، *الديوان*: ١ / ٣٣٥.

٢. هارون هاشم رشيد، *مفكرة عاشق*: ص٥٨ ـ ٦١.

وقد تطور هذا الشعر ابتداءً من قصيدة «الشهيد» للشاعر عبد الرحيم محمود.

وهو يستعمل البحر المتقارب الذي يقرب كثيراً من الروح الغنائية الحماسية:

سأحمل روحي على راحتي وألقي بها في مهاوي الردّى
فإمّا حياة تسرُّ الصديق وإما ممات يغيظ العدى
ونفسُ الشريف لها غايتان ورودُ المنايا ونيل المنى
وما العيشُ؟ لا عشتُ إن لم أكُنْ مخوفَ الجناب حرَامَ الحمى
إذا قلتُ أصغى لي العالمون ودوّى مقاليَ بين الورى
لَعمرُكَ إني أرى مصرعي ولكن أغُذُّ إليه الخُطى
أرى مصرعي دون حقّي السليب ودون بلادي هو المبتغى
يلذُّ لأذني سماعُ الصليل ويبهج نفسي مسيل الدما
لعمرُك هذا ممات الرجال ومن رام موتاً شريفاً فذا
فكيف اصطباري لكيد الحقود وكيف احتمالي لسوْم الأذى
أخوفاً وعندي تهون الحياة وذلاً وإنّي لربُّ الإبا
بقلبي سأرمي وجوه العداة فقلبي حديدٌ وناري لظى[1]

في بداية الاحتلال عام (١٩٤٨م) توجّب على الشعراء تبنّي قضايا أُمّتهم وقبول المسؤولية تجاه الوطن والوقوف بوجه العدو، فمن هنا برز الشاعر الملتزم الشهيد عبد الرحيم محمود ليحمل هموم أمته ليجاهد بالكلمة والبندقية معاً، فتغنى لمجابهة العدو الصهيوني حاملاً روحه على كفه يرى في الموت حياة، حياة الوطن، حياة الحريّة .. وفعلاً كتب حروف هذه القصيدة بدمائه الزكية في معركة الشجرة والتي تحولت إلى نشيد ترددە الأجيال إلى

١. عبد الرحيم محمود، *الأعمال الكاملة*: ص ٣١.

يومنا هذا فكلما تعمّق الوعي الفردي ازداد الشعر الغنائي ازدهاراً وقيمة ليجعل قضية القدس حية على طول التاريخ.

٢. القدس في الشعر القصصي والدرامي

ما من شك أنّ الشعر القصصي والدرامي ترك أثره في القدس وقضيتها، وفي المقابل كان للقدس الأثر البليغ فيه أيضاً، وإذا راجعنا السير التاريخي والتطوري لهذا الفن من الشعر نرى نواته في قصة امرئ القيس مع حبيبته:

سموتُ إليها بَعْدَ ما نامَ أهْلُها سُمُوَّ حُبابِ الماءِ حالاً على حالِ
فَقَالَتْ سَباكَ اللهُ إنكَ فاضِحِي ألستَ تَرَى السُّمَّارَ والناسَ أحْوالي
فقلتُ يمينَ اللهِ أبْرَحُ قاعداً ولو قَطَّعُوا رَأسي لَديْكِ وأوْصَالي [١]

وكذلك حواره مع صاحبته عنيزة:

وَيَوْمَ دَخَلْتُ الخِدْرَ خِدْرَ عُنَيزَةٍ فَقَالَتْ: لَكَ الوَيْلاتُ إنَّكَ مُرجلي
تَقُولُ وَقَدْ مَالَ الغبيطُ بنامَعاً عَقَرْتَ بَعيري يَا امْرَأَ القَيْسِ فَانْزِلِ [٢]

وأيضاً نرى شعر عمر بن أبي ربيعة قائماً على الحوار والقصة والدراما:

قال لي صاحبي لِيَعْلَمَ ما بي أتُحِبُّ القَتُولَ أُخْتَ الرَّبَابِ
قُلتُ: وَجْدِي بها كوجدك بالعذب إذا مامنعت طعم الشراب [٣]

ومن الحوار الذاتي قول أبي العتاهية مخاطباً نفسه:

يا نفسُ إنّ الحقَّ ديني فَتَذَلّلي ثُمَّ استكيني
فإلى مَتى، أنا غافلٌ يا نَفْسُ! وَيْحَكِ خَبِّريني [٤]

---

١. *الديوان*: ص ١٦١.
٢. *المصدر*: ص ١١.
٣. *الديوان*: ص ١٠٦.
٤. أبو العتاهية، *ديوانه*: ص ٢٨٣.

ولعل أوّل من طرق هذا الباب في قضية القدس وفلسطين هو برهان الدين العبوشي في محاولة مسرح قصصي سماه «شبح الأندلس» في مجموعة قصائد عمودية سجل فيها جانباً من نكبة عام ١٩٤٨م. وكذلك الشاعر محيي الدين الحاج عيسى أطلق على محاولته القصصية اسم «أسرة شهيد» صور فيها مأساة النكبة أيضاً. هاتان المحاولتان كانتا البوادر الأولية لاعتناق هذا الفن كما يقول عبد الرحمن الكيالي.[١]

وقد نضج الفن القصصي والدرامي لشعر القدس من عقد لآخر، كما سلكه الكثير من الشعراء أبرزهم: فدوى طوقان، محمود درويش، سميح القاسم، نزار قباني، توفيق زياد. فهاهي الشاعرة فدوى طوقان في قصيدة «إلى الوجه الذي ضاع في التيه» إذ تحكي لنا قصة تصرّف المحتلين لمدينة القدس العذراء وليلها الداجي ومآسي سكانها الأبرياء:

الأسى يهطل، ليل والقدس صمت
وقتام
حظروا التجوال، لا تطرق في
قلب المدينة
غير دقات النعال الدمويّة
تحتها تنكمش القدس كعذراء سبية
وعلى الساحة طائر ـ خرق السهم جبينه
وعلى الارض دخان وحطام[٢]

ونرى الشاعرة نفسها في قصيدة ثانية «إلى السيد المسيح في عيده»[٣] ـ بعد

١. عبد الرحمن الكيالي، *الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين*: ص ٣٣٨.
٢. فدوى طوقان، *ديوانها الليل والفرسان*: ص ٨٢ ـ ٨٣.
٣. *المصدر*: ص ٣٤ ـ ٣٥.

ما حاول المتآمرون على القدس تبرير الاحتلال وإعطائه الشرعية، كيف تفضح نوايا المحتل وتزيل التمويه عنه إذ تلجأ إلى الكتاب المقدس تستعير منه «قصة الكرّامين»[١] الذين قتلوا الكريم وادعوا الكرم:

قتل الكرّامون الوارث ياسيد
واغتصبوا الكرم!
وخطاة العالم ريّش فيهم طيرُ الإثم
وانطلق يدنّس طهر القدس
شيطاناً ملعوناً، يمقته حتى الشيطان!
يا سيد يا مجد القدس
من بئر الأحزان، من الهوة، من قاع الليل
من قلب الويل
يرتفع إليك أنين القدس
رحماك أجز يا سيد عنها هذي الكأس

فالصورة التي رسمتها الشاعرة في هذه القصة هي النموذج الحي للاحتلال الصهيوني.

وهكذا قد استخدم شعراء القدس الفن الدرامي من حوار مع الغير، وحوار داخلي ومسرحي فيصفون الحدث حتى يراه المتلقي واقعاً ملموساً، فهناك قصائد كثيرة يتوفر فيها هذا النمط من الشعر.

كما هو الحال في قصيدة «سرحان يشرب القهوة في الكافتيريا».[٢]

فهي قصيدة حوارية على الأسلوب السينمائي المونتاج، وكذلك القصيدة الدرامية للشاعر سميح القاسم «زنابق لمزهرية فيروز» ولأن الصورة لا تتم إلا

---

١. *الكتاب المقدس ـ العهد الجديد، إنجيل رقس*: ص ١٦٣.
٢. محمود درويش، *ديوانه*: ص ٢٢٩.

بنقلها كاملة فها هو نصّها:

من أين يا صديقة
حملت المزهرية
والنظرة الشقية؟
من القدس العتيقة
ومن ترى رأيت
في عتمة القناطر
من شعبنا المهاجر.؟؟
رأيت بنت عمك!
في طاقة حزينة
تبوح للمدينة
بهمِّها وهمّك
رأيت في الشوارع
ليلاً من العيون
وإخوة يبكون
وألف طفل ضائع
رأيت سائحين
وبائعاً يصيح
من يشتري المسيح
بحفنتي طحين؟
رأيت في المداخن
عصفورةً جريحة
وطفلةً كسيحة

تبكي على المآذن!
ومرةً .. سمعتُ
مغنّياً مهاجر
يصيحُ .. يا ضمائر
أضعت يومَ ضعتُ؟
هناك يا ابن عمي
حملت المزهرية
والنظرة الشقية
وقصةً عن أمي
عن أمي الضحيَّة
لدي يا صديقة
زنابقٌ حمراء
ألوانها دماء
من القدس العتيقة!
زنبقةٌ حزينة
من دمٍ بنت عمٍ
وجدتُها مذبوحة
في طاقة مفتوحة
تصيح بالمدينة:
قولي لابن عمي!
زنبقة بريئة
من مقلة مفقوءَة
لكنها تنادي: أراك يا بلادي!

زنبقةٌ ريّانة
من طفلة محروقة
تصيحُ: يا خليفة
مهلاً! أنا عطشانة!
زنبقة شريتها
من بائع مُجَندل
على سياجِ منزلِ
لكنني .. ما بعتُها!
إليك يا صديقة
زنابقي الحمراء
زنابقي الدّماء
كي تكمُلَ الهديّة
وردٌ .. ومِزهَريَّة
من القدس العتيقة![1]

القصيدة حوار، مسرحيّ، له نغماته الخاصة، فالشاعر حشد فيه مجموعة من الصور غير مترابطة يمكن تفكيكها لولا الإطار العام والكلي للقصيدة وذلك بهدف تقديم انطباع عام عن أحوال القدس وقضيتها، فالتصوير مباشر، والمشهد أليم ومأساوي.

لأن الدراما والأقاصيص في شعر القدس يختلفان عن غيرهما، فالقصة: قصة شعب يذبح، تقطّع أوصاله، تسبى شيوخه ونساءه، قصة الدّم المسفوح والطفل المذبوح، هذا ما تقوله فدوى طوقان[2]:

---

١. سميح القاسم، *الأعمال الكاملة*: ص ٢٨٤ ـ ٢٨٧.
٢. فدوى طوقان، *الليل والفرسان*: ص ٢٨ ـ ٢٩.

أحبّتي الصغار، خلف الأنهار يا أحبتي
عندي أقاصيص لكم كثيرة
غير حكايا السندباد، البحر،
غير قصة الجنّي والصياد،
وقمر الزمان والأميرة!
عندي أقاصيص هنا جديدة
أخاف لو أروي لكم أحداثها
أطفئ في عالمكم ضياءه
أخاف أن أروّع الطفولة
أهزُّ في جزيرة البراءة
رواسي الأمان والسكينة
أخشى على دنياكم الصغيرة
من قصص السجين والسجّان
من قصص النازيّ والنازيّة
في أرضنا، فإنّها رهيبة
يشيب يا أحبتي لهولها الولدان

فشعر القدس القصصي هو شعر اعتبار وعبرة، ممزوج بالواقع والحدث، من أجل مستقبل يحلم به الإنسان الفلسطيني المغلوب على أمره.

٣. القدس والشعر الملحمي

ويراد منه كما عرّفه «أميل يعقوب»[١] بأنه فن أدبي يقوم على الشعر البطولي، ويهدف إلى تعظيم شعور جماعي، ديني، أو وطني، أو إنساني، في سرد

---

١. أميل يعقوب، *قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية*: ص ٣٧٤.

قصصي رمزي، فقلّما نجد لهذا الفن الشعري أثراً في شعر القدس، وذلك لأسباب غامضة نأمل أن يقدم الشعراء ملحمة لبطولة القدس وبطولة الشعب الفلسطيني في القريب العاجل، إلاّ أنّ «السوافيري»[1] قد أشار إلى بعض الملاحم منها: ملحمة «النازحة» للشاعر اللبناني محمد شمس الدّين وتشتمل على ثمانية وثلاثين نشيداً وعدد أبياتها ١٩٠ بيتاً وهي تحكي قصة نازحة أجلاها العدو عن وطنها برفقة أمها وابنها ولسوء الحظ فقدتهما نتيجة الجوع والتعب المفرط وبقيت هي تتجرع كأس الأسى والحزن لتموت تدريجاً، يقول الشاعر:

وسرتُ وفي مُهجتي غصَّةٌ ... تئنّ على دمعة النازحة
وباتت فلسطين في خاطري ... وأبصرتُ غادتها النائحة
ودنيا القيامة لاحت ظلالها ... حزاني وصخرتها الصادحة
وعادت إلى القلب غرناطة ... ومأساةُ أندلس الذابحة
فأطبقتُ جفني على دمعةٍ ... وما أشبه اليوم بالبارحة[2]

الملحمة مطبوعة عام «١٩٥٠م» يبكي بها الشاعرُ القدسَ ويقارنها مع الأندلس ويرسم صورة الاحتلال فيها ولكنه يركّز على مأساة اللاجئين لا سيما الأمهات والأطفال فيها، هكذا تبدأ:

هذي بقايا أدمع قانية ... ومهجة، مكلومة، دامية
لملمتها، والليل، في صمته ... يرمقني، والنجمة السارية
.. ترسلها ليلى .. إلى ربها ... بقية، من روحها، باقية
باكية القلب، ويا لهفتا ... على أنين الغادة الباكية!!

---

١. كامل السوافيري، *الشعر العربي في مأساة فلسطين*: ص ٦٠٢ ـ ٦١٠.
٢. محمد شمس الدين، *النازحة من صور نكبة فلسطين*: ص ١٤.

أنـــشودة كئيبـــة فـــي فمـــي لكنهـــا فـــي أضـــلعي داويـــة
أبكـي بهـا القـدس ومـسرى العلـى وأنـــدب الأنـــدلس الثانيـــة ..[١]

ثم الشاعر يستنجد بالتاريخ ويورّق صفحاته المجيدة، فيرى من المستحيل أن تدنّس قدس محمدﷺ ومهد المسيح عليه السلام ويدوم الاحتلال قائلاً:

أيطلب صهيون مهد المسيح، ومسرى محمد، قدس العُلى؟!
ونحن لنا المجدُ والخالدات من الدهر، نحن أسود الفلا
سنسحقه، أو يخوض البحار، ليلقى بها ليله الأليلا
تركنا، على الدهر دنيا الحضارة تزهو، ومجداً غدا أولا
وذا ركبنا يتخطّى الحدود ليبطش بالغادرين الألى[٢]

ولهذا فالشاعر يشيد بالأمجاد ثم يذكر أن النازحة تقدّم زوجها قرباناً للوطن وللقدس والإسلام، لكنّها لن تنثني مهما كلّف الأمر:

وكفّنته بالدموع السواكب، والهفتا للدموع السكيبه!
وخلفي أمٌ تشق الجيوب، وطفلٌ يذوِّب حزناً نحيبه
يقول له: «بابا»، إن اللئيم سيرجع فانهض ومزّق دروبه![٣]

ثم يتخيل الشاعر الزحف العربي ـ والإسلامي ـ نحو فلسطين والقدس قائلاً:

فلسطين .. يا قدس الأنبياء ويا كعبة الظامئين الحجيجْ
أفيقي على جلجل الانتصار، وصبّي العذاب. تميتي العُلوج ..
سلامٌ على قدسك المستظل، بنور السماء، وسرِ الثلوج .. .[٤]

فالشاعر قد أجاد في تقديم الصور الجمالية حيث استاق صوره من

---

١. *المصدر*: ص٢٣.
٢. *المصدر*: ص٢٩.
٣. *المصدر*: ص٢٩.
٤. *المصدر*: ص٣٩.

التاريخ، والمأساة، ومزج ما بين الخيال والواقع واستخدم التشبيه والاستعارة بشكل واسع ولكن الملحمة تبقى إلى حد ما غير ناضجة وفيها من الغموض في المعنى مالا يخفى إضافة إلى استعمال الألفاظ العامية أحياناً.

وذكر السوافيري أيضاً ملحمة باسم النخيل للشاعر اللبناني محمد علي الحوماني ولكن الشاعر لم يتعرض للقدس فيها، ورأيت من المناسب أن يتوقف البحث عند ملحمة الشاعر الفلسطيني محمود الحوت وذلك لما فيها من دروس ومعان راقية.

الملحمة تحتوي على ستة وعشرين نشيداً، ويتألف كل نشيد من ثمانية أبيات على وحدة الوزن واختلاف القافية، تحكي الملحمة حوادث نكبة عام «١٩٤٨ م» بنقد لاذع وسخرية قاتلة، يقول الشاعر:

سبعٌ من الدول الكبرى تناصرها ... شهراً، فكان الذي قد كان من خطب

أما الثلاثون عاماً وهي راويةٌ ... عن كبحنا أُمّتي قهرٍ ومستلب

فلم تنل من شباب راح يُضرمها ... في وجه ملتجىء، منهم ومغتصب

ليت العروبةَ في أبّان وثبتها ... لم تشهر السيف بتاراً ولم تثب

إذن لكان لها في قلبهم هلعٌ ... وكان بعض الذي نبغيه من أرب[١]

نلاحظ في هذا النشيد الثاني من الملحمة كيف سخر الشاعر من المشاركين في حرب فلسطين عام (١٩٤٨م) فنجده يحكي القصة والحماسة والفخر بأسلوب ملحمي، ولكنه بلغةٍ كمديّة مليئة بالسخرية ثم يعجب من الذي جرى وحدث في القدس وفي فلسطين إذ لم يكن له شبه في التاريخ، لذا يتساءل قائلاً:

فهل سمعتَ بحرب كالتي نكبوا ... بها فلسطين، واجتاحوا أهاليها

١. محمود الحوت، *المهزلة العربية*: ص٦.

وشتّتوهم ضحايا هائمين على وجوههم بعد تركين العدى فيها
وعاد كلٌّ إلى الأوطان تُرهقه رسالةٌ كان في الأقصى يؤدّيها[1]

نشاهد بوضوح أن الشاعر سَلَكَ مسلك اللّوم واليأس ولكنه سرعان ما عاد ودعا إلى الوحدة والتضامن ثم يأخذ بتحليل الفاجعة فيرى قضية الاحتلال والنكبة هي نتيجة لمؤامرة كان منذ الابتداء هدفها الأقصى والقدس وفلسطين فيقول في النشيد الرابع عشر:

ما كنت إلّا على الأقصى مؤامرة حقيرة حاكها تفكير رعديد
وسار فيها صنيعها غاية لَؤُمت موحى إليه وموح بعد تمهيد
فسيّرا من شباب العرب خيرتهم إلى وغى واعتراكٍ غير محمود
وكلما اقتحم الميدان باسهم وأوغلوا، أقفاهم في المواعيد!![2]

الملحمة محاولة جادة تناسب العواطف والأحاسيس وقد اختار الشاعر الألفاظ الواضحة والسهلة، ولكن يظهر أنّها لا تتسم بالجزالة ويمكن أن يقال إنّ الشاعر كان في بداية محاولته الشعرية، وفيها من القوة مالا يخفى إذ استاق الشاعر صورة من الجرح النزيف وواقع الحدث وقد استعان بالماضي ليستدرك المأساة ويقدم بعض العلاج.

وقد ذكر الدكتور عبد الرحمن الكيالي ملحمة للشاعر الفلسطيني عصام حماد تحت عنوان «ديان بيان فو» وهي مخطوطة يخلّد فيها بطولة الشعب «الفيتنامي» حين أسقط قلعة «ديان بيان فو» ويتمنى «عصام» أن يسمع أصداء البطولة في القدس، إذ يقول:

وانّ عليهم هنا واجباً يؤدّونه في ثرى الفيتنام

---

١. *المصدر*: ص٧.
٢. *المصدر*: ص١٨.

يمجده الغفر الحرفي الخافقين
فتسمع في القدس أصداؤه
وتلمح آثاره في العراق
وفي مكة وضفاف الخليج
ومصر وتونس والمغرب[1]

خصائص وسمات شعر القدس

١. الخطابية المفرطة والمباشرة

«الشعر الفلسطيني هو الذي أيقظ الغافلين ونبّه النيام، واستنهض الهمم، وقاوم الاستعمار وفضح أساليب ختله وخداعه، وكشف القناع عن دسائس الصهيونية، وهو الذي نشر الوعي، وبصّر بالحقائق وتنبّأ بالكارثة وتوقّع المأساة واستلهم العبرة من الأندلس، وهو الذي حضّ على الثورة وألهبَ المشاعر، وهو الذي مجّد البذل، وقدّس التضحية وترنّم بالفداء وخلّد الشهداء»[2] بالأحاسيس الساخطة وبصوت من التشنجات العاطفية المتفجرة، فمنذ وعد بلفور «١٩١٧» ـ الذي أحسّ فيه الشاعر بضياع الوطن والقدس إلى يومنا هذا ـ تماشياً مع التطورات والأحداث، لذا تفجرت نبرة صوته عندما رأى الممارسات الصهيونية وقسوة العدو، فاتّسم الشعر بالخطابية المفرطة والنغمة الإرشادية الوعظية الشديدة في بداية المؤامرة واشتدت هذه اللهجة الخطابية بعد نكبة عام «١٩٤٨م» لأنها الأكثر تناسباً مع الحدث، يبدو ذلك جلياً في كثير من قصائد حسن البحيري، محمود درويش، يوسف الخطيب، هارون هاشم رشيد، سليمان العيسى، نزار قباني وغيرهم كما نلاحظ في

---

١. عبد الرحمن الكيالي، *الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين*: ص ٣٣٩.
٢. كامل السوافيري، *الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين*: ص ٣٠١.

قصيدة «الحب والبترول» للشاعر نزار قباني قائلاً:

فبعتَ القدسَ ..
بعتَ الله ..
بعتَ رمادَ أمواتِك ..
كأنَّ حِرَابَ إسرائيلَ لم تُجهض شقيقاتِك ..
ولم تهدُم منازلَنا ..
ولم تُحرقْ مصاحفَنا..
ولا راياتُها ارتفعت ..
على أشلاء راياتك ..
كأنَّ جميعَ مَنْ صُلبُوا ..
على الأشجار في يافا .. وفي حيفا ..
وبئر السبَع .. ليسوا من سُلالاتك ..
تغوصُ القدسُ في دمها،
وأنتَ صريعُ شهواتِك[١]

لا تخفى النبرة الحادة والخطابية المفرطة في جمل وألفاظ هذه الأشطر من القصيدة فهي أقرب شيء إلى الجَلد والضرب العنيف، فصوّر الشاعر أولئك المتهاونين بقضية القدس، بأنّهم باعة القيم والمعتقدات والتراث، فهم بلا دين ولا تراث لهم ولا غيرة ولا حمية، وذلك لأن القدس تغوص بالدم وهم يغوصون في لذاتهم وشهواتهم، لهذا استخدم الشاعر الألفاظ العنيفة والمباشرة فهي معركة لفظية استخدمت فيها كل وسائل التنديد والتجريح من أجل كرامة القدس، وقد استمرت إلى يومنا هذا وتستمر إلى تحريرها من الاحتلال الإسرائيلي.

ويأتي الشاعر المغترب هارون هاشم رشيد في الدرجة الثانية بعد نزار

---

١. *الأعمال السياسية*: ٣ / ٦٧ ـ ٦٨.

قباني حيث اتَّصف شعره وامتاز بهذه الصفات كما نلاحظ في قصيدته «الحريق»:

ليحترق كلامنا
لتحترق أقلامنا
لتحترق كل معاني
الكبر في بلادنا
لتحترق أعلامنا
فالمسجد الأقصى احترق
المسجد الأقصى احترق
ليحترق كل الذي شراعه كلام
وعمره كلام
وعيشه كلام
فراية الإسلام
احترقت ..
والمسجد الحرام
منكّس الآيات والأعلام[1]

فنلاحظ الألفاظ ـ ليحترق ـ لتحترق ـ ساحنة، ساخطة، تلتهب مع الأقصى بروح متوترة وصوت صارخ ومتفجّر حاملٍ للغضب والتنديد والرفض، فصيغ الأمر مع لام التأكيد لها وقعها وشدتها الخاصة مما جعلتها تناسب ما حل بالحرم والمسجد الأقصى والقدس الشريف.

هذا النمط سواء أكان عمودياً أو شعر تفعيلة فهو كثير في شعر القدس

١. هارون هاشم رشيد، *مفكرة عاشق*: ص٥٢ ـ ٥٣.

ولا شك أنه خدم القضية إذ جعلها دائماً تغلي في الصدور.

لكنَ هذه الخطابية قلّت من حدتها واتجهت للاستقلال والتعقل بعد الانتفاضة الأولى.

٢. البساطة والوضوح

استطاع الشاعر الذي كتب في القدس شعراً، أن يستخدم لغة الشارع، اللغة العامة عند الناس وذلك لأن القدس قدسهم، والقضية قضيتهم واللغة السهلة والواضحة هي السبيل إلى القلوب وهذا ما جاء على لسان محمود درويش إذ يقول:

قصائدنا بلا لون، بلا طعم بلا صوت إذا لم تحمل المصباح من بيت إلى بيت
وإنْ لم يفهم البسطا معانيها فأولى أن نذرّيها ونخلد نحن للصمت[١]

ويؤكد هذا المضمون الشاعر نفسه في موضع آخر:

أجمل الأشعار ما يحفظه عن ظهر قلب كل قارئ ..
فإذا لم يشرب الناس أنا شيدك شرب
قل، أنا وحدي خاطئ[٢]

التأكيد على دور الشعر الجماهيري في وطننا العربي ـ والإسلامي ـ تنقصه واقعة مؤلمة، تلك هي نسبة الأمية المتفشية بين أبناء الأمة العربية ـ والإسلامية ـ إذ تزيد على ثلاثة أرباع مجموع السكان[٣]. أقول: يظهر أن هذه الاحصائية قديمة جداً.

أشهر شعراء هذا المسلك ـ أي الشعر البسيط والسلس وذو المعاني والأفكار الواضحة ـ هم: هارون هاشم رشيد، محمود درويش، نزار قباني،

---

١. *الديوان*: ص ٥٥.
٢. *المصدر*: ص ٦٥.
٣. صالح أبو أصبع، *الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة*: ص ٣٧٨.

سليمان العيسى، عبد الله يوركي حلاق، حسن البحيري، ابتعدوا عن التكلّف والتعقيد والابتذال اللفظي لينتقل الشعر إلى المتلقّي بأحاسيس الشاعر وعواطفه وبأسلوب ملائم ويتناسب مع الموضوع كما نشاهده في قصيدة «المسجد الأقصى» للشاعر حسن البحيري، إذ يقول:

وقفتُ في «المسجد الأقصى» أسائلُهُ والنّارُ في جَنَباتِ الصّدرِ تَستعِرُ
ما بالُ محرابِكَ الطُّهريُّ تغمُرُهُ ظلالُ غمٍ دُجاها ليس ينحَسِرُ
وما لمِنبرِكَ القدسيِّ مكتئباً فما عليه لصوتِ الحقِّ مُنتَبِرُ
وللمآذنِ قد غابتْ أهِلّتُها فما عليها لإشراقِ الُهدى أثَرُ
فقالَ مُستعبراً والرَّوعُ يُنطِقُهُ والأرضُ من تحته البُركانُ ينفجرُ:
رَمَى البغاةُ رِحابي رَمْيَ منتقِمٍ وليس لي من مَرامي حِقدِهم وَزَرُ
وليس لي من ذَوي القُربى أخو شَمَمٍ وليس لي من طُغاةِ الَجورِ مُنْتَصِرُ[١]

نلاحظ سهولة وبساطة الصياغة والمفردات في هذه القصيدة فإنها قد تصل إلى الكلام المنثور لولا نظامها وموسيقاها الشعرية. ومن البديهي فإن تكرار المفردات والمصطلحات ساعد على وضوح شعر القدس وبساطته إذ يكاد ينحصر معجم الشعر في محور البحث في ألفاظ محدودة ومفردات معدودة أقرب شيء للمعجم اليومي المستعمل عند عامة الناس في هذه البلاد، وكما يرى الدكتور محمد غنيمي هلال، بأن الكلام إذا كان لفظه حلواً عذباً، سلسلاً سهلاً، ومعناه وسطاً دخل في جملة الجيد وجرى مع الريح.[٢]

---

١. *لفلسطين أغني*: ص ٨٣ و ٨٤.
٢. *النقد الأدبي الحديث*: ص ٦٠٧.

٣. روح العقيدة والالتزام والمقاومة

روح العقيدة والالتزام والمقاومة الذي حمله لنا شعر القدس في محاور البحث، هو الشعر الذي لم يحمل لنا البكاء والنواح واليأس وروح التراجع والتقهقر بل حمل للدنيا وللأجيال القادمة روح العقيدة والمقاومة وذلك لأنه لم ينكب وينطوِ على نفسه تحت ظاهرة الانتكاسات الذاتية بل جعلها جسراً يمر عليه ومنطلقاً نحو أهدافه السامية وتحرير أرضه، ليس هو كما يقول أدونيس .. بأن شعر المقاومة شعر احتجاج ليس إلا، حيث لا يرى في الأرض المحتلة شعر مقاومة حمل روح العقيدة والجهاد وكل ما هناك أنه شعر وصفي وثناء لحركة المقاومة.[1]

إذ أننا نرى منذ وعد بلفور (١٩١٧) وإعلان دويلة إسرائيل ونتيجة تخاذل وتقاعس بعض الحكام انطلق شعر المقاومة قوياً مجاهداً صامداً يذب ويدافع عن الأرض في الكلمة كما يدافع المجاهد في رفضه وسلاحه فتغنّى للمقاومة وحمل الحجارة وحمل روح التضحية والعقيدة.

ولقد كان من ثماره صمود مدينة القدس وانتفاضتها المتكررة، ولأنه ذكرنا الكثرة من الشعر الذي يدل على هذا المضمون في محله - الثورة والجهاد - الانتفاضة المقدسة - فهذه الظاهرة يمكن ملاحظتها جليّة في شعر القدس.

ويمكن أن أنوّه إلى أن شعراء المقاومة هم:

محمود درويش، سميح القاسم، توفيق زياد، راشد حسين، محمود عبد الرحيم، هارون هاشم رشيد، علي عقلة عرسان، خالد أبو خالد، سليمان العيسى، عبد الله يوركي حلاق، فدوى طوقان، سلمى خضراء الجيوسي، نزار قباني، ونجيب جمال الدين، وعبد الكريم الكرمي « أبو سلمان » وكمال رشيد والخ..

---

١. أدونيس، *زمن الشعر*: ص ١٧٢.

بعض نتائج ما توصل إليه هذا الفصل

ـ الخطابية والمباشرة في بداية الاحتلال عام(١٩٤٨م) واستمرت هذه الصفة الشعرية إلى أواخر السبعينيات إذ المأساة أخرجت الشعر من الغنائية والرومانسيّة إلى الخطابية والمباشرة نتيجة الحدث الفادح والحاجة الماسة إلى التحريض والنضال، وعاد شعر القدس إلى هذه الصفة مرّة أخرى نوعاً ما بعد الانتفاضة الأولى.

ـ شعر القدس الملحمي والمسرحي لم يأخذ مكانته المناسبة وإلى الآن رغم بعض المحاولات التي قام بها البعض أمثال الشاعر محمد شمس الدين ومحمود الحوت. ومن المناسب أن يقدّم الشعراء ملحمة شعرية شاملة لمدينة القدس وفلسطين.

ـ الشعر القصصي والدرامي لعب دوراً كبيراً في قضية القدس مما جعل الحدث وما تمر به القدس حيّاً لا يغيب عن الأذهان، وكان الدور الفاعل للشاعرة فدوى طوقان وسميح القاسم ومحمود درويش. وغالباً رُكّزَ على مأساة اللاجئين والأطفال وما عانته وتعانيه القدس من قساوة الاحتلال.

ـ اتسم شعر القدس بالرقّة والوضوح وبساطة القاموس اللغوي كما نشاهد شعر أكثر الشعراء أمثال نزار قباني، هارون هاشم رشيد، حسن البحيري، محمود درويش، ولعل السبب في ذلك أنّ القدس ليس قضية فنية يعرض الشعراء عضلاتهم فيها، بل هي قضية الإنسان المظلوم، قضية الشعب المنكوب، قضية الاحتلال والدمار والويلات و.. لذا أراد الشاعر أن يفهم الجميع حتى أبسط إنسان يدبُّ على وجه الأرض.

ـ اتسم شعر القدس غالباً بالالتزام وروح العقيدة الإسلامية والمسيحية وذلك لمكانة القدس السماوية لدى الأديان الثلاثة، نلمس هذا في شعر نزار قباني، هارون هاشم رشيد، حسن البحيري، علي عقلة عرسان، عبد الكريم الكرمي، محمود درويش و.. غيرهم.

شعراء محور البحث

أبو خالد، خالد محمد صالح أحمد

ولد في قرية سيلة الظهر بفلسطين عام (١٩٣٧م)

أعماله الشعرية:

وسام على صدر الميليشيا، بيروت، دار الآداب، ١٩٧١.

قصائد منقوشة على سلة الأشرفية، جريدة فتح، ١٩٧١.

تغريبة خالد أبو خالد، بيروت، دار الطليعة، ١٩٧٢.

أغنية حب عربية إلى هانوي، بغداد وزارة الإعلام العراقية، ١٩٧٣.

شاهراً سلاسلي (سلاحي) أجيء، بيروت، الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، ١٩٧٤.

الجندل في منتصف الليل، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٧٤.

بيسان في الرماد، بيروت، دار العودة، ١٩٧٨.

أسميك بحراً، أسمي يدي الرمل، المغرب، المجلس القومي للثقافة، ١٩٩٠.

فرسان كنعان الفتى، ١٩٩٥.

أبو ريشة، عمر

ولد في منبج سوريا عام (١٩١٠ ـ ١٩٩٠م).

أعماله الشعرية:

ديوان عمر أبو ريشة، بيروت، دار العودة، ١٩٧١.

الأعمال الشعرية الكاملة، مجلدان، بيروت، دار العودة، ٢٠٠٥.

أمرك يارب، نشرت في الأعمال الشعرية عام ٢٠٠٥.

من وحي المرأة.

فيصل.

الجواب بالانجليزية، ١٩٥٩.

أبو سلمى، عبد الكريم

ولد في طولكرم عام (١٩٠٧ ـ ١٩٨٠م)

آثاره الشعرية:

المشرد، ١٩٥١.

أغنيات بلادي.

من فلسطين ريشتي.

ديوان أبي سلمى، ١٩٧٨ و١٩٨١.

أدونيس، علي محمد سعيد

ولد في قرية قصابين باللاذقية عام (١٩٣٠م).

أعماله الشعرية:

دليلة، دمشق ١٩٥٠.

أوراق في الريح، بيروت، في الخمسينيات.

التحولات والهجرة، بيروت، ١٩٦٥ و١٩٨٨.

أغاني مهيار الدمشقي، بيروت، ١٩٦٧و ١٩٨٨.

المسرح والمرايا، بيروت، ١٩٦٧و ١٩٨٨.

وقت بيت الرماد والورد، بيروت ١٩٧٠ و١٩٨٠.

مفرد بصيغة الجمع، بيروت، ١٩٧٧ و١٩٨٨.

القصائد الخمس، بيروت، ١٩٧٩.

هذا هو اسمي، بيروت، ١٩٨٨.

احتفاء بالأشياء الواضحة الغامضة، بيروت، ١٩٨٨.

الأعمال الشعرية الكاملة، مجلدان، بيروت، ١٩٨٨.

الكتاب (أمس ـ المكان ـ الآن) ثلاثة مجلدات، ١٩٩٥، ١٩٩٦.

أسر، حنا

ولد في الطيبة بفلسطين عام (١٩٢٥م)

أعماله الشعرية:

أمة وجراح، بوينس أيرس، دار ميسلون ومؤسسة البلاد القدس، ١٩٨٠.

ديوان باللغة الإسبانية، بوينس آيرس، ١٩٨٦.

أمين زياد، توفيق

ولد في الناصرة بفلسطين عام (١٩٢٩ ـ ١٩٩٤)

آثاره الشعرية:

أشد على أيديكم، بيروت، دار العودة، وحيفا، مطبعة الاتحاد، ١٩٦٦.

أغنيات الثورة والغضب، بيروت، ١٩٦٩.

كلمات مقاتلة، عكا، دار الجيل، ١٩٧٠.

الأعمال الشعرية الكاملة، مجلد واحد، بيروت، دار العودة، ١٩٧١.

تهليلة الموت والشهادة، بيروت، دار العودة، ١٩٧٢.

سجناء الحرية وقصائد ممنوعة أخرى، الناصرة، مطبعة الناصرة، ١٩٧٣.

ادفنوا موتاكم وانهضوا، بيروت، دار العودة، ١٩٨٥.

البحيري، حسن

ولد في حيفا بفلسطين عام (١٩١٨ أو ١٩٢١ ـ ١٩٩٨م)

أعماله الشعرية:

حيفا في سواد العيون، دمشق، مطابع العلم، ١٩٧٣.

لفلسطين أغني، دمشق مطبعة دار الحياة، ١٩٧٩.

ظلال الجمال، دمشق، مطبعة الحياة، ١٩٨١.

الأنهر الظمأى، دمشق، مطبعة دار الحياة، ١٩٨٢.

تبارك الرحمن، دمشق، دار الفكر، ١٩٨٣.

جنة الورد، دمشق، دار المعارف، ١٩٨٩.

رجاء، دمشق، مطبعة الصباح، ١٩٩٠.

الأصائل والأسحار، دمشق، مطبعة الصباح، ١٩٩٠.

أفراح الربيع، دمشق، مطبعة الصباح، ١٩٩٠.

رسالة في عيد، دمشق، ١٩٩٠.

ابتسام الضحى، دمشق، مطبعة الصباح، ١٩٩٠.

لعيني بلادي، دمشق، مطبعة الصباح، ١٩٩١.

سأرجع، دمشق، مطبعة الصباح، ١٩٩٤.

ألوان، دمشق، مطبعة الصباح، ١٩٩٥.

دعابة بين الجد والهزل، دمشق، مطبعة الصباح، ١٩٩٦.

حبيبتي حيفا، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠١.

البرادعي، خالد محيي الدين

ولد في يبرود سوريا عام (١٩٤٣م).

أعماله الشعرية:

بدءاً من حزيران، دمشق، ١٩٦٩.

أناشيد للأنصار، الكويت، ١٩٦٩.

صور على حائط المنفى، بيروت، ١٩٧٢.

قصائد في النضال والحب، دمشق، ١٩٧٣.

الرحيل نحو المستقبل، دمشق، ١٩٧٤.

الغناء بين السفن التائهة، بغداد، ١٩٧٤.

القبلة من شفة السيف، دمشق، ١٩٧٤.

رسائل إلى سيدة غريبة، تونس، ١٩٧٥.

حكايات إلى أسرة من يبرود، الكويت، ١٩٧٦.

تداعيات المتنبي بين يدي سيف الدولة، دمشق، ١٩٧٦.

الحب الفتي، دمشق، ١٩٨١.

عبد الله والعالم، ١٩٩٣.

يوم غابت فاطمة، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٣م.

البستاني، وديع

ولد في الدبيّة بلبنان عام (١٩٨٨ ـ ١٩٥٤م)

آثاره الشعرية:

السعادة والسلام، شعر ونثر، معرب، ١٩١٠.

معنى الحياة، شعر ونثر، معرب، ١٩١٠.

رباعيات الخيام، ١٩١٦.

الفلسطينيات، مصر دار المعارف، ١٩٤٦ وبيروت، دار البشائر، ١٩٨١.

مجاني الشعر، مخطوط.

ذكر الفراق، مخطوط.

إلى ذي عبقر، مخطوط.

كلمة ورد شعر ونثر معرّب، مخطوط.

رباعيات أبي العلاء مخطوط، بالانجليزية.

بسيسو، معين توفيق

ولد في غزة بفلسطين عام (١٩٣٠ ـ ١٩٨٣).

أعماله الشعرية:

المعركة، ١٩٥٢.

المسافر، ١٩٥٢.

الأردن على الصليب، القاهرة، دار الفكر، ١٩٥٧

فلسطين في القلب، بيروت، دار الآداب، ١٩٦٥.

الأشجار تموت واقفة، بيروت، دار الآداب، ١٩٦٦.

كراسة فلسطين، بيروت، دار العودة، ١٩٦٦.

مارد من السنابل، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، ١٩٦٧.

قصائد مصرية (مشتركة) القاهرة، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧.

القتلى والمقاتلون السكارى، بيروت، دار العودة، ١٩٧٠.

جئتك لأدعوك باسمك، بغداد، وزارة الإعلام، ١٩٧١.

دفاتر فلسطينية، بيروت، دار الفارابي، ١٩٧٨.

الأعمال الشعرية الكاملة، بيروت، دار العودة، ١٩٨١.

القصيدة، بيروت، دار ابن رشد، ١٩٨٥.

الآن خذي جسدي كيساً من الرمل.

حينما تمطر الأشجار شعراً.

الجبل، بدوي (محمد سليمان الأحمد)

ولد في ديفة بسورية عام (١٩٠٣ ـ ١٩٨١م)

آثاره الشعرية:

ديوان بدوي الجبل، بيروت، دار العودة، ١٩٧٨؟

الأعمال الشعرية الكاملة، بيروت، دار العودة.

جمال الدين، نجيب مصطفى

ولد في مقنة بلبنان عام (١٩٢٣م).

أعماله الشعرية:

الكتابة على أعمدة الشمس، دمشق، وزارة الثقافة، ١٩٧٦.

قصائد إلى عاصمة المدن الشرقية، دمشق، المساحة العسكرية، ١٩٨٢.

المعلقات السود والذئب، دمشق، دار طلاس، ١٩٨٤.

الجندي والجنرال، تسجيل صوتي، مكتبة الأسد، ١٩٩٠.

على هامش العاشر من شباط، دمشق، ١٩٩٥.

المراثي، حمص، دار المعارف، ١٩٩٩.

سنابل الغضب

حرائق على الثلوج.

على ملحمة الإنسان الكبرى.

النهر.

الرياح.

الآلهة

النهر والمرايا.

الكتابة بالمثلثات والألف الكوفي.

حامد، محمود

ولد في صفد بفلسطين عام (١٩٤١م)

أعماله الشعرية:

موت على ضفاف المطر، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٨٣.

أغان على شفاه الصنوبر، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٨٥.

افتتاحيات الدم الفلسطيني، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٠.

شهقة الأرجوان، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٠.

مسافة وردة تكفي، دمشق اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠١.

بيسان، دمشق، وزارة الثقافة، ٢٠٠٢.

الحاج عيسى، محي الدين

ولد في صفد فلسطين عام (١٩٦٠ ـ ١٩٧٤م)

آثاره الشعرية:

من فلسطين وإليها، حلب، المطبعة السورية، ١٩٧٥.

مصرع كليب، مسرحية شعرية، القاهرة، الباب الحلبي، ١٩٤٧.

أسرة شهيد، مسرحية شعرية، دمشق، ١٩٦٦.

الحامد، بدر الدين

ولد في حماه عام (١٨٩٩ ـ ١٩٦١م)

آثاره الشعرية:

ديوان بدر الدين الحامد، دمشق، وزارة الثقافة، ١٩٧٥.

مسرحية ميسلون، مسرحية شعرية، حماه، مطبعة أبي الفداء، ١٩٤٦.

الحصني، عفيفة

ولدت في دمشق عام (١٩١٨م)

أعمالها الشعرية:

وفاء، القاهرة، الدار القومية، ١٩٦٦.

شهيد التضحيات، القاهرة، مطابع الناشر العربي، ١٩٧٠.

ولاء، القاهرة، مطبعة العاصمة، ١٩٧١.

عازفة القيثار، دمشق، المطبعة القومية، ١٩٧٨.

سراب البحر، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٨٩.

مرايا ونساء، دمشق، دار مجلة الثقافة، ١٩٨٢.

وطني، دمشق، دار المسبار، ٢٠٠٠.

حلاق يوركي، عبد الله

ولد في حلب بسورية عام (١٩١١ ـ ١٩٩٦)

أعماله الشعرية:

خيوط الغمام، حلب، مطبعة كامل السبع، ١٩٤٢.

حصاد الذكريات، حلب، مطبعة الضاد، ١٩٦٦.

عصير الحرمان، دمشق، وزارة الثقافة، ١٩٩٠.

أسديات، دمشق، ١٩٩٣.

الحمصي، عبد الكريم خلف

ولد في درعا بسورية عام (١٩٥٠م)

أعماله الشعرية:

ألحان من اليرموك، دمشق، مطبعة الاتحاد، ١٩٩٢.

أسراب الشذى وهديل الغمام، دمشق، ١٩٩٦.

صور من صور، ١٩٩٧.

بطولة من نوع آخر.

حمصي، خضر

ولد في سوريا عام (١٩٣١)

أعماله الشعرية:

رسالة قلب، حماه، المطبعة الأهلية، ١٩٥٥.

دمشق يا حبيبتي، دمشق، ١٩٩٢.

قطار العمر، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٣.

العزف على قيثارة الحب والوطن، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٧.

حنين المسافر، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٩.

ولو عشت في الفردوس، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٠.

الليل والطريق، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠١.

الحب الكبير.

عرس لعينك يا أمتي

الخطيب، يوسف محمود

ولد في دور الخليل بفلسطين عام (١٩٣١).

آثاره الشعرية:

العيون الظمأى للنور، دمشق، المطبعة العمومية، ١٩٥٥.

عائدون، بيروت، دار الآداب، ١٩٥٩.

واحة الجحيم، بيروت، دار الطليعة، ١٩٦٤.

أكاد أؤمن، قصيدتان في كراس صغير، دمشق، ١٩٦٥.

الوطن المحتل، دمشق، دار الحياة، ١٩٨٨.

مجنون فلسطين، تسجيل صوتي، المكتبة الإلكترونية، دمشق، ١٩٨٠.

رأيت الله في غزة، دمشق، دار فلسطين، ١٩٦٨.

بالشام أهلي والهوى بغداد، دمشق، دار فلسطين، ١٩٨٨.

بلا عنوان، بيروت، الذاكرة، ٢٠٠٣.

الخوري، ناصر

ولد في السويداء بسوريا عام (١٩٣٩م)

أعماله الشعرية:

سنابل، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٧٩م.

هل يورق الحزن حباً؟ دمشق اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٤.

لمجدك يحلو الوفاء، دمشق، ١٩٦٦.

خير بك، جابر

ولد في اللاذقية عام (١٩٣٣م)

أعماله الشعرية:

بيادر عطر، دمشق، دار مجلة الثقافة، ١٩٩٢.

الرياحين، قصائد للأطفال، دمشق، دار المجد، ١٩٩٢.

ضحى، دمشق، مطابع دار مجلة الثقافة، ١٩٩٦.

عبير القوافي، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٠.

شوارد النغم، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٢.

درويش، محمود سليم حسين

ولد في البردة بفلسطين، عام (١٩٤١م)

أعماله الشعرية:

عصافير بلا أجنحة، بيروت، دار العودة، ١٩٦٠.

آخر الليل نهار، دمشق، مؤسسة الوحدة للطباعة والنشر، ١٩٦٨.

يوميات جرح فلسطيني، بيروت، دار العودة، ١٩٦٩.

كتابة في ضوء بندقية، بيروت، دار العودة، ١٩٧٠.

حبيبتي تنهض من نومها، بيروت، دار العودة، ١٩٧٠.

ديوان محمود درويش، بيروت، دار العودة، ١٩٧١.

مطر ناعم في خريف بعيد، بيروت، ١٩٧١.

الأعمال الشعرية الكاملة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات، ١٩٧٣.

جندي يحلم بالزنابق البيضاء، بيروت، دار العودة، ١٩٧٣.

أحبك أو لا أحبك، بيروت، دار العودة، ١٩٨٠.

محاولة رقم ٧، بيروت، دار العودة، ١٩٨٤.

تلك صورتها وهذا انتحار العاشق، بيروت، دار العودة، ١٩٨٤.

مديح الظل العالي، بيروت، دار العودة، ١٩٨٤.

أوراق الزيتون، بيروت، دار العودة، ١٩٨٤.

عاشق من فلسطين، بيروت، دار العودة، ١٩٨٤.

آخر الليل، بيروت، دار العودة، ١٩٨٤.

العصافير تموت في الجليل، بيروت، دار العودة، ١٩٨٤.

أعراس، بيروت، دار العودة، ١٩٨٤.

حصار لمدائح البحر، بيروت، دار العودة، ١٩٨٥.

هي أغنية هي أغنية، بيروت، دار الكلمة، ١٩٨٦.

ورد أقل، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات، ١٩٨٥.

الرسائل، بيروت، دار العودة، ١٩٩٠.

أرى ما أريد، الدار البيضاء، دار توبقال، ١٩٩٠.

أحد عشر كوكباً، بيروت، دار العودة، ١٩٩٣.

في رحاب الإسلام، دمشق، دار الرشيد، ١٩٩٤.

لماذا تركت الحصان وحيداً، لندن، رياض الريس للكتب والنشر، ١٩٩٥.

مأساة النرجس ملهاة الفضة، بيروت، دار العودة.

أحد الزعتر، بيروت، الاتحاد العام للكتاب والصحفيين.

على آخر المشهد الأندلسي، بيروت، دار الجديد، المغرب، دار توبقال.

الرفاعي، عبد المنعم

ولد في صور لبنان من أسرة فلسطينية عام (١٩١٧ ـ ١٩٨٥م)

آثاره الشعرية:

المسافر، بيروت، الدار المتحدة للنشر، ١٩٧٩.

رشيد، كمال عبد الرحيم

ولد في الخيرية يافا بفلسطين عام (١٩٤١م)

أعماله الشعرية:

شدو الغرباء، عمان، مطابع مؤسسة الجمعية العلمية للطباعة والنشر، ١٩٨٣.

أناشيدي للأطفال، جزءان، ١٩٨٩.

القس في العيون، ١٩٩٠.

عيون في الظلام، ١٩٩٠.

نسائم الوطن، ١٩٩٧.

رشيد، هارون هاشم

ولد في غزة فلسطين عام (١٩٢٧م)

أعماله الشعرية:

مع الغرباء، القاهرة، رابطة الأدب الحديث، ١٩٥٤.

عودة الغرباء، بيروت، المكتب التجاري، ١٩٥٦.

غزة في خط النار، بيروت، المكتب التجاري، ١٩٥٧.

أرض الثورات، ملحمة شعرية، بيروت، المكتب التجاري، ١٩٥٨.

حتى يعود شعبنا، بيروت، دار الآداب، ١٩٦٦.

سفينة الغضب، الكويت، مكتبة الأمل، ١٩٦٨.

رسالتان، القاهرة، اتحاد طلاب فلسطين، ١٩٦٩.

رحلة العاصفة، القاهرة، اتحاد طلاب فلسطين، ١٩٦٩.

فدائيون، عمان، مكتبة عمان، ١٩٧٠.

مزامير الأرض والدم، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٧٠.

السؤال، مسرحية شعرية، القاهرة، مؤسسة روز اليوسف، ١٩٧٣.

الرجوع ودلال المغربي، منشورات فلسطين المحتلة، ١٩٨٠.

مفكرة عاشق، قصائد للقدس، المطابع الموحدة، ١٩٨٠.

ديوان هارون هاشم رشيد، بيروت، دار العودة، ١٩٨١.

يوميات الصمود والحزن، تونس، ١٩٨٣.

ثورة الحجارة، تونس، دار العهد الجديد، ١٩٨٨.

المزّة، غزّة، ١٩٨٨.

عصافير الشوك، مسرحية شعرية، القاهرة، ١٩٩٠.

طيور الجنة، قصائد للشهداء، القاهرة، دار الشروق، ١٩٩٨.

وردة على جبين القدس، قصائد للسجناء والمبعدين، القاهرة، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٨.

قصائد فلسطينية، عمان، دار مجدلاوي، ٢٠٠٣.

المبحرون إلى يافا، عمان، دار مجدلاوي، ٢٠٠٤.

الزركلي، خير الدين

ولد في بيروت عام (١٨٩٣ ـ ١٩٧٦م) ونشأ في دمشق

أثاره الشعرية:

١. ما رأيت ما سمعت، القاهرة، المكتبة العربية، ١٩٢٣.

٢. ديوان خير الدين الزركلي، القاهرة المطبعة العربية، ١٩٢٥.

صايغ، توفيق عبد الله

ولد في خربا بسورية عام (١٩٢٣ ـ ١٩٧١م))

آثاره الشعرية:

ثلاثون قصيدة، ١٩٥٤.

القصيدة ك، ١٩٦٠.

معلقة توفيق صايغ، ١٩٦٣.

الأعمال الكاملة، لندن، ١٩٩٠

طوقان، فدوى عبد الفتاح

ولدت في نابلس بفلسطين عام (١٩١٧م)

آثارها الشعرية:

أخي إبراهيم، يافا، فلسطين المحتلة، ١٩٤٦.

وحدي مع الأيام، بيروت، دار الداب، ١٩٦٢ ودار العودة، ١٩٧٤.

وجدتها، بيروت، دار الآداب، ١٩٦٢.

كابوس الليل والنهار، بيروت، دار الآداب، ١٩٧٣.

الفدائي والأرض، بيروت، دار الآداب، ١٩٧٣.

قصائد سياسية، عكا، ١٩٨٠.

على قمة الدنيا وحيداً، بيروت، دار العودة، ١٩٨١.

أعطني حباً، بيروت، دار العودة، ١٩٨٢.

الليل والفرسان، بيروت، دار العودة، ١٩٨٢.

أمام البيت المغلق، بيروت، دار العودة، ١٩٨٢.

ديوان فدوى طوقان، بيروت، دار العودة، ١٩٨٤.

تموز والشيء الآخر، عمان، دار الشروق، ١٩٨٧.

الأعمال الكاملة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات، ١٩٩٢.

اللحن الأخير، عمان، دار الشروق، ٢٠٠٠.

العبوشي، برهان الدين

ولد في مدينة جنين بفلسطين عام (١٩١١ ـ ١٩٧٠م)

آثاره الشعرية:

جبل النار، بغداد، مطبعة الشركة الإسلامية، ١٩٥٦.

النيازك، بغداد، ١٩٦٧.

إلى متى، بغداد، مطبعة المعارف، ١٩٧٢.

جنود السماء، الكويت، ١٩٨٥.

وطن الشهيد، مسرحية شعرية، القدس، المطبعة الاقتصادية، ١٩٤٧.

الفداء، مسرحية شعرية، بغداد، مطبعة البصري، ١٩٦٨.

العدناني، محمد خورشيد

ولد في جنين بفلسطين عام (١٩٠٣ ـ ١٩٨١م)

آثاره الشعرية:

اللهيب، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٥٤م.

الأمومة، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٥٧م.

فجر العروبة، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٦٠.

الوثوب، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٦٥.

الروض، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٦٦.

فلسطين، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٧٣.

سلمى.

قلب.

وحي الفؤاد.

العبير.

زهر.

الغروب.

جميع دواوينه الشعرية في ثلاثة مجلدات باسم العدنانيات.

عرسان، علي عقلة

ولد في صيدا درعا بسورية عام (١٩٤٠م)

أعماله الشعرية:

الفلسطينيات، دمشق، وزارة الثقافة، ١٩٧١.

الغرباء، دمشق، وزارة الثقافة، ١٩٧٤.

شاطئ الغربة، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٨٦.

تراتيل الغربة، دمشق، دار الحصاد، ١٩٩٣.

الأعمال الشعرية الكاملة، دمشق، دار طلاس، ١٩٨٩ و٢٠٠٢.

العيسى، سليمان أحمد

ولد في النعيرية ـ أنطاكية ـ بسورية عام (١٩٢١م)

أعماله الشعرية:

مع الفجر، ١٩٥٢.

أعاصير في السلاسل، ١٩٥٤.

شاعر بين الجدران، ١٩٥٤.

ثائر من غفار، ١٩٥٥.

رمال عطشى، ١٩٥٧.

أغنيات صغيرة، ١٩٦٧.

كلمات مقاتلة، ١٩٦٨.

أغنية في جريدة السندباد، ١٩٧١.

أغان بريشة البرق، ١٩٧٤.

الأعمال الكاملة، ١٩٨٠.

شعر سليمان العيسى، بيروت، دار الشورى، ١٩٨٠.

الكتابة أرق، ١٩٨٢.

الديوان الضاحك، ١٩٨٧.

وسافرت في الغيبة، ١٩٨٨.

ملحمة في نضال أبي ذر.

قصائد عربية.

أمواج بلا شاطئ.

صلاة لأرض الثورة.

حبات من الرمال الذهبية.

رسائل مؤرقة.

الفراشة وقصائد أخرى.

الدم والنجوم الخضر.

أزهار الضياع.

علّوش، جميل إبراهيم

ولد في بير زيت بفلسطين عام (١٩٣٧م)

أعماله الشعرية:

عرس الصحراء، بيروت، مطبعة عين الرمانة، ١٩٦٦.

خوابي الحزن، العراق، وزارة الثقافة، ١٩٧٩.

أشواق، عمان، رابطة الكتاب الأردنيين، ١٩٨٠.

جراح ودعاء، عمان، مطبعة الأمارة، ١٩٨٥.

مواكب الربيع، عمان، وزارة الثقافة، ١٩٨٩.

صوت الشعر، عمان، دار الينابيع، ١٩٩١.

القاسم، سميح محمد

ولد في بلدة الزرقا بالأردن، من أسرة فلسطينية تعيش بالجليل عام (١٩٣٩م)

أعماله الشعرية:

مواكب الشمس، الناصرة، مطبعة الحكيم، ١٩٥٨

قرآن الموت والياسمين، بيرت، دار العودة، ١٩٦٠.

دخان البراكين، الناصرة، مطبعة الحكيم، ١٩٦٨ وبيروت، دار العودة، ١٩٧٣.

في انتظار طائر الرعد، عكا، دار الجليل، ١٩٦٩.

سقوط الأقنعة، بيروت، دار الآداب، ١٩٦٩.

رحلة السراديب الموحشة، بيروت، دار العودة، ١٩٦٩.

طلب انتساب للحزب، بيروت، دار العودة، ١٩٧٠.

دمي على كفي، بيروت، دار العودة، ١٩٧٣.
قرقاس مسرحية شعرية، بيروت، دار العودة، ١٩٧٠.
اسكندرون في رحلة الداخل والخارج، بيروت، دار العودة، ١٩٧٠.
الموت الكبير، بيروت، دار الآداب، ١٩٧٣.
مراثي سميح القاسم، بيروت، دار الآداب، ١٩٧٣.
ديوان سميح القاسم، بيروت، دار العودة، ١٩٧٣.
إرم سميح القاسم - في سبعة أناشيد، بيروت، دار العودة، ١٩٧٣.
أغاني الحروب، بيروت، دار العودة، ١٩٧٣.
إلهي إلهي لماذا قتلتني، حيفا، ١٩٧٤.
وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم، منشورات فلسطين الثورة، ١٩٧٧.
ديوان الحماسة، المجلد الأول عكا، ١٩٧٨، المجلد الثاني، عكا، ١٩٧٩.
ثالث أكسيد الكربون، بيروت، دار الطليعة، ١٩٧٩.
أحبك كما يشتهي الموت، بيروت، دار الفارابي، ١٩٨٠.
الجانب المعتم من التفاحة، بيروت، دار الفارابي، ١٩٨١.
ديوان الحماسة الجزء الثالث، عكا، ١٩٨١.
قرابين كولاج، اللاذقية، دار الحوار، ١٩٨٤.
جهات الروح، بيروت، دار صامد للدراسات والنشر، ١٩٨٤.
في سربية الصحراء، عمان، دار الجليل، ١٩٨٦.
لا أستأذن أحد، لندن، رياض الريس للكتب والنشر، ١٩٨٨.
آخذة الأميرة يبوس، ١٩٩٠.
القصائد، كفر قرع، دار الهدى، ١٩٩١.
الأعمال الكاملة، القاهرة، دار سعاد الصباح، ١٩٩٣، (٦مجلدات).
الكتب السبعة، بيروت، دار الجديد، ١٩٩٤.

قباني، نزار توفيق

ولد في دمشق عام (١٩٢٣ ـ ١٩٩٨م)

آثاره الشعرية:

قالت لي السمراء، دمشق، ١٩٤٤.

طفولة نهد، دمشق، ١٩٤٨.

سامبا، دمشق، ١٩٤٩.

أنت لي، دمشق، ١٩٥٠.

قصائد، دمشق، ١٩٥٦.

حبيبتي، بيروت، ١٩٦١.

الرسم بالكلمات، بيروت، ١٩٦٨.

يوميات امرأة لا مبالية، بيروت، ١٩٦٨.

قصائد منقوشة، بيروت، ١٩٦٨.

لا، بيروت، ١٩٧١.

كتاب الحب، بيروت، ١٩٧٠.

مائة رسالة حب، بيروت، ١٩٧٢.

أشعار خارجة على القانون، بيروت، ١٩٧٢.

كل عام وأنت بخير حبيبتي، بيروت، ١٩٧٨.

الأعمال السياسية.

الأعمال الكاملة، ٨ مجلدات.

قنصل، الياس

ولد في يبرود بسورية.

أعماله الشعرية:

السهام، الأرجنتين، ١٩٣٥.

ألحان الغروب، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٧٨.

قنصل، زكي

ولد في يبرود بدمشق عام (١٩١٦ ـ ١٩٩٤م)

آثاره الشعرية:

شظايا، مجلة المناهل، ١٩٣٩.

سعاد، ١٩٥٣.

سداسية الوطن المحتل، دمشق، دار مجلة الثقافة، ١٩٧٠م.

نور ونار، دمشق، دار مجلة الثقافة، ١٩٧٠، وكذلك بوينس آيرس، ١٩٧٢.

عطش وجوع، دمشق، وزارة الثقافة، ١٩٧٤.

ألوان وألحان، بوينس آيرس، دار ميسلون، ١٩٧٨.

في متاهات الطريق، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٨٤.

ديوان زكي قنصل، دمشق، وزارة الثقافة، ١٩٨٦.

أشواك، الرياض، دار الرفاعي، ١٩٩٣.

الأعمال الكاملة، جدة، ١٩٩٥.

أمسيات شعرية مسجل صوتي.

محرز، عبد اللطيف محمد

ولد في بيت ناعمة بسورية عام (١٩٣٢م)

أعماله الشعرية:

العصور الأخضر، دمشق، المطبعة الجديدة، ١٩٩١.

أناشيد البحر، دمشق، ١٩٩٢.

أناشيد الحق في رحاب علي عليه السلام، ١٩٩٤.

أناشيد الحياة، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٧.

شجرات الدماء، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٠.

حقائق وأوهام، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٢.

محمود، عبد الرحيم

ولد في طولكرم بفلسطين عام (١٩١٦ ـ ١٩٤٨م).

آثاره الشعرية:

ديوان عبد الرحيم محمود، بيروت، دار العودة، ١٩٧٤.

الأعمال الكاملة، عمان، دار الكرمل، ١٩٩٣.

محمود، راشد حسين

ولد في قرية مصمص بفلسطين عام (١٩٣٦ ـ ١٩٧٧م)

آثاره الشعرية:

مع الفخر، الناصرة، مطبعة الحكيم، ١٩٥٧.

صواريخ، الناصرة، مطبعة الحكيم، ١٩٥٨.

أنا الأرض لا تحرمني المطر، بيروت، اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين، ١٩٧٦.

قصائد فلسطينية، القاهرة، لجنة إحياء التراث، ١٩٨٠.

مفلح، محمود

ولد في سمخ بفلسطين عام (١٩٤٣).

أعماله الشعرية:

مذكرات شهيد فلسطيني، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٧٦.

المرايا، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٧٩.

الراية، الأردن، دار عمال، ١٩٨٣.

حكاية الشال الفلسطيني، الرياض، دار العلوم، ١٩٨٤.

شموخاً أيتها المآذن، عمان، دار الفرقان، ١٩٨٧.

فضاء الكلمات، الرباط، دار الأمان، ١٩٨٧.

إنها الصحوة.. إنها الصحوة، المنصورة، دار الوفاء، ١٩٩١.

نقوش إسلامية على الحجر الفلسطيني، المنصورة، دار الوفاء، ١٩٩١.
غرد يا شبل الإسلام، عمان، دار البشير، ١٩٩١.

المناصرة، عز الدين

ولد في بلدة بني تميم الخليل بفلسطين عام (١٩٤٦م).

أعماله الشعرية:

ديوان عز الدين المناصرة، الكويت، منشورات كاظمة، ١٩٦٨.
ليت للبراق سيفا، ١٩٧٠.
قمر جرش كان حزيناً، ١٩٧٣.
بالأخضر كفناه، ١٩٧٦.
لنن يفهمني أحد غير الزيتون، ١٩٧٦.
يا عنب الخليل، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات، ١٩٨٣.
الخروج من البحر الميت، بيروت، دار العودة، ١٩٨١.
حصار قرطاج، تونس، دار محمد علي المحامي، ١٩٨٣.
جفرا، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات، ١٩٨٣.
الكنعانيات، بيروت، الدار العالمية، ١٩٨٣.
كنعانيا ذا، بيروت، الدار العالمية، ١٩٨٣.
حيزيّة، ١٩٩٠.
الأعمال الكاملة الشعرية، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات، ١٩٩٤.

الموسى، خليل جريس

ولد في قرية تبنة بدرعا سوريا عام (١٩٤٢م)

أعماله الشعرية:

أعشاب، دمشق، ١٩٩٧.
مرايا الروح، دمشق، ٢٠٠١.
ثلاثية الدم والنهار في أسفار المتنبي، ٢٠٠٤.

العودة إلى أوروك، ٢٠٠٦.

أنثى القصيدة، ٢٠٠٦

هارون، هند

ولدت في اللاذقية عام (١٩٢٨ ـ ١٩٩٦م)

آثارها الشعرية:

شمس الحب، دمشق، ١٩٨٣.

سارقة المعبد، دمشق، ١٩٧٨.

ديوان عمار، دمشق، ١٩٧٨.

بين المرسى والشراع، دمشق، وزارة الثقافة، ١٩٨٤.

عمار في ضمير الأمومة، دمشق، ١٩٨٨.

الهواري، صالح محمد

ولد في سمخ بفلسطين عام (١٩٣٨)

أعماله الشعرية:

الدم يورق زيتوناً، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٧٢.

المطر يبدأ العزف، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٧٧.

عصافير بلادي للأطفال، دمشق، وزارة الثقافة، ١٩٨١.

الموت على صدر البرتقال، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٨٣.

بطيّاً يمر الدخان، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٨٤.

هنادي تغني للأطفال، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٨٧.

أم أحمد لا تبيع مواويلها، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٠.

أغاني أيوب الكنعاني، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٤.

مرايا الياسمين، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨.

ومن فرح بكينا، دمشق، ٢٠٠٠

ما قال الغيم للشعر، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٠.

خاتمة البحث

حاولت أن أعالج في هذه الرحلة الطويلة والشاقة ـ نسبياً ـ من هذا البحث الأسئلة التالية:

ـ هل كان نصيب للقدس ما بين عامي «١٩٤٨ ـ ٢٠٠٠م» في الشعر العربي الحديث في سورية ولبنان وفلسطين وما هو مقداره وما هي أبعاده؟

ـ ما هي اتجاهات شعر القدس وما هي أبرز دواعيه الشعرية؟

ـ هل استطاع شعر القدس أن يحرك المدينة ويجعلها قضية الإنسان العربي والإنسان المسلم الأولى؟

ـ ما هو تأثير القدس كمدينة أو قضية على الشعر العربي الحديث في سورية ولبنان وفلسطين.

ـ وما هو موقف الشعراء من القدس ومن هُم أهمُّ روّاده؟

ـ هل هناك نتاج أدبي وفني لشعر القدس؟

ـ ما هي أبرز ملامح شعر القدس شكلاً ومضموناً؟

ـ إلى أي حدّ يعكس الشعر علاقة الشاعر والمتلقي بتحرير القدس؟

ـ وهل قدم الشاعر للقدس الحلول المناسبة أم انطوى على الذات ولاذ بالبكاء والعويل؟

ومن هذا المنطلق حاولنا الإجابة على هذه الأسئلة مستندين بالنصوص الشعرية وبغضّ النظر عن انتماءات أصحابها الفكرية والإيديولوجية، أي نظرنا إلى شعر القدس بما هو شعر وكما رسمه الشاعر آخذاً مادته من أحاسيسه وعواطفه ومشاعره تجاه القدس.

مما لا شك فيه أن نكبة فلسطين عام «١٩٤٨» غيّرت حياة العالم الإسلامي بشكل عام والحياة الفلسطينية والعربية بشكل خاص بما فيها الحياة الأدبية والشعرية.

وبما أن الشعراء قلب الأمة النابض، وما للقدس من مكانة في قلوب الناس، فمنذ الساعات الأولى للاحتلال الصهيوني، لا بل قبل ذلك حمل الشاعر سلاح الكلمة للذّب عن الأرض والذّات والإنسان، ومن خلال تتبعي لشعر القدس (١٩٤٨ ـ ٢٠٠٠) وجدت أن الشعراء كانت لهم ثلاثة اتجاهات رئيسية هي:

١. الدواعي والاتجاهات العربية.

٢. الدواعي والاتجاهات الإسلامية.

٣. الدواعي والاتجاهات السياسية.

ثم لاحظنا كيف حاول شعراء القدس ومن خلال هذه الاتجاهات معالجة قضية الاحتلال كي تبقى القدس لأهلها ولجميع العرب والمسلمين وكيف واكبوا حدث الفاجعة.

من هنا فقد تضمن كل من هذه الاتجاهات أبرز المحاور التي تناولها شعراء القدس والتي عكست المأساة ووضعت الحلول لها وما يجب أن يمارس من أجل تحريرها، وكان من الطبيعي أن لا يقتصر شعر القدس على

تسجيل الوقائع، وذلك لأن الأدب سلاح حاد يمكن استخدامه لهزيمة العدو وفي حد ذاته دواء شاف لعوامل الضعف وثغرات الهزائم، لذا دعا الشعراء للنضال حاثين الأمة على المقاومة والجهاد ومقارعة الاحتلال ومعرفة خيوط المؤامرات، ففي الاتجاه الأول ركّز الشعراء على العروبة والقضايا العربية والقوميّة كعامل أساس لتوحيد الجبهة ضد العدو وإنقاذ فلسطين والقدس. وقد استمر هذا الاتجاه إلى يومنا هذا شدة وضعفاً، فنادى رواده بإرجاع العرب إلى ماضيهم التليد وما كان لهم من مواقف مشرفة وشجاعة قد شهد لها التاريخ فأيقظوا الضمائر الخامدة واستصرخوها لإنقاذ القدس، فكان لبعضهم قصائد تحمل في طياتها النقد اللاذع أمثال نزار قباني والياس قنصل وزكي قنصل وهارون هاشم رشيد وحسن البحيري وغيرهم، والملاحظ أن الخطاب والتوجه الشعري لهذا الاتجاه شمل جميع الأطياف، والجوانب تقريباً ولكن حظ المرأة والشباب كان ضئيلاً ويمكن القول بأنه عكس الاتجاه الإسلامي حيث هناك توجه الشعراء للدور الفعال الذي يمكن أن يلعبه الشباب والمرأة خاصة لإرجاع القدس وفلسطين. حظيت المدينة ـ القدس ـ في هذه الاتجاهات العربية والقومية باهتمام أكثر بعد عام (١٩٦٧) فأصبحت محوراً أساسياً في شعر القدس، واستمر هذا التوجه إلى يومنا هذا حيث لا تكاد تجد ديواناً خالياً من قصائد تخص القدس بالذات، ولكنّه بعد اندلاع الانتفاضة الأولى «١٩٨٧» انحدر بشكل ملحوظ.

أمّا من الناحية الكمية فكان نصيب القدس في هذا الاتجاه كما رتّب في بداية الفصل الأول، وأمّا من الناحية الكيفية فالقول يختلف إذ كان الشعر في بداية الاحتلال يختلف عما هو عليه الآن إذ سلك مسلك النضج والموضوعية والعقلانية أكثر، وهذا واضح.

وعلى أيّة حال استطاع شاعر هذا الاتجاه أن يجعل المدينة صامدة

مقاومة وغير جامدة، والملاحظ أن القدس لفت نظر الشعراء أكثر بعد حادثة إحراق المسجد الأقصى (١٩٦٩/٩/٢١) فأصبحت القدس قضية سلبت الكرى عن عيون الشاعر الملتزم فلهذا صبّ جام غضبه شعراً إذ لعله لا يستطيع فعل أكثر من هذا.

وأمّا ما توصل إليه البحث في الفصل الثاني -الدواعي والاتجاهات الإسلامية - لقد كانت محاوره الخمسة هي أهم ما دار حول شعر القدس في الفترة (١٩٤٨ - ٢٠٠٠) وقد تبيّن لنا:

أولاً: إن المحاور حسب كمية القصائد الواردة فيها هي كالترتيب التالي:

الشهادة والشهيد، الصمود والمقاومة، اليقظة الإسلامية، الثورة والجهاد، الوحدة الإسلامية ففي معظم تلك القصائد لاحظنا أيضاً، العلاقة القوية بين شاعر القدس والواقع الذي صوّره في تلك المحاور التي كانت نابعة من أعماق النفس الإنسانية والأحاسيس الوجدانية في كلمات تشعر بالمشاعر الحماسية المتأججة والمتفجرة.

فقد انطلقوا بدورهم في تعبئة الأمة العربية والأمة الإسلامية للوقوف في وجه العدوان ومقاومة الاحتلال حتى الشهادة في سبيل الله تعالى أو تحرير القدس الشريف، فكانت النتيجة واضحة حيث اندلعت الثورات والانتفاضات وهذا بعض ثمارها، إلا أن قاطبة أولئك الشعراء غفلوا عن محور القدس والوحدة الإسلامية مع ماله من الأهمية الخطيرة إذ أن القدس تتعلق بالمسلمين جميعاً.

ثانياً: قد تفاوتت القصائد في هذه المحاور فيما بينها شكلاً واقتربت مضموناً وهي تعرض لنا صورة القدس ولا يبدو المكان في هذه القصائد ظل ساكناً وإنما كانت الحركة فيه سريعة تبث الحياة فيه، إذ استطاعت أن تجعل منه قضية للإنسان الفلسطيني بل للإنسان العربي والمسلم.

ثالثاً: كانت الصفة الغالبة في قصائد القدس في هذه المحاور هي الخطابية المباشرة.

رابعاً: إن شعر القدس في هذه المحاور لم يكن رد فعل للأحداث وحسب وإنما كان فعلاً مقاوماً محرضاً على الثورة والجهاد، فتعامل الشعراء مع الحدث منذ عام (١٩٤٨) حتى عام (٢٠٠٠) وكانوا حريصين على متابعة يوميات القدس، يرصدون أحداثها بدقة كالشاعر نزار قباني، هارون هاشم رشيد، حسن البحيري، سليمان العيسى، علي عقله عرسان و.. فحملوا هموم أمّتهم وإسلامهم من أجل القدس الصامدة.

من الواضح أن هذه المحاور هي قيم يشترك فيها المسلم وغيره فكان المناط في اختيار القصيدة هو ما قيل وليس القائل فحسب.

ويمكن أن نشير إلى بعض نتائج الفصل الثالث أي الدواعي والاتجاهات السياسية ـ القدس الضمير السياسي ـ القدس الوحدة العربية الإسلامية ـ قضية السلام ـ الانتفاضة المقدسة ـ فكان أبرزها:

أولاً: استمد شعر القدس السياسي في الفترة الزمنية ما بين عامي (١٩٤٨ ـ ٢٠٠٠م) مستقياً مادته الشعرية، من أبرز الأحداث السياسية والوطنية والعسكرية، ومن المستجدات أنها تشبه قصائد الفصل الأول لا سيما المحور الأول والثاني والثالث منه إذ أنها نجحت في تحريك الحدث في القصيدة وتحريك المكان، فبدت القدس كرمز بارز للوطن المحتل ومقاومة الاحتلال.

ثانياً: صورة الالتزام تبرز واضحة المعالم في كل هذه المحاور لا سيما المحور الأخير ـ الانتفاضة المقدسة. إذ ظل قلب الشاعر والمتلقي معلقاً بالقدس وفلسطين فهو يرى في الانتفاضة سبيلاً من سبل التحرير والوصول إلى الحرية الضائعة.

ثالثاً: بادر الشعراء بالتحريض على الوحدة العربية، مؤكدين على تحرير

القدس من خلالها، قاذفين أعباء اللوم على معارضيها والمتهاونين بها، حيث كان السبب الرئيسي في ضياع القدس.

رابعاً: قد هاجم جل شعراء القدس ـ في محور البحث ـ دعاة السلام مؤكدين أن تحرير القدس والأرض المحتلة لا يكون إلا عبر نيران المدافع وسواعد الرجال حيث أصبح ـ حسب معتقدهم ـ السلام أوهاماً ليس إلا، وذلك نتيجة إصرار العدو على الاحتلال، وتعنته في العملية السلمية لأكثر من مرة. والمفهوم من النصوص الشعرية أنهم ليسوا ضد السلام العادل الذي يعيد الحق إلى أهله، بل ضد الاستسلام، إذ يأبى الله ورسوله والمؤمنون .. والأحرار ذلك.

خامساً: من أبرز الشعراء تحمساً وأكثرهم قصائداً في هذا الفصل ـ الدواعي والاتجاهات السياسية ـ هو نزار قباني، إذ كرّس معظم شعره بعد نكسة حزيران عام ١٩٦٧ لقضية القدس حتى اتُّهم حيناً ومُجّد حينا آخر، ثم يأتي بعده في المرتبة الثانية هارون هاشم رشيد، وكان كل منهما قد قدّم حلولاً لا بأس بها.

سادساً: منذ أن بدأ محمود درويش ونزار قباني مسيرتهما في الشعر السياسي فُتح الباب أمام الشعر السياسي فكان بداية لا نهاية لها.

سابعاً: تأثر الشعر في هذا الاتجاه وبشكل غير مباشر بالثورة الإسلامية في إيران وأفكار الإمام الخميني، والجنوب اللبناني حيث أعطى القدس حيوية وصموداً وتحركاً أكثر من السابق.

ثامناً: ترتيب قصائد القدس في هذا الفصل من ناحية الكم هي كالتالي:

محور القدس والضمير السياسي (أربع عشرة قصيدة)

محور القدس والسلام (خمس عشرة قصيدة).

محور القدس والانتفاضة المقدسة (ثمان قصائد)

محور القدس والوحدة العربية (ست قصائد)

وأمّا في الباب الثاني من هذه الدراسة، فقد حاول البحث أن يبرز النتائج التالية:

أولاً: بثّ الشعراء الحيوية في القدس واستمرار الحياة فيها عبر استخدام الصور القرآنية والدّينية، وقدّموا الفكرة من خلالها بشكل مباشر أحياناً وبشكل إيحائيّ أو رمزي حيناً آخر، كما شاهدنا في قصيدة «القدس» لنزار قباني وأكثر الشعراء الآخرين.

ثانياً: توظيف الشخصيات التراثية والتاريخية وعلى رأسها شخصية النبي محمدﷺ والسيد المسيح عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام والشهداء وذلك لربط القدس بالتاريخ والتراث لإعطائه صورة مهمة لا يمكن تجاهلها والتهاون بها.

ثالثاً: واكب شعر القدس التطور الفني على المستوى العربي والعالمي، لذا استخدم أساليب الدراما والمسرح والفنون السينمائية أمثال المونتاج والقصيدة النثرية والقصصيّة وذلك بشكل واسع.

أيضاً انتشرت ظاهرة شعر التفعيلة في شعر القدس وقد أخذت مأخذها وإلى يومنا هذا.

رابعاً: مما يلفت النظر استخدام الأمور العاطفية والأحداث والحياة اليومية حيث أصبحت هذه ظاهرة صارخة في صياغة صورة القدس الشعرية، ولعلها الظاهرة الأكبر أثراً على المكان والمتلقي أيضاً، إذ جعلت القدس لا تغيب عن الأذهان.

خامساً: استخدام القاموس اللغوي البسيط عند أكثر الشعراء الذين أنشدوا القدس شعراً، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى شمولية هذا النوع من الشعر ودائرة اتساعه، ولكن الملاحظ إن بعض الشعراء سلك مسلكاً عكس هذا أمثال الشاعر خالد أبو خالد ونجيب مصطفى جمال الدين ولأسباب لا أعرفها.

سادساً: بعض الشعراء مرّ على قضية القدس مرور الكرام أمثال الشاعر

أدونيس، محمد الماغوط، شوقي بغدادي، عصام ترشحاني، عبد الكريم الناعم، فايز خضور، فؤاد كحل، سعيد عقل، صالح هواري، أنور العطار، شوقي أبي شقراء.

سابعاً: لاذ بعض الشعراء وانطوى على نفسه وغلب اليأس عليه إلى حد ما، ولكن جُلّ الشعراء عالج قضية القدس بحكمة وحنكة شعرية وشعورية، ولذا نجد الحلول المناسبة في شعره أمثال نزار قباني، هارون هاشم رشيد، نجيب مصطفى جمال الدين، سليمان العيسى، علي عقلة عرسان زكي قنصل..

ثامناً: اتضح لي أن التركيب الكمي ـ شعراً وشاعراً ـ في محور البحث هو في الدرجة الأولى فلسطين والأمر واضح والدرجة الثانية سورية وفي الدرجة الثالثة لبنان.

وفي نهاية المطاف أرجو أن أكون قد قدمت شيئاً ولو يسيراً لإحياء القدس والقضية الفلسطينية، ولو بقدر رأس أنملة.

شهادة

نشرت مجلة الموقف العربي في عددها ٤٦٤ السنة التاسعة والثلاثون كانون الأول ٢٠٠٩ مقالاً للدكتور غسان غنيم - من أبرز أساتذة جامعة دمشق - أشاد الكاتب بمكانة القدس وفلسطين لدى الإيرانيين وببعض ما كتبوا عنها من بحوث وكتب ومنها هذا الكتاب قائلاً:

مكانة فلسطين - والقدس لدي الإيرانيين قديماً وحديثاً

يعود تاريخ مدينة القدس إلى حقبة بعيدة في التاريخ، حيث تشير المصادر التاريخية إلى أنها قد بُنيت على يد ملك اليبو سيين «ملكيا صادق» واليبوسيون قبيلة عربية هاجرت من الجزيرة العربية في بداية الألف الثالث (ق.م) واستوطنت في هذه البقعة من الأرض. وقد سميت المدينة بداية «يبوس» نسبة إليهم، وهو من أقدم أسماء القدس التي اتخذت أسماء كثيرة فيما بعد، حتى استقرت على اسم «القدس» الذي عُرفت وما زالت تعرفُ به. وهي مدينة تتمتع بمكانة قدسية دينية، تزيد من حساسية وجودها، والسيطرة عليها.

مرت القدس تاريخياً بعهود كثيرة أولها العصر الكنعاني.. وهو عصر التأسيس وبقيت السيادة فيه للكنعانيين على القدس حتى حوالي (١٠٠٠) ق.م ثم زحف

الملك البابلي «نبوخذنصّر» حوالي عام (٥٩٧)ق.م. فاحتلها وأخذ ملكها وقادة جيشه أسرى إلى بابل في العراق بعد ما غيّر نظام الحكم في القدس.

وعاد إلى القدس إثر تمرّد بعض اليهود، فأوقع هزيمة كبرى بهم وسبى أكثر السكان إلى بابل «وهذا ما عُرف تاريخياً بالسبى البابلي...».

وبعد انتصار (كوروش) «الهخامنشي» ملك الفرس آنذاك على البابليين عام٥٣٩ق.م. أخضع القدس، وأصبحت له السلطة عليها وألحقها بدولته طيلة قرنين، وقد استمر العصر الفارسي في القدس حتى نهاية حكم«داريوش» الثالث وبداية الاحتلال الاسكندري عام٣٣٢ ق.م.

ثم توالت عليها العصور حتى الفتح الإسلامي، حيث سلم بطريارك القدس «سفرونيوس» مفاتيح القدس للخليفة الثاني «عمر» فبادر الخليفة إلى استلام المدينة ومفاتيحها بنفسه عام «٦٣٦ـ م/١٦هـ».

وما يهمنا بعد هذه المقدمة التاريخية، هو اهتمام الكتاب والأدباء القادة والمفكرين الإيرانيين بهذه المدينة. وقد تزايد اهتمام الأيرانيين بهذه المدينة، بعد الإسلام، لما حظيت به من مكانة مقدسة ففيها بُعثَ الأنبياء... وصلوا فوق أرضها. وفيها ينصب الصراط على جهنم إلى الجنة بحسب «التكفير الإسلامي» وثمةأحاديث عند الرسول (أنه قال «من أراد أن ينظر إلى بقعة من بقاع الجنة، فلينظر إلى بيت المقدس»(١).

هذه المكانة الدينية جذبت الكثير من الإيرانيين في العصور الإسلامية المتابعة لزيارة القدس «بيت المقدس» والتحدث عن مزاياها وفضائلها ومنهم «أبو حامد الغزالي» (٤٥٠ ـ ٥٠٥هـ)، والشاعر «الخاقاني» (٥١٠ـ٥٩٢هـ) و«فريد الدين العطار» (٥٣٧ـ ٥٨٩هـ) و«جلال الدين الرومي» (٦٠٤ ـ ٦٧٢هـ) وسعدي «الشيرازي» (٦٠٦ ـ ٦٩١هـ).

فالغزالي مثلا نزل في دمشق مدة سنتين ثم غادرها إلى بيت المقدس

وأقام فيها مدة من الزمن، وفي القدس شرع في تأليف كتابه: «إحياء علوم الدين» الذي أتمه في دمشق. ثم نُقل إلى اللغة الفارسية مختصراً بعنوان «كيمساوي سعادت» أي «كيمياء السعادة..» ويقال إنه ألف في القدس أيضاً «الرسالة القدسية في قواعد العقاعد»(*).

أما الشاعر الخاقاني: فقد ذكر «بيت المقدس والمسجد الأقصي» كثيراً في ديوانه وقد كتب الرحالة «ناصرخسرو (٣٩٤ ـ ٤٨١) عند القدس ووصفها في كتابه «سفرنامة» وقد استفاض خسرو في ذكر بيت المقدس التي مَربها قادماً من لبنان في طريق سفره للحج، لأداء الفريضة، ثم عاد إليها مرة أخرى واصفاً مشاهداته ومدوّناً مذكراته فيها يومأبيوم، فقد جاءإلى «عكا» بداية مع أخيه الأصغرو غلامه الهندي وهناك زار مشاهد الأنبياء ـ ثم على قرى «البروة» و«دامون» و«أعبلين» حيث قبر هود ثم الى حطين، حيث قبر شعيب وقبر ابنته زوج موسى ـ ثم إلى إربد ومنها إلى كفر كنة ـ ثم عاد إلى طبرية، ثم إلى حيفا، ومنها إلى قرية «كنيسة» ثم قيسارية ـ ثم إلى الرملة ومنها إلى اللطرون. وقرية العنب حتى وصل إلى بيت المقدس. ويذكر «ناصرخسرو» بشيء من العجب أن اهل الشام وتلك النواحي يطلقون على بيت المقدس «البيت المُقَدَّس».. والإيرانيون إلى يومنا هذا يطلقون على القدس اسم «بيت المقدس»(٢).

كتب خسرو أن طبيعة القدس، ومناخها وأبنيتها، آثارها التاريخية والدينية ومظاهر حياة أهلها، و عاداتهم وتقاليدهم، ووصف المساجد والأماكن الدينية.

فقد وصف المسجد الأقصي، وقبّة الصخرة وصفاً دقيقاً، يدلُّ على حبّه وتدلهه بهما، حيث دعم وصفه بالأرقام الدقيقة، مع ذكر أدق الأشياء وأصغرها، يقول في وصف مدينة القدس: «[مدينة]. مشيّدة على قمة الجبل، وليس بها غير ماء الأمطار، وليست ذات عيون والمدينة محاطة بسور حصين من الحجر والجص، وعليها أبواب حديدية. وليس بقربها أشجار قط، فإنها

على رأس صخري..». والزراعة فيها من أشجارالزيتون والتين وغيرها، تنبت كلها بغير ماء، والخيرات بها كثيرة ورخيصة، وفيها أرباب عائلات يملك الواحد منهم خمسين ألف (منّ) «وهو وحدة وزن تعادل ٦٠٠مثقال» من زيت الزيتون يحفظونها في الأبار والأحواض ويصدرونها إلى أطراف العالم»(٣).

ذكر عدد سكان المدينة القدس عام ٤٣٨هـ. فقال إنه كان «عشرون ألف رجل..» وربما قصد (بالرجل) «شخصاً».

سجل خسرو بعض المظاهر الدينية، وبعض الاعتقادات لأتباع الديانات المساوية فيها. من ذلك أن أهل الشام من المسلمين كانوا يحجّون إليها في موسم الحج ـ ممن لا يستطيعون الحج إلى الديار المقدسة، فيتوجهون إلى الموقف، ويضّحونه كما هي العادة.

أما غير المسلمين فذكر أن كثيرين من النصارى واليهود يأتون لزيارة المدينة المقدسة. وسجل اعتقاداً كان سائداً في حينه يتحدث عنه «وادي جهنم» ويصفه فيقول: هو «واد عظيم الانخفاض، كأنه خندق وبه أبنية كثيرة على نسق أبنية الأقدمين ورايت فيه قبة من الحجر المنحوت مقامة على بيت لم أر أعجب منها. حتى إن الناظر ليسأل نفسه: كيف رُفعتْ في مكانها؟

ويقول العامة: إنها بيت فرعون «(٤)» ويقول العوام إن من يذهب الى ناحيته، يسمع صياح اهل جهنم فإن الصدى يسمع هناك، وقد ذهبتُ فلم أسمع شيئاً»(٥).

ثم وصف الصخرة بقوله: «إنهاحجر أرزق اللون لم يطأها أحد برجله قط وفي ناحيتها المواجهة للقبلة انحفاض، كأن إنساناً سار عليها فبدتْ أثار قدمه فيها»(٦).

إما وصفه ل «مسجد الصخرة» فذكر أنه مبني علي حافة المدينة من الناحية الشرقية ويطل أحد حيطانه على وادي جهنم وارتفاعه (١٠٠) ذراع من الحجر الكبير الذى لا يفصله عن بعضه «ملاط» أو «جص». ثم وصف داخل المسجد بشكل يكشف عن إعجابه بالدقة التي رُوعيتْ في تنظيمه، فأرضُه

مغطاة بحجارة موثوقة إلى بعضها بالرصاص وفيه رواق عظيم جميل ارتفاعه ثلاثون ذراعاً. وعرضه عشرون، وله جنحان منقوشة واجهتاه وإيوانه بالفسيفساء. المثبتة بالجص، وهي من الدقة بحيث تبهر النظر وله بابان مزخرفان؟؟ من النحاص الدمشقي، وقد طعّما بالذهب وحليّا بالنقوش الكثيرة. وطول كل منهما خمسة عشر ذراعاً. وعرضه ثمان(.. إلخ...).

وهو وصف يدل على الدقة والحب لأنه يتتبع أدق التفصيلات التي تستغرق صفحات طويلة وطويلة.

أما في العصر الحديث فيمكن الحديث عن حضور القدس والقضية الفلسطينية منذ ما بعد الثورة الإسلامية التي فجّرها آية الله الخميني (١٩٠٠ـ ١٩٨٩A.R.Khomeini) الذي شكل مر جعاً أعظم، وقائداً سياسياً ودينياً للشعب الايراني، فقد تنبه الإمام الخميني مبكراً إلى أخطار الصهيونية العالمية، فذكر في البيان الذي القاه في أيلول عام١٩٦١.. الخطر المحدق بالعالم الإسلامي قال: «إنني بحكم مسؤوليتي الشرعية أعلن عن الخطر المحدق بشعب إيران والمسلمين في العالم. إن القران الكريم والإسلام معرّضان للسقوط في قبضة الصهيونية التي ظهرتْ في صورة طائفة البهائية...»(٧).

و بعد نجاح الثورة الإسلامية في إيران. عملت الثورة على قطع العلاقات مع إسرائيل وإدانة سياستها التوسعية في البلاد العربية ودعمتْ النضال الفلسطيني لتحرير القدس من الاحتلال الإسرائيلي، وقامت بفتح سفارة لفلسطين في طهران، وكان مقرّها هو المقر السابق للسفارة الإسرائيلية في العهد السابق «عهد الشاه» نكاية بالصهيونية وحباً بفلسطين والقدس، إضافة إلى تشكيل فرقة عسكرية بإسم جيش القدس».

و يلحظ اهتمام السياسيين والقادة في إيران، بكل ما يتلق بالقضية الفلسطينية وقضايا القدس، ووقوفهم إلى جانب الحق الفلسطيني، فلا تمّر

مناسبة سانحة إلا ويذكر هؤلاء فلسطين والقدس والمسجد الأقصى.. ففي نداء الإمام السيد «علي الحسيني الخامنئي» إلى حجاج بيت الله الحرام في عام١٤٢٠ه٢٠٠٠م يقول: (وفي قلب العالم الإسلامي وفي قارات آسيا وإفريقيا وأوروبا تنزل سياط الإمبريالية العالمية وغضبها على أجساد ملايين المسلمين، و تُحرقُ فلسطين والقدس، ولبنان بنيران قسْوة الصهاينة..»(٨).

أو يقول متبنياً قضية فلسطين: «أمريكا لا يمكن أن تؤمّل استعادة إيران إلى دائرة سيطرتها، وأن تقضي على صحوة الإسلام في البلدان الإسلامية وأن تقدّم فلسطين دونما معارضة للصهاينة العنصريين السفاكين...»(٩).

فهو يضع مصير الثورة الإسلامية والصحوة الإسلامية في البلدان الإسلامية، بموازاة عدم تقديم فلسطين للصهاينة العنصرين، مما يؤشر إلى مدى حضور قضية القدس وفلسطين لدي الإيرانيين سأعرض أسماء بعض الكتب مما اهتم بالقدس وفلسطين... منها:

كتاب (هادي خسروشاهي) (تاريخ بيت المقدس ومسألة فلسطين) نشر في قم ١٩٧٥م.

وكتاب (موحد خوئي) (المسجد الأقصى وبيت المقدس) نشر في قم١٩٨٢م.

كتاب السيد (محمد حسين الطباطبائي) (تفسير الميزان) الذي ذكر جملة كبيرة من الأحاديث التي تتناول بيت المقدس، ومدى قدسيتها.

كتاب منوجهر أميري «أيا سفر نامة ناصرخسرو تلخيص أز متن مفصّلتر؟».

هل الرحلة تلخيص لنص أطول، في كتاب (يادنامه ناصر خسرو- مطبوعات جامعة مشهد١٩٧٦ ولابد من التعريج على رسالة دكتوراه تقدّم بها السيد «جهاد فيض الإسلام» بإشراف الأخ الدكتور خليل موسى في جامعة دمشق بعنوان (القدس في الشعر العربي الحديث) نوقشت في٢٩/٢/ ٢٠٠٧ تحدّث فيها الباحث الإيراني الشاب بمنتهي الحب عن القدس تدفعه عاطفة

دينية ووطنية صادقة تجاه القدس وفلسطين ففي الإهداء يقول: «إلى الذين تضرجوا بدمائهم على أرض الإسراء والمعراج، فلسطين...» وفي المقدمة يظهر عاطفته الصادقة بكلمات تنضح من معين المحبة والتأثر... يقول: «ربما لا تجد على وجه الأرض إنساناً يمتلك ضميراً حيّاً وهو لا يفكر بقضية القدس وفلسطين، ولا يهتم بهما. إذ أصبحتْ القدس وفلسطين في العقود الأخيرة. حديث الساعة وهاجس القلب...»(١٠).

ويضع في أهداف البحث ومسوّغاته: «المحاولة لتحريض ودفع الشعر إلى خدمة القدس الشريف..»(١١).

وهذا ما يثبت أن الإيرانيين، وعلى الأخص بعد الثورة الإسلامية١٩٧٩قد اهتموا للقدس ولقضية القدس... ولقضية فلسطين بعامة، ووقفوا إلى جانب الحق العربي، وإلى جانب أبناء القدس وفلسطين... ومما لاشك فيه أن لاهتمام الإيرانيين بالقدس وبفلسطين دوافع دينية صادقة، كما كانت الحال مع الإيرانيين القدماء من مثل، الغزالي، وفريد الدين العطار، وجلال الدين الرومي، وسعدي الشيرازي، وناصر خصرو... وسواهم.

كما أن لهم دوافع سياسية ودينية، صادقة تجاه القدس وقضية فلسطين في المرحلة الراهنة، كما هي الحال مع الإمام الخميني الزعيم الروحي والسياسي والشاعر وقائد الثورة، التي اتجهت بإيران بكليتها نحو فلسطين والحق الفلسطيني بعد أن كانت إيران في عهد الشاه إلى جانب إسرائيل، و ضد الحق العربي والفلسطيني. وهذا ما رأيناه مع الإمام الخامنئي الذي وضع القضية الفلسطينية بموازاة المحافظة على استمرارية الثورة الإيرانية بالتساوي.

إضافة إلى الدارسين والمؤلفين المعاصرين، كما هي الحال مع الباحث جهاد فيض الإسلام وسواه... من مثل هادي خسروشاهي ـ وموحد خوئي وغيرهم كثير.

إن تبني الثورة الإسلامية لقضية فلسطين بعد نجاحها عام ١٩٧٩ لدليل

على مدى حضور القدس وفلسطين في قلوب الإيرانيين وعقولهم... ولعلي لا أكون مبالغاً إذا ما قلت بأن تحرير القدس وفلسطين سيكون لإيران والإيرانيين دورٌ فاعل وأساسي فيه.

الهوامش:

(١)الحنبلي ـ مجير الدين: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ـ مكتبة دنديس ـ عمان١٩٩٩ج١، ص ٣٦٠.

(*)بكار، يوسف حسين: نحن وتراث فارس. منشورات المستشارية الثقافية الإيرانية ٢٠٠٠م.

(٢)بكار، يوسف حسين: المرجع السابق ص١٠٣.

(٣)بكار، يوسف حسين: المرجع نفسه ص١٠٤.

(٤)بكار، يوسف حسين: المرجع نفسه ص١٠٧.

(٥)بكار، يوسف حسين: المرجع نفسه ص١٠٧.

(٦)بكار، يوسف حسين: المرجع نفسه ص١٠٩.

(٧)بهلوان ـ سمر: العلاقات السورية الإيرانيية منذ نهاية الحرب الثانية حتى قيام الثورة ـ مجلة جامعة دمشق مجلد (٢٢) العدد (٣ ـ ٤) ٢٠٠٦. ص٣١٧ـ ٣١٨.

(٨) نص نداءالإمام علي الخامنني إلى حجاج بيت الله الحرام ١٤٢٠هـ مجلة الثقافية الإسلامية. المستشارية الإسلامية.

(٩) المصدر السابق: ص١٣

(١٠) فيض الإسلام، جهاد ـ القدس في الشعر العربي الحديث، رسالة دكتوراه في جامعة دمشق ٢٠٠٧، المقدمة، ص أ.

(١١) المرجع السابق، ص ب.

فهرس المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع الدينية والمقدسة

١. *القرآن الكريم*.
٢. *الكتاب المقدس*، دار الشرق، بيروت، ١٩٨١.
٣. محمد فؤاد عبد الباقي، *المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم*، دار المعرفة، ط ٤، بيروت، ١٩٩٤.
٤. آية الله ناصر مكارم شيرازي، *تفسير القرآن الكريم* (تفسير الأمثل)، قم، ٢٠٠٣.
٥. *التفسير التطبيقي للكتاب المقدس*، القاهرة، ١٩٩٧.

ثانياً: المصادر والمراجع العامة

٦. ابن أبي الحديد، شرح *نهج البلاغة*، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٥.
٧. ابن خلدون، *العبر وديوان المبتدأ والخبر*، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٧١.
٨. ابن سينا، *الشفاء*، تحقيق أحمد نواد الأهواني، وزارة التربية والتعليم، القاهرة، ١٩٥٨.
٩. ابن عساكر، *التاريخ الكبير*، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٧. (تاريخ مدينة دمشق).
١٠. ابن فارس، *مقاييس اللغة*، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الدار المصرية، ١٩٦٤.

١١. ابن منظور، *لسان العرب*، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٦.
١٢. الأزهري، *تهذيب اللغة*، ج١٢، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د.ت.
١٣. البستاني، *محيط المحيط*، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٣.
١٤. الجاحظ، *الحيوان*، ج٣، دار الجليل، بيروت، ١٩٩٦.
١٥. الجوهري، *الصحاح*، ج١، دار الحضارة العربية، بيروت، ١٩٧٤.
١٦. الطبري، *تاريخ الطبري*، ج٣، دار سويدان، بيروت، د.ت.
١٧. عبد العزيز سعود البابطين، *معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين*، هيئة المعجم، ٢٠٠٢.
١٨. القلقشندي، *صبح الأعشى في صناعة الإنشاء*، ج٤، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٨٧.
١٩. المجلسي، *بحار الأنوار*، ج١٢، مؤسسة الوفاء ـ دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٣.
٢٠. *المنجد في اللغة والإعلام*، دار الشرق، بيروت، ٢٠٠٠.
٢١. محمد محمود، *الموسوعة الأدبية*، دار الفكر اللبناني، بيروت، ٢٠٠١.
٢٢. *الموسوعة العربية العالمية*، مؤسسة أعمال الموسوعة، الرياض، ١٩٩٦.
٢٣. *الموسوعة الفلسطينية*، هيئة الموسوعة، دمشق، ١٩٨٤.
٢٤. ياقوت الحموي، *معجم البلدان*، ج٥، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٧.
٢٥. يعقوب أميل، *قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية*، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٧.

ثالثاً: المصادر والمراجع الخاصة

٢٦. ابن الجوزي، *تذكرة الخواص*، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، بيروت، ١٩٨١.
٢٧. ابن رشيق، *العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده*، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٨
٢٨. أبو أصبع صالح، *الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة*، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ١٩٧٩.
٢٩. أبو ناصر عدنان حسين، *فلسطين في خطاب الإمام الخميني*، مطبعة إخوان، دمشق، ٢٠٠٠.

٣٠. أبو نضال نزيه، *الشعر الفلسطيني المقاتل*، اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين، ١٩٧٤.

٣١. أدونيس، *زمن الشعر*، دار العودة، بيروت، ١٩٧٢.

٣٢. أرسطو، *فن الشعر*، شرح وتحقيق عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة، بيروت، د.ت.

٣٣. أسعد علي، *صناعة الكتابة*، دار السؤال، ط ٤، دمشق، ١٩٨١.

٣٤. أنيس إبراهيم، *موسيقى الشعر*، مكتبة الأنجلو المصرية، ط ٤، القاهرة، ١٩٧٢.

٣٥. موسى باشا عمر، *الأدب في بلاد الشام عصر الزنكيين والأيوبيين والمماليك*، دمشق، ١٩٦٤.

٣٦. بركات جميل، *فلسطين والشعر*، دار الشروق، عمان، ١٩٨٩.

٣٧. توما أميل، *ستون عاماً على الحركة القومية الفلسطينية*، دار ابن رشيد، ١٩٧٨.

٣٨. جيدة عبد المجيد، *الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر*، مؤسسة نوفل، بيروت، ١٩٨٠.

٣٩. الجيوسي سلمى خضراء، *موسوعة الأدب الفلسطيني*، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٧.

٤٠. حاطوم نوم الدين، *نحو الوحدة العربية*، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٦٩.

٤١. حاوي إيليا، *نزار قباني شاعر قضية والتزام*، ج٣، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٣.

٤٢. حتي فليب، *تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين*، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٢.

٤٣. حسان عبد الحكيم، *النظرية الرومانتيكية*، دار المعارف، ١٩٧١.

٤٤. الدقاق عمر، *فنون الأدب المعاصر في سورية*، دار الشرق، حلب، ١٩٧١.

٤٥. الدقاق عمر، *تاريخ الأدب الحديث في سورية*، منشورات جامعة حلب، ط٢، ١٩٧٩.

٤٦. الدهان سامي، *الشعر العربي الحديث في الإقليم السوري*، جامعة الدول العربية - معهد الدراسات العربية العالمية، ١٩٩٧.

٤٧. رمزي هيام، *فدوى طوقان شاعرة أم بركان*، دار الكرمل، عمان.

٤٨. الزيات أحمد حسن، *الرسالة*، ج ٤، دار الثقافة، ط٣، بيروت، ١٩٧٣.

٤٩. سقيرق طلعت، *الانتفاضة في شعر الوطن المحتل*، دار الجليل، دمشق، ١٩٩٩.
٥٠. سمارة منية، *فلسطين في ذاكرة العالم*، دار طبريا، الأردن، ١٩٨٨.
٥١. السوافيري كامل، *الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين*، مكتبة نهضت مصر، ١٩٦٤.
٥٢. السوافيري كامل، *الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر*، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٣.
٥٣. السيد أحمد عزت، *انهيار أسطورة السلام*، دار الفكر الفلسطيني، ط ٢، دمشق، ٢٠٠٣.
٥٤. الشايب أحمد، *أصول النقد الأدبي*، مكتبة النهضة المصرية، ط ٨، القاهرة، د.ت.
٥٥. شراد شلتاغ عبود، *تطور الشعر العربي الحديث*، دار مجدلاوي، عمان، ١٩٩٨.
٥٦. صبح علي، *الصورة الأدبية تاريخ ونقد*، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د.ت.
٥٧. صبحي محيي الدين، *الكون الشعري عند نزار قباني*، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨٢.
٥٨. صدوق راضي، *شعراء فلسطين في القرن العشرين*، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٠.
٥٩. الصوّاف محمد توفيق، *الانتفاضة في أدب الوطن المحتل*، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٨٢.
٦٠. ضيف شوقي، *في النقد الأدبي الحديث*، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧.
٦١. العارف عارف باشا، *نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود*، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٥٢.
٦٢. عباس إحسان، *فن الشعر*، دار بيروت، ط ٣، بيروت، ١٩٥٩.
٦٣. عبود حنا، *النزوحات الكبرى ومعالم الأدب العربي*، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٧٩.
٦٤. عسّاف ساسين، *الصورة الشعرية*، دار مارون عبود، ١٩٨٥.
٦٥. عساف ساسين، *الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس*، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات، ١٩٨٢.
٦٦. العسلي كامل جميل، *القدس في التاريخ*، مطبعة جامعة الأردن، عمان، ١٩٩٢.
٦٧. عصفور جابر، *النقد الأدبي*، دار الكتاب العربي، ٢٠٠٣.

٦٨. عطاء الله موسى، *نقاط على حروف السلام*، مكتب الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٢.
٦٩. العلايلي عبد العلي، *تهذيب المقدمة اللغوية*، دار النعمان، لبنان، ١٩٦٨.
٧٠. عوض ريتا، *بنية الشعر الجاهلي والصورة الشعرية لدى امرئ القيس*، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٢.
٧١. عياد شكري معين، *مدخل إلى علم الإسلوب*، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٩٨٢.
٧٢. ٧١. الفارابي محمد بن محمد، *الموسيقى الكبير*، دار الكتاب العربي، القاهرة، د.ت.
٧٣. ٧٢. الفراء محمد علي عمر، *السلام الخادع*، دار مجدلاوي، عمان، ٢٠٠١.
٧٤. ٧٣. القباني نزار، *مع الشعر*، منشورات نزار قباني، بيروت، ١٩٩٧.
٧٥. ٧٤. القط عبد القادر، *الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر*، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٨.
٧٦. المسيري عبد الوهاب، *من الانتفاضة إلى حرب التحرير الفلسطينية*، دار الفكر المعاصر، دمشق، ٢٠٠٢.
٧٧. المصري حسين مجيب، *القدس بين شعراء الشعوب الإسلامية*، دار الثقافة للنشر، ٢٠٠٢.
٧٨. مكي الطاهر أحمد، *الشعر العربي المعاصر*، دار المعارف، ط٤، القاهرة، ١٩٧٢.
٧٩. الملائكة نازك، *قضايا الشعر المعاصر*، دار الآداب، بيروت، ١٩٦٢.
٨٠. ميرفت دهان، *نزار قباني والقضية الفلسطينية*، بيسان، بيروت، ٢٠٠٢.
٨١. نجم محمد يوسف، *نزار قباني شاعر لكل الأجيال*، دار سعاد الصباح، الكويت، ١٩٩٨.
٨٢. وحيد علاء الدين، *شعر اليقظة الإسلامية في بداية القرن العشرين*، دار سنابل، ١٩٩٥.
٨٣. الولي محمد، *الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي*، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٠.

رابعاً: الدواوين والمجموعات الشعرية

٨٤. ابن الساعاتي، *الديوان*، ج٢، المطبعة الأمريكية، بيروت، ١٩٣٩.
٨٥. أبو خالد خالد، *وسام على صدر الميليشيا*، دار الآداب، بيروت، ١٩٧١.

٨٦ أبو خالد خالد، *شاهراً سلاسلي أجيء*، اتحاد الكتاب العرب والصحفيين الفلسطينيين، بيروت، ١٩٧٤.
٨٧ أبو ريشة عمر، *الديوان*، ج ١، دار العودة، بيروت، ١٩٧١م.
٨٨ أبو ريشة عمر، *الديوان*، ج ٢، دار العودة، بيروت، ١٩٧١م.
٨٩ أبو سلمى، عبد الكريم الكرمي، *المشرد*، دمشق، ١٩٦٣.
٩٠. أسرحنا، *أمة وجراح*، دار ميسلون، بوينس آيرس، ١٩٨٠م
٩١. أبو الطيب المتنبي، *ديوان المتنبي*، شرح العكبري، دار المعرفة، بيروت، د.ت.
٩٢. أبو العتاهية، *ديوان أبي العتاهية*، تحقيق شكري فيصل، جامعة دمشق، ١٩٦٥.
٩٣. امرئ القيس، *ديوان امرئ القيس*، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ٢٠٠١.
٩٤. البحيري حسن، *حيفا في سواد العيون*، مطابع العلم، دمشق، ١٩٧٣.
٩٥. البحيري حسن، *لفلسطين أغني*، دار الحياة، دمشق، ١٩٨٢.
٩٦. البحيري حسن، *لعيني بلادي*، مطبعة الصباح، دمشق، ١٩٩١.
٩٧. البرادعي خالد محيي الدين، *مجلة الثقافة الإسلامية*، المستشارية الثقافية الإيرانية، دمشق، ٢٠٠٤.
٩٨. البستاني وديع، *فلسطينيات*، دار البشائر، بيروت، ١٩٨١.
٩٩. الجبل بدوي، *ديوان بدوي الجبل*، دار العودة، بيروت، ١٩٧٨م.
١٠٠.جمال الدين نجيب مصطفى، *الكتابة على أعمدة الشمس*، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٦.
١٠١.جمال الدين مصطفى، *قصائد إلى عاصمة المدة الشرقية*، إدارة المساحة العسكرية، دمشق، ١٩٨٢.
١٠٢.الحاج عيسى محيي الدين، *من فلسطين وإليها*، المطبعة السورية، حلب، ١٩٧٥.
١٠٣.الحامد بدر الدين، *ديوان بدر الدين الحامد*، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٥.
١٠٤.حامد محمود، *موت على ضفاف المطر*، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٨٣.
١٠٥.حامد محمود، *شهقة الأرجوان*، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٠.
١٠٦.حامد محمود، *بيسان*، وزارة الثقافة العسكرية، دمشق، ٢٠٠٢.
١٠٧.حاوي خليل، *ديوان خليل حاوي*، دار العودة، بيروت، ١٩٧٢.
١٠٨.حجازي عذيران، *القدس في القلب وفي الأسر*، الدار البيضاء، المغرب، دون تاريخ.

١٠٩.الحصني عفيفة، *شهيد التضحيات*، مطابع الناشر العربي، القاهرة، ١٩٧٠.
١١٠.حلاق عبد الله يوركي، *حصاد الذكريات*، مطبعة الضاد، حلب، ١٩٦٦.
١١١.حلاق عبد الله يوركي، *أسديات*، دمشق، ١٩٩٣.
١١٢.حلاق عبد الله يوركي، *عصير الحرمان*، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٠.
١١٣.حمصي عبد الكريم، *ألحان من اليرموك*، مطبعة الاتحاد، دمشق، ١٩٩٢.
١١٤.الحمصي الخضر، *الليل والطريق*، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١.
١١٥.الحوت محمود، *المهزلة العربية*، منشورات البصري، بغداد، ١٩٥١.
١١٦.الخطيب يوسف، *العيون الظمأى للنور*، المطبعة العمومية، دمشق، ٢٠٠١.
١١٧.الخطيب يوسف، *واحة الجحيم*، دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٤.
١١٨.الخوري رشيد سليم، *ديوان القروي*، دار المسيرة، بيروت، ١٩٧٨.
١١٩.الخوري ناصر، *سنابل*، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٧٩.
١٢٠.خيربك جابر، *شوارد النغم*، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٢.
١٢١.درويش محمود، *ديوان محمود درويش*، دار العودة، بيروت، ١٩٩٤.
١٢٢.دمّر علي، *الديوان*، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ١٩٨٧.
١٢٣.رشيد كمال، *شدو الغرباء*، مؤسسة الجمعية العلمية للطباعة والنشر، عمان، ١٩٨٣.
١٢٤.رشيد كمال، *القدس في العيون*، دار الوفاء للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٠.
١٢٥.الرفاعي عبد المنعم، *المسافر*، الدار المتحدة للنشر، بيروت، ١٩٧٩.
١٢٦.رشيد هارون هاشم، *عودة الغرباء*، المكتب التجاري، بيروت، ١٩٥٦.
١٢٧.رشيد هارون هاشم، *مفكرة عاشق* (قصائد للقدس) المطابع الموحدة، ١٩٨٠.
١٢٨.رشيد هارون هاشم، *ديوان هارون هاشم رشيد*، دار العودة، بيروت، ١٩٨١.
١٢٩.رشيد هارون هاشم، *ثورة الحجارة*، دار العهد الجديد، تونس، ١٩٨٨.
١٣٠.رشيد هارون هاشم، *طيور الجنة* (قصائد للشهداء) دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٨.
١٣١.رشيد هارون هاشم، *وردة على جبين القدس*، (قصائد للسجناء والمبعدين) دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٨.
١٣٢.رشيد هارون هاشم، *الصمود والحزن*، تونس، ١٩٨٣.
١٣٣.رشيد هارون هاشم، *قصائد فلسطينية*، دار مجدلاوي، عمان، ٢٠٠٣.
١٣٤.الزركلي خير الدين، *ديوان خير الدين الزركلي*، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠.

١٣٥. زياد توفيق، *الأعمال الشعرية الكاملة*، مطبعة الاتحاد، حيفا، ١٩٦٦، ودار العودة، ١٩٧١.
١٣٦. شمس الدين محمد حسين، *النازحة*، كلية الحقوق، ١٩٥٠.
١٣٧. طوقان فدوى، *الليل والفرسان*، دار العودة، بيروت، ١٩٨٢.
١٣٨. طوقان فدوى، *ديوان فدوى طوقان*، دار العودة، بيروت، ١٩٨٤.
١٣٩. طوقان فدوى، *الأعمال الكاملة*، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ١٩٩٣.
١٤٠. العبوشي برهان الدين، *جبل النار*، بغداد، ١٩٥٦.
١٤١. العبوشي برهان الدين، *إلى متى*، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٧٢.
١٤٢. العدناني محمد، *اللهيب*، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٥٤.
١٤٣. العدناني محمد، *العدنانيات*، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٠.
١٤٤. عرسان علي عقلة، *فلسطينيات*، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧١.
١٤٥. عرسان علي عقلة، *الأعمال الشعرية الكاملة*، اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٢.
١٤٦. عكاوي محمد إياد، *لبيك يا أقصى*، المكتب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠١.
١٤٧. علّوش جميل، *صوت الشعر*، دار الينابيع، ١٩٩١.
١٤٨. العيسى سليمان، *فلسطينيات*، دار فلسطين، دمشق، ١٩٩٥.
١٤٩. العيسى سليمان، *الأعمال الشعرية*، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٥.
١٥٠. الكيلاني حسين زيد، *أطياف وأغاريد*، وزارة الثقافة، عمان، ١٩٩٠.
١٥١. القاسم سميح، *الوطن المحتل*، دار فلسطين، دمشق، ١٩٦٧.
١٥٢. القاسم سميح، *الأعمال الكاملة*، ج١، دار سعاد الصباح، ١٩٩٣.
١٥٣. قباني نزار، *الأعمال الكاملة*، منشورات نزار قباني، ط ٥، بيروت، ١٩٩٣.
١٥٤. قنصل زكي، *الأعمال الكاملة*، جدة، ١٩٩٥.
١٥٥. قنصل إلياس، *ألحان الغروب*، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٧٨.
١٥٦. محرز عبد اللطيف، *أناشيد الحق في رحاب علي*عليه السلام، دمشق، ١٩٩٤.
١٥٧. محرز عبد اللطيف، *شجرات الدماء*، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٠.
١٥٨. محرز عبد اللطيف، *حقائق وأوهام*، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣.
١٥٩. مفلح محمود، *المرايا*، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٩.
١٦٠. مردم بك خليل، *الديوان*، المجمع العلمي العربي، دمشق، د.ت.

١٦١.محمود عبد الرحيم، *ديوان محمود عبد الرحيم*، دار العودة، بيروت، ١٩٧٤.
١٦٢.المناصرة عز الدين، *الأعمال الكاملة*، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ١٩٩٤.
١٦٣.النابلسي، عفيف، *نفحات عاملية*، قصائد للمقاومة والشهداء، دار الهادي، ٢٠٠١.
١٦٤.هارون هند، *سارقة المعبد*، دار الأنوار للطباعة، دمشق، ١٩٧٧.

خامساً: الرسائل والأطروحات الجامعية

١٦٥.بكري عكو، *الثورة وقاضاياها في الشعر العربي المعاصر في سورية من* (١٩٤٨ ـ ١٩٦٧م)، رسالة ماجستير، إشراف أ.د. عمر الدقاق. جامعة حلب، ١٩٩١ (مخطوط).
١٦٦.عربية هيفا، *الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث، الإحيائية والرومانسية والمعاصرة*، رسالة دكتوراه، إشراف أ.د. عصام قصبجي، جامعة دمشق، ١٩٩٨م.
١٦٧.د. الكيالي عبد الرحمن، *الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين*، رسالة دكتوراه، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات، ١٩٧٥ (مطبوع).

سادساً: الكتب المترجمة

١٦٨.أوستن وادري وصاحبه، *نظرية الأدب*، ترجمة محيي الدين الصبحي، دمشق، ١٩٧٢.
١٦٩.العسلي، كامل جميل، *القدس في التاريخ*، عمان، مطبعة الجامعة الأردنية، ١٩٩٢.
١٧٠.دي لويس، سيسل، *الصورة الشعرية*، ترجمة أحمد نصيف الجنابي وآخرون، بغداد، وزارة الثقافة، ١٩٨٢.
١٧١. مطهري، مرتضى، *الملحمة الحسينية*، تعريب: محمد الخاقاني، بيروت، الدار الإسلامية ط ٢، ١٩٩٢.
١٧٢. مطهري، مرتضى، *الشهيد يتحدث عن الشهيد*، تعريب: محمد الخاقاني، بيروت، الدار الإسلامية، ٢٠٠٠.

سابعاً: الكتب الأجنبية

أ) اللغة الفارسية

١٧٣. سليمان حييم، *القاموس المعاصر*، طهران، مؤسسة القاموس المعاصر، ٢٠٠١.
١٧٤. السيد هادي خسروشاهي، *تاريخ بيت المقدس ومسألة فلسطين*، نشر كتاب، قم، ١٩٧٥.
١٧٥. موحد الخوني، *المسجد الأقصى وبيت المقدس*، قم، منشورات الكتاب، ١٩٨٢.

ب) اللغة الانجليزية

176. Cattan Henry, the Question of Jerusalem London, 1980.
177. Haim S. the Shorter English - Persian Dictionary, Tehran, 1993.
178. Grabar O. Encyclopaedia of islam, voluue5, Leiden 1979.

ثامناً: الدوريات

١٧٩. *جريدة تشرين*، دمشق.
١٨٠. *مجلة الثقافة الإسلامية*، دمشق.
١٨١. *مجلة عالم الفكر*، الكويت.
١٨٢. *الرسالة*، القاهرة.
١٨٣. *مجلة الوسط*، لندن.
١٨٤. *المعرفة*، دمشق.

اكتفيت بذكر أسماء الدوريات التي أخذت أو استفدت منها، أما الجزئيات فقد أشرت إليها في هوامش الصفحات.